الجمهورية العربية السورية
جامعــة دمشــق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ



الوجود العثماني في اليمن

1538 - 1635

قراءة جديدة من خلال الوثائق العثمانية

بحث أعدّ لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر

إشــراف

د. عبـد المنعـم الأحمـد

إعـداد

الطالب محسن محمد عايض علي الدربي

دمشق 2010 - 2011 م

إهداء

إلى :

فخامة رئيس الجمهورية حفظه الله وأدامه

والى والدي الحبيب أطال الله عمره

والى والدتي الغالية حفظها الله ورعاها

والى شباب اليمن وسواعده الأبطال

محسن

المحتويات

الصفحة

الفصل الثـــانـــي

الحكـــم العثماني لليمن 1555-1569م

الفصل الثالث

التنظيمات العسكرية العثمانية في اليمن

الفصل الرابـــع

النشاط الاقتصادي والمالي والعسكري العثماني في اليمن

الصفحة

مقدمة

لم تكن الأحداث التي شهدتها اليمن خلال الثلاثينيات من القرن السادس عشر جديدة عليها، حيث سبق العثمانيون إلى اليمن قوى عدة أبرزها البرتغاليون الذين تطلعوا إلى تحويل الطريق التجاري البحري إلى الهند مباشرة عبر رأس الرجاء الصالح.

إن هذا التداخل المضطرب الذي أحدثه الانقلاب التجاري العالمي، ولّد صراعاً ما بين القوى الأوروبية والقوى العربية الإسلامية لا سيما بعد انهيار النظام السياسي في اليمن آنذاك، وقد فقدت على إثر هذا الصراع القوى الجنوبية السهلية الريادة حيث انتزعها الجبليون الشماليون متجسدة بالأئمة الزيديين الذي أداروا اليمن وتحملوا مع مجمل القوى اليمنية الشمالية بمختلف أطيافهم المذهبية مسؤولية مقاومة العثمانيين[1] .

لقد اعتاد اليمنيون على تعاقب الولاة والدويلات، غير أن التحرك المملوكي من أبرز الأحداث التي أسهمت في زيادة الاضطراب السياسي والإداري في اليمن، فبعد أن تمكن آخر سلاطين الدولة الطاهرية الظافر عامر بن عبد الوهاب من توطيد سلطة الدولة حيث دخل صنعاء[2] في السابع من شوال لسنة 910هـ-1504م ووطد أمن اليمن بمساعدة عامله الأمير البعداني الذي عمد إلى الشدة لضبط الأمور وإعادة الاستقرار بعدما عصف

---

(1) يخطئ من يعتقد أن المقاومة اليمنية التي ترأسها الأئمة الزيديون اقتصرت على أنصار المذهب الزيدي، بل تجسدت المقاومة بكل اليمنيين (زيديون وشوافعة).

(2) لم يكن استيلاء عامر بن عبد الوهاب على صنعاء يعني خضوع المنطقة الشمالية لسيادته، فقد ظلت بعض مناطق الزيدية خارجة عن سيادته. للمزيد سيد سالم مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، القاهرة 1969م، ص 80.

الاضطراب باليمن لأكثر من خمسين سنة، غير أن تواجد البرتغاليين في سواحل البحر الأحمر والخليج العربي، دفعت السلطان قانصوه الغوري إلى إرسال قوات بقيادة الأمير حسين الكردي بهدف طرد البرتغاليين من السواحل اليمنية(1).

وفور وصوله إلى جزيرة كمران وجه الكردي مبعوثين إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب، يطلب منه مده بالمؤن اللازمة لمساعدته وقواته على طرد البرتغاليين بغية تطهير سواحل اليمن والجزيرة العربية منهم، وحينما عرض السلطان عامر طلب الكردي على مستشاريه، قسم وافق وقسم عارض(2)، فكلف السلطان عامر بن عبد الوهاب الأمير علي بن محمد البعداني بالرد على مبعوثي الكردي، فرد عليه رداً غليظاً.

إن الرد الذي تلقاه المماليك سوّغ لهم تنفيذ أهدافهم وتحقيق مطامعهم في السيطرة على اليمن حيث أمر الكردي قواته بمهاجمة الحديدة وضربها بالمدفعية، وقد نشبت بين الطرفين عدة معارك منها معركة (الرحب) في ضواحي مدينة زبيد ومعركة باب النخل خارج مدينة زبيد، وبعد السيطرة التي حققتها قوات المماليك بقيادة (برسباي)، قرر التوجه إلى عدن وحال السيطرة عليها، لكنه منى بالفشل، واضطرت قوات المماليك إلى الانسحاب مغادرين عدن في 21 رجب سنة 922هـ-19 أغسطس 1516م(3).

قررت القوات المملوكية بقيادة برسباي الاستقرار في تهامة، وهذا ما جعله على احتكاك مباشر مع الطاهريين، ولهذا ظل الصدام بين الطرفين أمراً متوقعاً، علماً بأن السلطان عامر لم يكن يعترف بالنفوذ المملوكي في تهامة. كما ظل يرفض عقد الصلح معهم، وقام بمهاجمتهم في زبيد إلا أنه مني بالهزيمة، فانسحب إلى تعز في 10 شوال 922هـ/6 نوفمبر 1516م، فلحقوه إلى تعز، فانسحب إلى أب ومنها إلى المقرانة(4)،

(1) ابن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد من أخبار زبيد، مخطوط، ورقة 154.

(2) المصدر السابق، ورقة 155.

(3) المصدر السابق، ورقة 155.

(4) المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية، وتقع في قضاء رداع محافظة البيضاء.

فلحقوه إليها، فانسحب منها، ولدى وصولهم إليها قاموا بنهب ما تبقى فيها من كنوز الطاهرين، ثم توجهوا إلى صنعاء، وفي أثناء ذلك قتل أميرهم برسباي، فنصّبوا عليهم أميراً يدعى إسكندر، ثم واصلوا زحفهم نحو صنعار، وهناك دارت بين الطرفين معركة بالقرب من صنعاء تسمى معركة الصافية حيث قتل فيها أخو السلطان عامر وذلك في 23 ربيع الآخر 923هـ/15 مايو 1517م، وحينما علم السلطان بمقتل أخيه حاول الفرار والنجاة بنفسه، إلا أنه وقع في أيدي أعدائه الذين سلموه إلى الأمير اسكندر بن محمد فأمر بإعدامه، وبذلك انتهت الدولة الطاهرية بعدما حكمت جزءاً من اليمن مدة خمس وستين سنة من عام 858هـ-1466 هـ/923 هـ-1517م[1].

أدار الشراكسة (المماليك) جزءاً من اليمن مدة من الزمن إلى أن أرسل العثمانيون حملة بحرية انطلقت من مصر سنة 1534م فاتجهت إلى عدن ومسقط لفرض حصار البرتغاليين المتواجدين في السواحل الجنوبية لليمن[2]، وكانت الحملة العثمانية بقيادة سليمان باشا الأرناؤوطي، وقد تخوف اليمنيون من الحملة لأنهم عزل وليس لديهم أسلحة تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم، وبسهولة تمكنت القوات العثمانية من دخول عدن والقبض على عامر بن داود آخر زعماء الطاهريين، وقد عمد سليمان باشا إلى إعدامه على ظهر سفينة القيادة، ومن ثم كلف أوزدمر باشا بقيادة قوات من الإنكشارية لمحاربة الإمام شرف الدين يحيى الذي يسيطر على شمال اليمن بما فيها العاصمة صنعاء[3].

إن دخول العثمانيية إلى اليمن ولّد صراعاً محتدماً مع قوات الإمام، علماً بأن القوات العثمانية تمتلك أسلحة فتاكة وهي منظمة تنظيماً قتالياً، لكن قوات الإمام رغم بساطة أسلحتها تمتاز بسرعة الحركة وتعرف المنطقة ومداخلها أكثر من القوات العثمانية، ورغم ذلك فقد تمكن العثمانيون من دخول صنعاء في 13 ربيع الآخر 954هـ/1547م متممة بذلك دخول أغلب مناطق اليمن وفرضت سيطرتها عليها[4].

---

(1) عبد الوهاب بن أحمد الثور، هذه هي اليمن، صنعاء 1971م، ص 93.

(2) صولاق باشا زاده، تاريخ صولاق، استانبول 1311، ج3، ص 250.

(3) المصدر السابق، ج3، ص 437.

(4) المصدر السابق، ج3، ص 450.

ولدى الاطلاع على المصادر العثمانية ومراجعها ووثائقها نجد أن العثمانيين الذين جازفوا بقواتهم لاحتلال الجزء الشمالي من اليمن قد أنهكوا قواتهم بهذه المجازفة التي لا ربح فيها ولا أمل بالاستقرار، كما ظلت اليمن حلم خلفاء سليمان القانوني أن يتمكنوا من توطيد الأمن في تلك الديار ولم يخلُ شهر أو أسبوع من فقدانهم لبعض عساكرهم التي تحاول الخروج خارج صنعاء، ويذكر فاتح اليمن سليمان باشا في مراسلاته للسلطان سليمان القانوني أن دخوله إلى صنعاء كان حلماً وبقاءه فيها أضغاث أحلام، ومما يذكره في رسالته التبشيرية إلى السلطان سليمان: «مولاي إن جبال اليمن وضواحي صنعاء دار آخرة وأن اليمنيين وما عرف عنهم من خفة في الحركة لأشد من شيطان الجن، بل هم الجان بأنفسهم، وقد سعينا لتجنب ضربهم وقتلهم ولكنهم يتدافعون للوقوف أمام بنادق قواتنا وفوهات مدافعنا، لا يسمعون مخاطبة ولا يكفون عن المواجهة ولا يعرفون النوم ولا نعرف ماذا يأكلون يقاتلون والقتل عندهم شيء عادي، ورغم شراستهم فقد تمكنا من دخول صنعاء ولكن على جثث قواتنا وأشلاء اليمنيين» (1).

أما من حيث الثروة الزراعية، فلقد استنبط اليمنيون وبسبب واقعهم الجغرافي الطبيعي ضرورة الاهتمام بالزراعة لتأمين حياتهم ولتأمينها فإن الأمر يقتضي منهم إقامة السدود وإقامة الترع وحفر الآبار، وقد نشط اليمنيون قديماً وحديثاً في هذا المجال، وتمكنوا وبسبب ظروفهم الطبيعية والحملات العدائية التي قدمت إليهم من الخارج من تأمين الحد الأدنى من الحبوب وغيرها من المزروعات الأخرى، ونظراً لتعرض اليمنيين إلى نقص في مواد المؤن، فقد لجؤوا إلى التمرد والعصيان احتجاجاً على ولاتهم، علماً بأن اليمنيين شعب طيب ورقيق، وأن حمله للجنبية على خصره بصورة دائمة قد يظهره بالإنسان الشرس المشاكس الراغب بالخصام، غير أن الواقع الحقيقي بعكس ذلك وحمله لها هو مظهر اجتماعي وتقليد أصيل يدلل على رجولته وليس على شراسته، واليمنيون

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، كدان وكلان دفتري، رقم 2369 ص 38.

يحبون الضيف ويدافعون عن المظلوم وقلما يخطئ أحدهم بحق الطرف الآخر، لكنه غير قادر على تحمل الإهانات صغرت أم كبرت، والمؤرخون الأجانب لم يدركوا هذه الظاهرة وإذا أدركوها فهم قصدوا من ذلك تشويه سمعة الإنسان اليمني الشجاع والشهم.

تحتل اليمن الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية وتقع بين خطي عرض 12-18 شمالاً وتشرف على مسطحات مائية عريضة ومهمة، يحد اليمن غرباً البحر الأحمر، وجنوباً المحيط الهندي، ومن الشمال الغربي الحجاز، ومن الشمال الشرقي بلاد نجد، وقد أطلق عليها الإغريق والرومان، العربية السعيدة، كما سماها غيرهم باليمن الخضراء، غير أن طبيعتها الجغرافية تضاريسية بامتياز، ورغم ذلك فقد قسمت إلى أقسام ثلاث:

1- قسم يمتد بموازاة البحر الأحمر وهو عبارة عن سهل ساحلي يبدأ من حلى بن يعقوب شمالاً حتى باب المندب جنوباً، ويعرف تاريخياً بسهول تهامة، ويتراوح عرضه ما بين 35-40 كم حيث يبدأ بالارتفاع كلما اتجهنا إلى الداخل لدرجة يصل ارتفاعه بجوار الجبال إلى 150م عن سطح البحر، وتمتاز بارتفاع حرارتها لقربها من خط الاستواء، ولهذا فإن أمطارها قليلة ورطوبتها عالية ومستمرة بصورة دائمة على مدار السنة، غير أن منطقة تهامة تشكل مصدراً أساسياً لكثير من النباتات وبخاصة أشجار النخيل، فضلاً عن وجود زراعة التبغ والقطن، كما يوجد بها عدد من الوديان المشهورة مثل وادي موزع ونخلة وزبيد وورمع وسهام ومو وعيس وحرض، كما يوجد بها وادي جزيان وصبايا وبيش.

2- المرتفعات الجبلية، التي تلي سهول تهامة باتجاه الشرق، وتنقسم بحكم تكوينها الطبيعي إلى قسم شمالي وهو المشهور بوعورته حيث يتراوح ارتفاع جباله ما بين 1500-3500 م ولهذا فقد تخوف غزاة اليمن وأعداؤها من وعورة جبالها التي ضاع فيها الكثير من القوى العابرة لهذه الجبال وبسببها عرفت اليمن بمقبرة الأناضول. ويوجد بالقسم الشمالي منها أعلى جبال شبه الجزيرة العربية وهو جبل النبي شعيب الذي يبلغ

ارتفاعه 3600م، أما القسم الجنوبي من هذه المرتفعات فارتفاع جبالها لا تزيد عن 1500م، وطقسها معتدل ولا يوجد فرق بين النهايتين الصغرى والكبرى لدرجات الحرارة، وتتساقط بها الأمطار مما ترتب عليه وفرة النبات، أما المنطقة الشمالية فهي معتدلة نسبياً وتغزر بها الأمطار فتصل إلى 100 مم في السنة، وتتمتع المناطق الواقعة في هذه المرتفعات في جميع الفصول بجو بديع ومعتدل، وزروعها كثيرة كالبن والقطن والحبوب والأعناب والقات، ويوجد بها أنهاء متوسطة [غيول]، وفيها سدود مشهورة بنيت منذ فجر التاريخ مثل سد شاحك.

3- المنطقة الشرقية (السهول الشرقية)، وهي تمتد بشكل موازي لمنطقة تهامة وتبدأ إلى الشرق من صنعاء بحوالي 10 كم، ويقل ارتفاعها عن سطح البحر، كلما اتجهنا شرقاً حتى ينتهي إلى الربع الخالي، وبهذه المنطقة تقع محافظة مأرب عاصمة دولة سباء التاريخية وسدها العظيم، وبها مدينة معين عاصمة دولة قتبان.

ويرجع الاختلاف في مناخ اليمن إلى عدّة عوامل منها قربه من خط الاستواء واختلاف تضاريسه وقربه من مسطحات مائية، وتعرضه لهبوب الرياح الموسمية المحملة بالأمطار التي تهب على الحبشة والهند، وتسقط أمطار اليمن في فصلين الأول في الخريف بين شهري يونيه وديسمبر بسبب هبوب الرياح الموسمية وهو أكثر غزارة، والثاني في فصل الربيع بين شهري مارس وأبريل لتأثر البلاد بمناخ البحر المتوسط.

كلنا يعلم أن اليمن شكلت عبر تاريخها القديم الإسلامي مورداً للقوى البشرية الناطقة بالضاد رغم اضطراب تاريخها، ولكنها كانت باستمرار على صلة بجيرانها وقوة ضاربة أمام الحملات الغربية التي توجهت إلى أرضها بدءاً من الحملة الرومانية سنة 24 ق.م والحملة البيزنطية التي تكفل نجاشي الحبشة بالانتقام من اليمنيين على ما فعله الملك الحميري (ذو نواس) ولا سيما حادثة الاخدود سنة 532 م وهزيمة الأحباش واستئصال شأفتهم على يد سيف بن ذي يزن وتمكنه من إقامة دولة له على أرض اليمن ولو بمساعدة فارسية.

لقد تخلصت اليمن من الفرس الذين استوطنوا فيها، ولهذا فقد ارتبط اليمنيون بالدين الإسلامي ارتباطاً وثيقاً وآمنوا به حباً، وبفضله حقق اليمنيون الكثير من الانتصارات التي صانت ترابهم وبثت الرعب في قلوب أعدائهم.

وقد قُسم اليمن في عهد الخلفاء الراشدين ثم في عهد الأمويين والعباسيين إدارياً إلى ثلاثة أقسام أو مخاليف حسب مصطلحات ذاك العصر[1]، وظل مؤرخو العصر الحديث والمعاصر يلتزمون بالمصطلحات ذاتها، وذلك على النحو الآتي:

1- مخلاف صنعاء، ويشمل المناطق الجبلية الشمالية.

2- مخلاف الجند، ويشمل المناطق الجنوبية بما في ذلك تهامة وعدن.

3- مخلاف حضرموت.

لم يكن هذا التقسيم ثابتاً، ففي بعض الأحيان كان حكام اليمن يكتفون بصنعاء والجند لظروف فرضها الواقع السياسي للسلطة الحاكمة، وقد أفادت المصادر العربية ولا سيما الإسلامية منها بأن اليمن كانت خلال المرحلة الأموية والعباسية أشبه ببركان لا يهدأ من الاحتجاجات والعصيانات ومردها عنفوان اليمن، وظلم الولاة الذين كلفوا بإدارته[2].

من الصعب تقديم قراءة لأبرز الأحداث التي شهدتها اليمن خلال تاريخها، لأن اليمن يعدّ من أكثر المناطق العربية قديماً وحديثاً اضطراباً وتشابكاً في أحداثه وإدارته وتعدد دويلاته وكثرة ولاته.

صحيح أن العثمانيين تمكنوا من حكم اليمن منذ سنة 1538م، وقد تلمسوا أهمية اليمن منذ سنة 1515م عندما قدموا مساعدة عسكرية للمماليك لطرد البرتغاليين من تلك

---

(1) مخاليف، جمع مخلاف، وهي عند أهل اليمن كالأجناد عند أهل الشام، والكور عند أهل العراق، والرساتيق لأهل الجبال (ابن منظور، لسان العرب، 1235/2) طباعة دار المعارف.

(2) حسين بن أحمد العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى اليمن من ملك وإمام، نشره الأب انستاسي الكرملي، القاهرة 1939م، ص 10.

الديار، وقد أدرك العثمانيون أن سيطرتهم على اليمن ستمكنهم من ضمان سلامة الأماكن المقدسة في الحجاز والسيطرة على مداخل البحرين الأحمر والعربي، والإحاطة بأعدائهم الصفويين من ناحية الجنوب ومد نفوذهم بحرية تامة إلى أقاصي مناطق الشرق الإسلامي(1).

أرسل حاكم اليمن المملوكي إسكندر الجركسي مبعوثه إلى القاهرة إثر دخولها من قبل السلطان سليم الأول (1512-1520م) محملاً بالهدايا وزوده بكتاب يدلل فيه على الطاعة والولاء، وبذلك تكون قد دخلت اليمن سليماً تحت السيادة العثمانية(2).

لم يطمئن العثمانيون للولاء المملوكي في اليمن، ولم يكن بمقدورهم مهاجمة اليمن وطرد المماليك منها آنذاك نتيجة الظروف الصعبة والمعقدة التي كانت تحيط بهم، وظل العثمانيون يترقبون فرصة مناسبة لإخضاع اليمن إلى نفوذهم بشكل مباشر، وفي سنة 1538م قرر السلطان سليمان القانوني توجيه حملة عثمانية من مصر إلى اليمن بقيادة سليمان باشا الخادم(3)، وقد تمكن سليمان من إخضاع كامل اليمن للسيادة العثمانية وعين مصطفى باشا النشار والياً عليها(4).

إن القارئ لتاريخ اليمن قديمه وحديثه يلمس اضطراباً وتشابكاً في أحداثه وقلقاً وعجزاً في إدارة ولاته له، والباحث في التاريخ اليمني يواجه الشيء نفسه، غير أن اضطراب الباحث أكثر تعقيداً من غيره، لأن المصادر والمراجع وإن عرضت الأحداث التي وجهت اليمن، إلا أن الرؤية لم تكن واضحة، فضلاً عن ذلك فإن تاريخ اليمن خلال مراحله الأولى لا ينال حقه من البحث الجاد إلا بالعودة إلى المصادر العثمانية والوثائق

---

(1) the High Hemen, Hugh scott, London 1947, p. 227.

(2) نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، ترجمة يوسف عطا الله، بيروت 1988م، ص 130.

(3) بعض المصادر والمراجع تصفه بالخادم علماً بأن كنيته الأصلية الأرناؤوط.

(4) لقب بالنشار لأنه كان ينشر اللصوص وقطاع الطرق إلى نصفين متساويين.

والتقويمات السنوية التي دونت الأحداث بدقة أكثر من غيرها وبرؤية عثمانية بحته، ويلمس الدارس لتاريخ اليمن من خلال الوثائق قلق السلاطين العثمانيين وتخوفهم على مصير قواتهم وولاتهم، كما يلمس أيضاً أن الجنود الإنكشاريين الذين كانوا يكلفون بالخدمة في اليمن كانت تعلوهم هموم وأحزان يغلب عليها يأسهم وموتهم المحتوم على الأرض اليمنية، ولهذا فإن ضراوة الاقتتال ما بين اليمنيين والعثمانيين لم تكن تحتمل أي تهاون في المواجهة لأن النتيجة لأي منهما محتومة، بعكس الاقتتال ما بين الأهالي والإنكشاريين في بقية الولايات العربية العثمانية.

إن الوثائق المتعلقة باليمن في دور الأرشيف العثمانية كثيرة وبالآلاف، ولهذا فقد عمدنا إلى قراءة تاريخ اليمن خلال المراحل الأولى للسيطرة العثمانية من خلال الوثائق والوثائق العثمانية لا تتعرض إلى كميات الخسائر التي منيت بها القوات العثمانية، ولكنها لم تتجاهل شجاعة اليمنيين وجرأتهم على جز وقطع رقاب الإنكشاريين الذين يقعون بأيدي قوات الأئمة وأنصارهم ومؤيديهم. من هذا المنطلق واجه البحث صعوبات جمة، أبرزها خلط الأحداث وانتقاء المصادر والمراجع المتخصصة التي عنيت بتاريخ اليمن، ولا بد من الإشارة إلى أن مؤلف أستاذنا سيد مصطفى سالم (الفتح العثماني الأول لليمن) من المراجع المهمة، وقد اعتمدنا عليه في كثير من الأحداث، وكذلك أحمد فخري (دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر والعراق وسورية واليمن) ومخطوطة حسين بن أحمد العرشي التي حققها أنستاس الكرملي، ومؤلف محمد أبو زهرة الإمام زيد، حياته وعصره، ومؤلف عبد الواسع بن يحيى الواسعي وغيرهم من المؤلفات الغربية والمعربة، وكان اهتمامنا منصباً على الوثائق أولاً، ثم المصادر العثمانية تأريخ أحمد راشد باشا، وتاريخ پجوى إبراهيم باشا وصولاق زاده، وتاريخ عاطف باشا المعنون: يمن تاريخي، ومن المصادر العربية التي اعتمدنا عليها البرق اليماني في الفتح العثماني لقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي وغيرهم مما أدركنا أنه قد يفد البحث بمعلومة متميزة، تطلعاً إلى تقديم صورة صادقة عن الأحداث لا يشوبها شائبة ولا يعكر صفوها حدث كبر أو صغر.

وبناء على ما تقدم فقد قسم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تناولت في المقدمة الأحوال التاريخية لليمن كاستعراض سريع تجنباً من حدوث تكرار ما بين المقدمة والفصل الأول، أما **الفصل الأول** فلقد استعرضت فيه أحوال اليمن جغرافياً واجتماعياً وسياسياً، كما تناولت السيطرة العثمانية بمختلف مراحلها والنتائج التي أسفرت عن هذه السيطرة وكيف تمكن العثمانيون من طرد البرتغاليين من سواحل الجزيرة العربية، في حين تطرقت في **الفصل الثاني** إلى الحكم العثماني لليمن من 1555–1571م وموقف اليمنيين من إدارة العثمانيين، وكيف تمكن العثمانيون من توطيد سلطتهم في اليمن رغم المقاومة المحلية الضارية لدرجة أن جبال اليمن وهضابها شاركت اليمنيين مقاومة العثمانيين، وغدا اليأس والقنوط يضرب طوقاً محكماً حول العثمانيين المتواجدين على الساحة اليمنية.

أما **الفصل الثالث** فقد عالج نظام الإدارة العثمانية في اليمن والتشكيلات العسكرية للإنكشاريين والانتفاضات التي واجهتهم والمتمثلة آنذاك بالإمام القاسم وكيف كان الموقف العثماني، وكيف خرج العثمانيون من اليمن سنة 1635م.

أما **الفصل الرابع** فقد تطرق إلى النشاط الاقتصادي والمالي والعسكري العثماني في اليمن، لأن العثمانيين خلال المراحل الأولى لم يتمكنوا من إقامة أي نشاط بسبب الاقتتال ما بينهم وبين الإمام شرف الدين ثم الإمام مطهر، ولذلك عدّ المؤرخون الفترة من 1570–1597م فترة هدوء واستقرار وفيها أبدى العثمانيون نشاطاً في مختلف المجالات. وقد أعددت خاتمة لكل فصل بقصد قراءة أبرز النتائج التي أسفر عنها البحث.

إذاً صعوبات واضطرابات وخلط في الأحداث ومحاولة جادة لإيصال البحث إلى نقطة ارتكاز بحيث تتمحور حوله مجمل المعطيات، ومما ساعدنا على هذا تدخل الوثائق في تاريخ المرحلة بشكل مباشر لا جدال فيه، وهذا لن يتم لولا رعاية الأستاذين الجليلين

الأستاذ الدكتور محمود عامر الذي أنهك وجودي وكاد أن ينتزع صبري وجلدي لولا تدخل أستاذي المشرف الدكتور عبد المنعم الذي أفهمني أن الدكتور محمود يجامل في كل شيء إلا فيما تقوله الوثائق لا يجامل فيها، فاضطررت لاعتماد الصبر وسيلة أنجع بغية الوصول إلى إنجاز البحث المذكور أعلاه.

ولهذا فإنني أتقدم إلى الأستاذ الدكتور محمود عامر بالشكر الجزيل وأتمنى له طول العمر والبقاء، وأشكره على حبه لليمن وشعبها واعترافه بفضل اليمن حينما استقبلته أستاذاً في جامعة صنعاء، ولكن أتمنى عليه أن يخفف عن طلابه عبء الوثائق وصرخاتها التي لا تهدأ لدى العودة إليها، كما أتوجه بالشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد المنعم الذي كان دوماً يطالبني بالعودة إلى توضيح الأحداث وإبداء الرأي الشخصي فيها لكي لا أكون على هامشها، كما أشكره على حسن تعامله معي واستقبالي في منزله في كل أسبوع لقراءة ما توصلت إلى نتائج، وأشكره لأنه كان يرافقني لدى قراءة الوثائق مع الأستاذ الدكتور محمود عامر الذي كان يستقبلنا في ساعات متأخرة من الليل وفي أحيان كثيرة كنا نصابح القوم.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب الدكتور وهب رومية الذي كان عوناً لي في كل ما يواجهني من صعوبات، كما أشكر الدكتورة سمر بهلوان رئيسة القسم السابقة ورئيس القسم الحالي الدكتور جباغ قابلو والأخوة الكرام من أساتذة القسم الذين أحاطوني بكل عناية فلهم عظيم الشكر وبالغ الامتنان، وإلى أخوتي من طلاب الدراسات العليا والأخوة اليمنيين على حسن تعاملهم معي.

ولا يسعني إلا التقدم بعظيم الامتنان إلى القاضي العلامة علي أحمد أبو الرجال رئيس دار الوثائق برئاسة الجمهورية اليمنية، وإلى الدكتور فؤاد الشامي على حسن مواقفهما تجاهي وتجاه كل يمني باحث، فلهما عظيم الامتنان والاعتراف بجميلهما. وإلى جميع موظفي دار الوثائق برئاسة الجمهورية اليمنية.

والله ولي النصر والتوفيق.

الفصل الأول

أوضاع اليمن مع مطلع القرن السادس عشر

1- الأوضاع العامة لليمن:

آ - الظروف الطبيعية.

ب- الظروف الاجتماعية.

جـ- الظروف السياسية.

2- الصراعات التي واجهتها اليمن :

آ - الصراع الطاهري الطاهري.

ب- الصراع الزيدي الطاهري.

جـ- الغزو المملوكي لليمن.

3- السيطرة العثمانية على اليمن:

آ - السيطرة الاسمية 1517-1538م.

ب- السيطرة الفعلية 1538م.

- خاتمة الفصل الأول.

الأوضاع العامة لليمن

عرفت اليمن تاريخياً بالأرض السعيدة، وبمجيء الإسلام كانت سباقة إلى الترحيب بالدين الجديد، فقد اعتنق أهلها الإسلام دون حرب أو إكراه، ولهذا فقد أثنى رسول الله ﷺ على اليمن وأهلها بأكثر من حديث، وتولى إدارتها خلال مرحلة النبوة صحابة كرام أجلاء، وكان اليمنيون في مقدمة الجيوش الإسلامية الغازية في سبيل الله، ولهذا فقد برزت شخصيات يمنية أمثال سعيد بن قيس الأرحبي(1)، وعمرو بن سلمة الأرحبي، والسمع بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الغافقي وغيرهم من الشخصيات الجهادية المجاهدة والتزمت مع الخلافة الأموية والعباسية، غير أن تكليف الخليفة المأمون لعامله محمد بن زياد بالتوجه إلى اليمن لإخماد فتنة الأشاعرة هيأها للانفصال لا سيما بعدما قضى على الفتنة وخط مدينة زبيد وبنى سورها وأخضع القسم التهامي لنفوذه، وحينما اطمأن إلى قوة إدارته أعلن انفصاله عن الخلافة العباسية موقتاً أن خلفاء المأمون غارقون في مشكلاتهم، ولهذا اتخذ مدينة زبيد عاصمة له(2).

إن الخلافات التي ولدت خلال الخلافة الأموية وتفاقمت خلال الخلافة العباسية هيأت أرضية خصبة لكل الطامعين بالبروز أو لأعداء الأمويين والعباسيين على حد سواء، وكانت اليمن ومناطق الشمال الأفريقي من أكثر مناطق الخلافة الإسلامية تقبلاً لمثل تلك الزعامات الفردية مذهبياً كان أم سياسياً، وبما أن خلفاء المأمون تجاهلوا تصرفات محمد

---

(1) سعيد بن قيس يرجع على قبيلة أرحب أحد فروع قبيلة همدان بن زيد، وهي من أعرق القبائل اليمنية، وتقع على بعد 30 كم عن صنعاء، وتمتد حتى محافظة الجوف وإليها ينتسب مؤرخ اليمن الهمدان صاحب كتاب الإكليل (عشرة أجزاء) وكتاب صفة جزيرة العرب.

(2) الثور، مرجع سابق، ص 33.

ابن زياد وصموا آذانهم عن مخالفاته تدافع الأهالي للسير خلف أي زعامة، وقد تبنت العديد من المناطق اليمنية مثل ذلك، لدرجة أن اليمن شهدت أرضها قيام أربع عشرة دويلة، وبذلك غدت أرض اليمن تعج بالدويلات ذات الاتجاهات المتباينة إدارياً وسياسياً وثقافياً تحت شعارات مذهبية لم يكن بمقدور زعامات تلك المرحلة التستر بغير اللباس المذهبي كونه بضاعة رائجة آنذاك، وقد تجاهلت تلك الزعامات النتائج السيئة مستقبلياً على اليمن وأهلها، لا سيما أن تلك الزعامات كانت على معرفة أكيدة بالواقع القبلي المتأصل بالشعب اليمني وأرضه، فالقبيلة لدى اليمن تراث موروث منذ ما قبل الميلاد، وتجذر في أثناء الخلافتين الأموية والعباسية.

إن تلك الدويلات التي شهدتها الأرض اليمنية وإن بدت للغير أو لبعض الباحثين بأنها ظاهرة غير صحيحة، لكنها ولّدت ثقافات متنوعة ومتعددة الأهداف والمشارب وأفرزت كتّاب وشعراء وعلماء تركوا بصمات واضحة على الأدب بكل تنوعاته، علماً بأن هذه النهضة الثقافية كانت ذات خصوصية منفردة، ومن جانب واحد رغم تبنيها لوجهة نظر الحكام الذي تدور بفلكه تلك الثقافة، ناهيك عن النهضة العمرانية التي كانت هي الأخرى أكثر خصوصية، يضاف هذا وذاك النشاط الزراعي الذي تطور في عواصم تلك الدويلات، وبتعبير آخر فإن الإنسان اليمني عرف ديمقراطية السلطة والاختيار قبل أي منطقة إسلامية أخرى، وقد اعتاد الإنسان اليمني على مجابهة حاكمه رغم قساوة هذا الحاكم وظلمه، وقرض الشعر منذ نعومة أظفاره إضافة إلى ما منحته الطبيعة اليمنية من ذكاء ونباهة وفطنة.

إن قراءة لتاريخ هذه الدويلات التي قامت إثر انفصال اليمن عن الخلافة العباسية يلحظ بها ومن خلالها أن اليمني وعلى كامل ترابه قبليّ كان أم ابن مدن، خبير في أسلوب المقاومة وأستاذ بامتياز في استخدام السلاح، وليس بحاجة إلى مشاركة الغزاة مماليك كانوا أم عثمانيين أو مستعمرين كانوا فرنسيين أم إنجليز لتعليم الإدارة والمحاسبة ولا لافتتاح مدارس لتدريسه وتنويره، فهو أستاذ في القراءة والكتابة وفقيه في أمور الشرع

الشريف وقارئ متميز في تلاوة القرآن، ومزارع فطن في إقامة المدرجات وخبير في معرفة فن الزراعة، وتاجر نشط في علم التجارة، هذه المميزات التي تحلى بها الإنسان اليمني كانت نتيجة لتحمله تراث تحقيق أماني زعامات قذفتها رياح السلطة إلى اليمن، فحققت ما جاءت من أجله للأجيال اليمنية دون علم منها خدمات متميزة آنذاك ولا زال اليمني يقف في الصف الأول محلياً ودولياً ولا سيما في مجالات الأدب والثقافة والسياسة.

أ - الظروف الطبيعية :

لقد أجمعت الدراسات على أن اسم اليمن اشتق من لفظة يُمن أي البركة والخير، وحينما وصل الرومان إليها ومن خلال مؤرخيهم سموها (أريبيا فيلكس) أي العربية السعيدة[1]، وسماها العرب القدماء بلاد العرب السعيدة واليمن الخضراء[2]، ولهذا يعني أن لليمن طبيعة غناء جمالاً وخضرة ونضرة، ففيها الأشجار المثمرة وغير المثمرة، وبها زروع ونخيل وأعناب، وبها جداول وأنهار وسدود، ولها شواطئ وتواصل من الشرق إلى الجنوب، وبها سهول تهامه[3]. وفي الوقت نفسه، فلقد زودتها الطبيعة بجبال عبارة عن سلسلة عرفت بالسراة، وبها جبل النبي شعيب الذي يرتفع عن سطح البحر 3600م وبها مناطق صحراوية تمتد من حضرموت جنوباً إلى حدود الحجاز شمالاً والخليج العربي شرقاً بعرض قرابة 500 كم[4].

---

(1) عدنان ترسيسي، اليمن وحضارة العرب، بيروت 1964م، ص 14.

(2) منذر عبد الكريم البكر، تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدولة الجنوبية في اليمن، بغداد 1983م ص 68.

(3) الهمداني (حسن بن أحمد بن يعقوب) صفة جزيرة الغرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط3، بيروت 1983م، ص 90.

(4) أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، القاهرة 1964م، ص 17.

لقد عرفت اليمن منذ القديم بغزارة أمطارها الموسمية، وبتعبير آخر فإن التنوع الطبيعي من سهل متسع إلى جبال شاهقة عصية على الغزاة إلى صحراء قاتلة لعابرها إلى أمطار تبلل ترابها أكسبها طبيعة خاصة بها وحصنتها بتلك المميزات ليغدو اسمها اليمن بحيث تتفرد عن غيرها من بلدان الوطن العربي، ناهيك عن المواقع الاستراتيجية.

أما نشاطها الزراعي، فعلى الرغم من عجز التربة عن الإنبات، لكن اليمني وبجده، عمد إلى ضبط السيول التي تجرف بمياهها التربة، فلقد زرع اليمني كل المحاصيل وجنى الثمار والفواكه وفقاً لظروف بيئته، وشكلت الزراعة حيزاً كبيراً في تاريخ الحضارة اليمنية(1).

إن التنوع الطبيعي للأرض اليمنية ومياهها ومنتجاتها وموقعها حتم على أبنائها ممارسة التجارة، لأن تجار المشرق والمغرب والأوروبيين لا يمكنهم الاستغناء عن اليمن وموانئها وجزرها، واليمن بحسب واقعه والتجارب التي مر بها أبى إلا أن يكون مشاركاً ولا سيما أن التجارة قديماً كانت الطيوب تشكل عمادها واليمن منبعها ومصدرها، وقد جنت اليمن من تجارة الطيوب أموالاً كثيرة سخرت لإقامة السدود وترميمها وإقامة القنوات المائية وقنوات لري الأراضي، كما أسهمت في تنمية الحياة الاجتماعية المكون للمجتمع سواء قبلياً كان أم حضرياً(2)، علماً بأن التجارة تضررت بسبب صراعات الممالك اليمنية وبخاصة ما بين معين وسبأ وحضرموت وقتبان وأوسان ورغبت كل منهم بالسيطرة على طريق البخور البري أو طريق القوافل التجارية(3).

من الصعب جداً التحدث عن الضرائب التي كانت تجبى بسبب كثرة الدويلات وتعدد مشاربها واتجاهاتها الدينية، ولا سيما المذهبية، لكن ما أفادتنا مصادر تلك المرحلة أن

---

(1) م. ب، بيرتروفسكي، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعيبي، بيروت 1987م، ص 55.

(2) البكر، مرجع سابق، ص 383.

(3) المسعودي (أبو الحسن بن الحسين بن علي الشافعي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1958، ص 148.

أموالاً كثيرة كانت تجمع من رسوم البضائع التي تصل إليها أو التي تصدر منها، ويذكر عصام الدين الفقي في مؤلفه (اليمن في ظل الإسلام) أن ميناء عدن كان يرسو فيه ما يزيد عن سبعين سفينة قادمة من الهند وأفريقية وسائر البلاد المجاورة، وكانت كل سفينة تدفع العشر، أما البضائع فيؤخذ منها الزكاة المنصوص عنها في الشرع الإسلامي(1).

وهكذا نرى أن الظروف الطبيعية لليمن رغم قساوتها وضخامة جبالها وحرارة سهولها واقتتال دويلاتها، أنعمت عليها بنعم كثيرة، فلم تبخل الطبيعة عليها بشيء آنذاك(2).

ب - الظروف الاجتماعية:

إن القراءة الاجتماعية لليمن اتسمت بطابع قبلي، هذا التباين الاجتماعي للواقع اليمني جعلها أرضاً خصبة للقوى المحلية المتطلعة إلى زعامة، وكان رابط القبيلة أقوى بكثير من واقع الدم والحسب والنسب، علماً لا فضل في واقع الحسب والنسب إلا في حالات شبه استثنائية، ولهذا فقد شكلت القبيلة العمود الفقري لتكوين الدولة والمجتمع، وأدى أدواراً بارزة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، لأن القبائل تشكل 60% من المجتمع اليمني، وغالباً فإن هذه النسبة القبلية موزعة على ما يزيد عن مئة قبيلة صغيرة وكبيرة، تتبع كل قبيلة زعيمها الذي يشكل رمزها، ولهذا فليس هناك حدود لسلطانه، فبإمكانه أن يحرك القبيلة متى شاء، وهو المدافع عنها في الدوائر الرسمية.

ويضم البناء الهرمي للقبيلة اليمنية في قاعدته العريقة الممتدة التي تتكون منها القبيلة في المستوى الأعلى، ثم نجد فروع اللحام (البدنات) وهي الأقسام الفرعية للقبيلة الرئيسة والتي تأخذ طابع التقسيم والتسمية العشرية والكسرية مثل أرباع وأخماس وأسداس... الخ.

---

(1) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، اليمن في ظل الإسلام، دمشق 1981م، ص 244.

(2) اليمن شماله وجنوبه، دراسة موجزة من إصدار القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، دمشق 1975م، ص 17.

وهذه التقسيمات المختلفة، تشكل الأجزاء الفرعية والرئيسة التي تتكون منها القبيلة الواحدة باعتبارها وحدة اجتماعية قرابية وسياسية (مكانية) في الوقت نفسه، وهذا يعني أن النمط الهرمي في التقسيم القبلي الذي يتميز به البناء الانقسامي في اليمن، بجعل تنظيم القبيلة اليمنية[1] ليس تنظيماً رأسياً فقط، بل أن هناك نوعاً من التنظيم الأفقي أيضاً

تنظيم القبيلة اليمنية ليس تنظيماً رأسياً فقط، بل أن هناك نوعاً من التنزيم الأفقي ايضاً، فالقبيلة بأقسامها المختلفة ليست مجرد سلسلة من الوحدات القرابية والسياسية الرأسية التي لها هوية واحدة، ولكنها قبيلة تجزئية وراثياً، وكل جزء فيها يحتفظ لنفسه عند كل مستوى بهويته الخاصة وبقدر من السلطة والسيادة الاقتصادية والسياسية والحربية، أما بالنسبة للعلاقات والروابط القرابية القبلية، يتضح لنا أن شكل البناء للمجتمع الفعلي المعاصر هو شكل هرمي يبدأ بالجماعات القرابية (الوخدات البنائية الصغرى) ثم الأقسام القبلية الفرعية والرئيسية التي ترتبط ببعضها في وحدات قرابية وسياسية لتكون القبيلة الرئيسة الأم والرئيسة التي ترتبط ببعضها في وحدات قرابية وسياسية لتكون القبيلة الرئيسة الأم ثم القبائل المنتمية إلى نفس النسب، ثم القبائل الرئيسة المتحالفة، ثم الاتحادات القبلية الكبرى (مثل اتحاد قبائل بكيل واتحاد قبائل حاشد)، وتعتبر الجماعات القرابية والقبائل الرئيسة والفرعية والمتحالفة والاتحادات القبلية الكبيرة هي أساس البناء السياسي والعسكري القبلي التقليدي والمعاصر على حد سواء[2]، وتحكم هذه القبائل مشايخ بدءاً من شيخ القرية مروراً بشيخ العزلة ثم شيخ القبيلة (شيخ ضمان) ومن مجموع مشايخ القبائل ينتخب مشائخ التحالفات القبلية كشيخ لتحالف قبائل بكيل وشيخ لتحالف قبائل حاشد مثلاً. وهذه الزعامات القبلية المتمثلة بالمشايخ ظلت تحكم وتدير رجال قبائلهم ومناطقهم بشكل شبه مستقل عن الدولة والحكومة، مستمدين سلطتهم ونفوذهم مباشرة من أتباعهم لا من

---

(1) فضل أبو غانم، البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، دار الحكمة، صنعاء، ص 32-49.

(2) المصدر السابق، ص 222-223.

الدولة والحكومة. وتنقسم القبائل إلى قبائل زراعية مستقرة وقبائل رعوية شبه مستقرة، فالقبائل الزراعية المستقرة تتركز بشكل عام في مناطق الهضاب والمرتفعات العليا الغربية والشمالية والشرقية من اليمن، وهذه الجماعات لها تأثير قوي في الحياة السياسية والعسكرية في اليمن سواء في الماضي أو في الحاضر.

أما القبائل الرعوية شبه البدوية فتعيش في المناطق القريبة من الصحراء في أقصى مناطق الحدود الشمالية والشرقية من البلاد وكل هذه الجماعات لا تختلف في عاداتها وأعرافها وتقاليدها عن قبائل الهضاب والمرتفعات العليا الزراعية المستقرة، وعلى الرغم من نظام الانقسام والتعدد الذي تتميز به الوحدة السياسية القبلية في اليمن فإن سلطة الدولة الشرعية والنظرية لم تكن موضع معارضة من قبل القبيلة إلا في حالة تدخل الدولة في السيطرة أو التحكم في شؤون مناطقهم وقضاياهم المحلية لأنهم وكنتيجة للتوزيع الجغرافي والاجتماعي والسياسي لقطاع المجتمع القبلي الذي ظل لفترات تاريخية يحكم نفسه بنفسه بعيداً عن سلطة الدولة المركزية باتوا في وضع يدعوهم إلى معارضة ورفض أية سلطة خارجة عنهم وخاصة إذا ما حاولت هذه السلطة المساس بأي جانب من الجوانب التي تعتبرها الجماعات القبلية مقوماً من مقومات حياتها المادية أو المعنوية[1]، لأن ذلك في نظر القبيلة من مسؤولية مشايخ القبائل.

وكان سلوك هؤلاء المشايخ داخل مناطقهم ومع رجال قبائلهم يتم بطريقة ديمقراطية لكي يحتفظ الشيخ بمركزه ومكانته، ومن ثم يحفظ وحدة القبيلة التي يتزعمها، وفي كل الأحوال فإن الشيخ في القبيلة لم يكن ينظر إليه إلا أنه واجهة سياسية وأخلاقية يمثل قبيلته أو عشيرته. لهذا فقد كان على مشايخ القبائل إذا أرادوا أن يحتفظوا بولاء وإخلاص واحترام رجال قبائلهم، أن يعرفوا جيداً أن الوزن السياسي الذي يعطيه لهم مركزهم

---

(1) وهذا يفسر لنا مقومات القبائل المستمرة للدول اليمنية التي حاولت التدخل وبسط سلطتها، وسوف نلاحظ لاحقاً ما سوف يترتب على هذه المواقف للعثمانيين منمشاكل.

ومكانتهم الاجتماعية والسياسية القبلية يعتمد في النهاية على سلوكهم الديمقراطي ومعاملاتهم الحسنة مع كل الأفراد والجماعات في مناطقهم. ومن هنا يتضح لنا أن تضامن القبيلة مع زعمائها مشروط باحترام هؤلاء الزعماء لحقوق ومصلحة القبيلة، وكذلك العمل على تحقيق المصلحة لها.

وكانت القبيلة تعدّ كوحدة تنظيمية عسكرية وحربية، وقد أدت ضرورات الحياة المشتركة في المناطق القبلية وغياب الدولة المركزية عن تلك المناطق[1] إلى عدم استغناء واكتفاء كل قبيلة عن غيرها من القبائل الأخرى من حولها، وإلى قيام صلات وعلاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية بين معظم الجماعات القبلية، وأبرز هذه الصلات تتمثل في إقامة التحالفات والمعاهدات السلمية والروابط الأخوية (نظام المؤاخاة) وما نشأ عن ذلك من تحديد وتنظيم لعلاقات الجوار واحترام الحدود الجغرافية السياسية لكل قبيلة، وتنظيم استغلال المصادر الاقتصادية (مراعي، مصادر مياه، مناطق تحطيب، محاجر) المشتركة والمتجاورة، بالإضافة إلى تأمين الطرق وعمليات الانتقال بين مختلف المناطق القبلية، وقد نص عدد من المواد التي يتضمنها القانون (العرف) القبلي على العقوبات والجزاءات المختلفة الواجب اتخاذها ضد الفرد أو الجماعات في ظل حدوث اختراقات ومخالفات ترتكب في الظروف العامة أو داخل حدود قبيلة معينة، أو في أماكن الاجتماعات العامة مثل الأسواق وغيرها، كما حددت قواعد العرف القبلي والمعروفة بقواعد السبعين الأسس والإجراءات العامة والخاصة المتعلقة بأنماط السلوك والتعامل بين الأفراد والجماعات في المجتمع القبلي في حالة السلم والحرب[2].

---

(1) لم يكن هناك في بعض الأوقات دولة مركزية بالمعنى المعروف، فالبنسبة للأئمة فقد كان هناك أكثر من إمام في صنعاء وآخر في ذمار وثالث في الجوف ورابع في صعده، وهناك دولة في زبيد ودولة في عدن وغيرها.

(2) فضل أبو غانم، مصدر سابق، ص 253-292.

وقد أوضحت هذه القواعد دور وواجد كل قبيلة في تحمل مسؤولياتها وتبعات حوادث القتل والسلب الذي يتعرض له أي فرد أو جماعة من أبناء القبائل الأخرى وغيرهم من الأفراد داخل حدودها، كما حددت الشروط الواجب توفرها عند قيام الفرد أو المجموعة بطلب حق (الإجارة) أو الاحتماء بقبيلة أخرى أو شخص ما، وكذلك حق ما يعرف بالمؤاخاة. فالعرف القبلي يبيّن أن من حق أي قبيلة أو شخص توفير الحماية والأمن للفرد أو القبيلة التي تخشى على نفسها من الاعتداء أو القهر أو الأذى من قبل قبيلة أخرى، ولكن يشترط أن تكون حماية القبيلة لمن يطلب الاحتماء بها مقرونة بتحمل المسؤولية والتبعات والحقوق المقررة على الفرد أو الجماعة التي قبلت حمايتها(1).

وبناءً عليه فإن الفرد أو المجموعة قد وجدت هذا النظام والقانون (العرفي) القبلي حماية ووقاية من الظلم والقهر والاعتداء الذي قد يتعرض له الفرد أو الجماعة، ومن ثم فإن هذا القانون يمثل وسيلة ضمان للقيام بإجراءات التحكيم والتقاضي القبلي بطريقة عادلة ومتوازنة.

ويشير أبو غانم إلى أن هناك عوامل أخرى أسهمت في تثبيت واستمرارية النظام القبلي شبه البدوي، وأشار إلى أن هذا النظام يتجسد في قبيلتي حاشد وبكيل، وانطلاقاً من ذلك فالنظام الاجتماعي في اليمن يقرأ من خلال قبائلها، وإذا كان بعض المدن قد شهدت تجديداً في النظام القبلي، فهذا يعني أن تطوراً قد لامس المدن اليمنية وأخرجها من بيئتها القبلية.

لقد أدى الواقع القبلي دوراً بارزاً ورئيساً في مجمل الصراعات التي واجهتها اليمن فالزعامات المحلية أقامت دولتها مستندة على القبيلة، وغالباً فاليمنيون لم يكونوا يعرفون

---

(1) للمزيد من التفاصيل حول قواعد وأحكام العرف القبلي في اليمن وقواعد المسؤولية والجزاء ونظام التحكيم وأنواع العقوبات التي يحكم بها القانون القبلي، انظر فضل أبو غانم، مرجع سابق، ص 253-292.

الجيوش المنظمة التي تنضوي تحت قيادة واحدة، لأن اليمن كانت عبر تاريخها مجموعة دويلات تحت اسم اليمن، ولكن المؤرخين الأتراك يذكرون أن اليمنيين عرفوا التنظيم العسكري منذ عهد بلقيس[1].

جـ - الظروف السياسية:

من الصعوبة بشيء قراءة النظام السياسي لليمن، وأصعب من قراءته نقطة البدء، فإذا قرئ من الدور المعيني إلى الدور السبئي فالحميري أمر معقد، وإذا قرئ في المرحلة الإسلامية فالأمر أيضاً هو الآخر أكثر تعقيداً، غير أن اليمن لم يشهد حركات مناوئة، كما حدث في العراق والحجاز باستثناء الثورة الأباضية التي قادها عبد الله بن يحيى الكندي الأباضي مع بدايات القرن الثاني الهجري، أي سنة 129هـ/746م في حضرموت بناء على التقسيمات الإدارية آنذاك[2].

لقد تعرضت اليمن مع بدايات القرن الثالث الهجري إلى متغيرات جديدة توجتها الحركات المذهبية إثر الغزو الفكري والمذهبي الذي انتشر خلال المرحلة العباسية، وانعكس على اليمن بقيام دويلات بعضها أسهمت بها الروابط الأسرية مثل الزيدية التي قامت سنة 284هـ/898م بزعامة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، ثم القرمطية والإسماعيلية[3]، وهناك دويلات أسهمت بها إما ظروف خارجية وإما زعامات قبلية، وهذا النموذج إندثر دون أن يترك آثاراً تذكر، وقد شكلت الزيدية محوراً رئيساً في النظام السياسي والنضالي. وحالما آلت الأمور إلى أئمتها وأدارت السلطة في البلاد، فشلت وجرت البلاد إلى معارك واقتتال كانت أشد ضراوة من الصراعات السلطوية التي حدثت بين الدويلات السابقة التي قامت على الأرض اليمنية.

---

(1) جودت، تاريخ جودت، استانبول 1311، ج1 ص 350.

(2) عبد الله الشماحي، اليمن، الإنسان والحضارة، القاهرة 1972م، ص 99.

(3) نجم الدين عمارة اليمني، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع، مطبعة العلم، 1979م، ص 59 وما بعد.

صحيح أن دويلات قامت، لكن أمراءها وملوكها من أسر يمنية محلية بعضها مذهبي ومهم أسهم في بقائها واستمراريتها، غير أن العصر الحديث قلب الأحداث على تلك الدويلات فبعضها ذاب واندثر بفعل عدة عوامل، وبعضها الآخر تخلى للأقوى، واستمر الأمر في تجاذب إلى بداية القرن الخامس عشر الذي تزامن مع قدوم البرتغاليين ومحاولتهم فرض نفوذها على ميناء عدن، حيث تصدى لهم المماليك الذين ورثوا زعامة سلطوية إثر تصديهم للمغول في معركة عين جالوت 1260م[1].

لم يكن بمقدور المماليك التلكؤ حيال المحاولات البرتغالية، وبعد مقاومة ضارية مملوكية ويمنية، خرج البرتغاليون من المنطقة، ويمكننا أن نسمي هذه المرحلة آنذاك بوحدة المسلمين (سكان محليون + مماليك + عثمانيون) لأنها أسفرت عن مقاومة أقرتها الزعامة الإسلامية آنذاك[2].

استمر الوضع السياسي في اليمن مضطرباً بفعل تراكم الأحداث التي لم يعد بمقدور الإنسان اليمني تحملها، ولهذا تجزأت قواه، وغدا في حالة ضياع، فالبرتغاليون لديهم أسلحة حديثة وعناصر مدربة وهم يقاتلون خارج أراضيهم، فخسائرهم قياساً باليمنيين أو المماليك بسيطة وثانوية، والمماليك إن سعوا إلى طرد البرتغاليين فموقفهم السياسي ضعيف حيال العالم الإسلامي، وهم لا يريدون أن تقل انتصاراتهم عما فعلوه في عين جالوت ونالوا شهرة المدافعين عن الإسلام.

إزاء هذه الأحداث حُق للمماليك التدخل بشؤون اليمن، ولا سيما المدن القريبة من الساحل، أما الجزء الشمالي فقد خضع لعدد من الأسر الزيدية المتناحرة على السلطة لا سيما بعد وفاة الإمام محمد علي الوشلي، وبذلك يكون جنوب اليمن خاضعاً للسلطان عامر

---

(1) محمد بن إسماعيل الكبسي، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، القاهرة 1984م، ص 76.

(2) مصطفى عبد الكريم الخطيب، استقلال اليمن الأول عن الإدارة العثمانية، ص 53، رسالة دكتوراة لم تنشر بعد.

ابن عبد الوهاب، ومع سنة 1558م تفاقم الصراع ما بين شمال اليمن برئاسة الزيدية والجنوب برئاسة أتباع الشافعية[1].

إن قراءة هادئة لتاريخ اليمن السياسي قبيل القرن الخامس عشر تسفر عن أن التبدلات السياسية في اليمن كانت بيد الدولة الرسولية 1229-1454م ومحاولة سلاطين بني رسول تطلعهم إلى إخضاع اليمن لنفوذهم مدعومين من المماليك الذين زودوهم بحملة سنة 1399م لنصرة السلطان المجاهد الرسول ضد منافسيه على العرش[2].

2- الصراعات التي واجهتها اليمن :

ذكرنا سابقاً أن التواجد البرتغالي في اليمن وسواحل الخليج العربي أقلق المماليك وكاد أن يقلل من شأنهم العالم الإسلامي، ولهذا أرسلوا حملات متتالية لطردهم، وفي الوقت نفسه فإن الاقتصاد المملوكي أصيب بنكسة بسبب سيطرة البرتغاليين على مصادر تجارة التوابل والسلع الشرقية.

عمد السلطان المملوكي قانصوه الغوري (1501-1516م) إلى المباشرة بالتصدي للبرتغاليين، فحصّن سواحل البحر الأحمر استعداداً للدفاع عن الأماكن المقدسة في جدة المنفذ البحري لمناطق الحجاز وبعض المدن السودانية مثل سواكن واليمنية عدن[3].

لقد لقي السلطان المملوكي قانصوه الغوري مساعدة سرية من البندقية التي فقدت أهم مورد تجاري (التوابل)، وفي الوقت نفسه فقد خاطب قانصوه الغوري السلطان العثماني

---

(1) الخطيب، رسالة دكتوراه، مرجع سابق، ص 54.

(2) أحمد سالم بن شيبان، الوجود المملوكي في اليمن 1515-1538م، الشارقة 1983، ص 42.

(3) الهمداني، حسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، صنعاء 1990م، ص 78.

بايزيد الثاني وطلب مساعدته، فلبى السلطان بايزيد، وكانت المساعدة العثمانية تقتصر بادئ الأمر على توفير الأخشاب لبناء أسطول بحري يواجهه البرتغاليين[1].

ويذكر جودت في تاريخه أن المساعدة العثمانية للمماليك لم تكن مقبولة من قبل أكبر دولة إسلامية، لكن تخوف العثمانيين من ازدياد قوة المماليك وتعاظم نفوذهم قد يقلل من هيبتهم، لا سيما أن العثمانيين غير مطمئنين للمماليك الذين يرتبطون مع الصفويين بعلاقات ود وصداقة، فوق هذا فالمماليك يعمدون إلى تحريض بعض المماليك القرمانية ضدهم، كذلك فقد عمد المماليك إلى استقبال (جم) أخو السلطان بايزيد سنة 1485م غير أن مضايقة البرتغاليين هي التي دفعت قانصوه الغوري لطرد جام (جم) من بلاده[2].

أرسل السلطان المملوكي قانصوه الغوري حملة بحرية بقيادة حسين الكردي الذي عمل على تحصين ميناء جدة، وبعدها اتجه بأسطوله إلى الهند مروراً بالموانئ اليمنية إلى أن بلغ ميناء سورات سنة 1507م[3].

تمكن حسين الكردي مع حلفائه من الهنود بشن هجوم مفاجئ على الأسطول البرتغالي والحقوا به خسارة كبيرة في ميناء شول حيث كان يرسو فيه مطمئناً، غير أن القائد البرتغالي فرانسيسكو الكبير، أعد حملة بحرية رداً على ما فعله المماليك والهنود، وهاجم الأسطول المملوكي الراسي في جزيرة ديو للتموين والإصلاح، وألحق به هزيمة سنة 1509م دمرته تدميراً كاملاً، فاضطر حسين الكردي للعودة إلى جدة بما بقي لديه من سفن بحرية[4].

---

(1) حسن إبراهيم سعيد، الصراع حول السيطرة على البحر الأحمر، ملف العلاقات المملوكية اليمنية، عدن 1989م.

(2) جودت، مصدر سابق، ج3، ص 400.

(3) سورات ميناء من موانئ سلطنة كجرات الإسلامية في الهند، شيبان، مرجع سابق، ص 74.

(4) المرجع السابق، ص 74.

لقد شكلت هزيمة ديو حداً فاصلاً في تاريخ البحرية الإسلامية، فقد أنهت السيطرة العسكرية الإسلامية على البحار الشرقية، ومهدت لبدء مرحلة الاستعمار واستنزاف خيرات الشرق إلى الغرب الأوروبي، كما قللت من قوة المماليك، وشعر المسلمون بأن المماليك لم يعد بمقدورهم حماية العالم الإسلامي، وتوجهت أنظار المسلمين إلى العثمانيين الذين تمكنوا من تحطيم القوة الفارسية سنة 1514م، ولهذا فحينما هاجم السلطان سليم الأول المماليك في معركتي مرج دابق والريدانية 1516-1517م، وقف السكان المحليون موقف المتفرج[1].

ويعلق جودت على هزيمة المماليك في معركة ديو بالقول: «إن المماليك كانوا ضعافاً في قوتهم البحرية، لأنهم اعتقدوا أن القوة البرية كافية لحماية سلطانهم، فضلاً عن ذلك فقد كانت تحركاتهم العسكرية (البحرية والبرية) لم تكن منظمة تنظيماً كافياً، وأنهم حركوا قواهم العسكرية انطلاقاً من مصالحهم الخاصة، وأنهم تغافلوا عن الاهتمام بتدريب عساكرهم التي انصرفت إلى التجارة»[2].

أ - الصراع الطاهري الطاهري على الحكم:

تفيد المصادر والمراجع الإسلامية أن الطاهريين برزوا على الساحة اليمنية منذ عهد الدولة الرسولية التي عهد حكامها إلى علي بن طاهر بن تاج الدين بن معوضة الأموي وأخوه عامر بن طاهر بالولاية على عدن، وقد انقلبوا في الأيام الأخيرة على الدولة الرسولية التي ضعفت وتأفف اليمنيون منها، ولا سيما سكان مدينة زبيد الذين شكوا أمرهم إلى المجاهد عامر بن طاهر وتمادي العبيد عليهم. فنهض عامر سنة 859هـ/1454م فدخل مدينة زبيد وبعض المدن الأخرى دون قتال وبمساعدة جياش بن سليمان أحد موالي بني رسول وبعض أعيان قبيلة القراشين[3].

---

(1) جودت، مصدر سابق، ج3، ص 416.
(2) المصدر السابق، ج3، ص 437.
(3) الثور، مرجع سابق، ص 85، قبيلة القراشين من أعظم قبائل تهامه وأكثرها عدداً وأغلبها بأساً ونجدة.

عمد بنو طاهر منذ توليهم السلطة على وضع نظم وقواعد لضبط مسألة إدارة البلاد خشية من حدوث صراع على السلطة، وقرر السلطان ظافر الأول والسلطان المجاهد علي إدارة أمور السلطنة معاً وعدم السماح للأمراء الباقين بدخول عدن إلا بإذن من السلطان(1).

لم تجد الإجراءات التي اتخذها السلاطين الطاهريون نفعاً في تجنب الصراع الأسري على السلطة، لأن النظام التعليمي كان حكراً على أفراد الأسرة الحاكمة، وأن الأمراء الذين يجيدون كل فنون الحرب وحمل السلاح وركوب الخيل، يحق لهم إجراء مبارزات فيما بينهم والفائز يتولى القيادة العسكرية أو يعين والياً أو الاثنين معاً، وبذلك غدا لكل أمير من أفراد الأسرة الحاكمة عدداً من الجند والأتباع، وبمرور الزمن ومع تزايد الضعف غدا كل أمير يتدافع لاستلام السلطة(2).

تحولت المنافسة إلى صراع إثر وفاة السلطان المجاهد علي سنة 1479م، وفي أثناء مرضه عهد إلى ابن أخيه عبد الوهاب بن داؤود الذي لقب نفسه بالمنصور 1479-1490م ولتأمين توليه السلطان تسلل سراً إلى عدن ليلة وفاة عمه وأخذ البيعة من أخوانه وأبناء عمومته، وبعد أن اطمأن على المبايعة واستقرار الأوضاع أعلن وفاة عمه(3).

احتج أولاد الظافر عامر الأول الذي توفي سنة 1416م على ولاية السلطان المنصور، ورأوا أحقيتهم باستلام السلطة منه، فتحصنت زوجة الظافر عامر الأول وأولادها في قلعة تعز وتزودوا بلوازم الحرب استعداداً لمقاومة المنصور الذي رفض بشدة أي حق لهم، وحينما ازداد صخبهم توجه إلى تعز وتخلص من بعض المشاغبين، ومنها تحرك إلى زبيد وبرفقته أحمد بن عامر، في حين فر يوسف بن عامر من زبيد إلى

---

(1) ابن الديبع (عبد الرحمن بن علي الربيع الشيباني الزبيدي)، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق عبد الله محمد الجشي، صنعاء 1979، ص 121.

(2) المصدر السابق ، ص 159.

(3) المصدر السابق ، ص 160.

مكة ومنها إلى جيزان فبلاد بني حفص، ولما بلغها المنصور دارت حرب طاحنة أسفرت عن مقتل أحمد بن عامر، وحينما علم يوسف بن عامر بمقتل أخيه انحاز إلى جانب عمه المنصور وحققا نصراً ذهب ضحيته أكثر من أربعمئة قتيل[1].

خلف السلطان المنصور ابنه عامر الذي تولى السلطان سنة 1488م وقد سار عامر على خطة أبيه في ملاحقة أعدائه وتمكن من مواجهة تحالف طاهري ضد قادة أبناء الظافر عامر الأول، فاستولى على حصن جبن، وعندما وصل الظافر عامر بن عبد الوهاب (1488-1517م) فر العصاة بقيادة عبد الله بن عامر إلى جبل حرير[2]، وظل يلاحقه إلى أن تمكن منهم، غير أن المنافسة لم تنته، وقد أدرك السلطان عامر أن الصراعات الداخلية التي تعيشها دولته سواء فيما بين أفراد الأسرة الطاهرية أو مع الأئمة الزيديين أو مع القبائل الخارجة عليه، تقتضي الإسراع في حسم الأمور والانتهاء من منافسيه، فعمد إلى الاستيلاء على معاقلهم الرئيسة والحصون التي يتحصنون بها، كما ألقى القبض على خاله محمد بن عامر وزجه بالسجن عند أخوته، وبحركة ضده تمكن من إضعاف المنافسة الأسرية ضده[3].

ب - الصراع الزيدي الطاهري :

ينتسب المذهب الزيدي إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[4] عليه السلام المتوفى مقتولاً سنة 122هـ/739م، يتميز هذا المذهب بأن يتفق مع

---

(1) ابن الديبع، مصدر سابق، ص 164.

(2) ابن الديبع، ثمرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكوع، صنعاء 1988م، ص 431.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 432.

(4) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. ولد سنة 765هـ وقتل في 5 محرم 122هـ/739م، ومناقبه أجلّ من أن تحصى، وفضله أكثر من أن يوصف، خرج أيام هشام بن عبد الملك بعد أن بايعه أهل الكوفة ولكنهم تفرقوا عنه ليلة خروجه، ولم يبق معه سوى ثلاثمئة رجل، وبعد قتله صلب لمدة أربع سنوات في مكان يقال له الكناسة، ثم أنزل وحرق وذر رماده في نهر الفرات.

أصول العقيدة الشيعية العام كالقول بالنص واعتبارها حجر الزاوية فيما يتصل بالحكم، فضلاً عن ذلك فهو أكثر انفتاحاً على المذاهب الإسلامية الأخرى.

لقد حددت الزيدية مجموعة من الثوابت في مقدمتها اختيار الإمام وتأكيد مبدأ الشورى بغية مراعاة هذه الثوابت وتحري الصفات الجيدة الواجب توافرها بالإمام. وقد انتشر المذهب الزيدي في اليمن إثر دخول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسمي إلى اليمن سنة 284هـ/892م وبويع بالإمامة في مدينة صعدة وتلقب بالهادي إلى الحق وخوطب أمير المؤمنين(1).

لم يكن المذهب بمنأى عن دائرة الصراع الداخلي بين أقطابه وزعاماته التي تهافتت على السلطة متجاهلة في أحيان كثيرة بعض الشروط التي يجب توافرها بالإمام، غير أن التباين في مواقف الأئمة ولّد صراعات جانبية بغية لفت أنظار المتصارعين على السلطة إلى تحرشات خارجية أملاً في الوصول إلى تهدئة، غير أن هذا التحرك الذي نشب بين الزيدية والطاهريين جر على اليمن ويلات كثيرة، فلقد زهقت أرواح وهدرت إمكانات وطاقات ودمرت مزروعات ومناطق عمرانية، وقد أسهمت تلك الصراعات في إضعاف الدولتين، وعمقت العداء بين الطرفين، حصدت أجيالهما آثارها السلبية.

وتفيد المصادر والمراجع أن الطاهرين لم يكونوا راغبين بالدخول في صراع مع الأئمة الزيديين لأن لديهم مشكلات محلية وصراعات أسرية أنهكت دولتهم وجعلتها عرضة للهجمات الخارجية، غير أن الإمام الناصر بن محمد استغل انشغال الطاهرين بالتصدي لابن دجانه حاكم الشحر لاحتلال عدن، فشن غارة على مخلاف رادع جنوب شرقي ذمار وذلك سنة 1458م غير أن الطاهريين تحاشوا المواجهة، وتقابل الإمام الناصر مع الظافر عامر الأول وتصالح معه، وعاد الإمام إلى صنعاء(2).

---

(1) العرشي، حسين بن أحمد الزيدي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، مخطوطة نشرها الأب الأنستانس الكرملي، القاهرة 1939م، ص 58.

(2) ابن الربيع، ثمرة العيون، مصدر سابق، ص 410.

إن تصالح الظافر عامر الأول مع الإمام الناصر بن محمد، فسره الإمام على أنه موقف ضعف وعجز ولهذا عمد الإمام إلى تكرار الإغارة وذلك في سنة 1460م، فرد الطاهريون على غارة الإمام والتقى الطرفان في معركة رفع، وقد انتصر الإمام بعدما تكبد الكثير من أتباعه ما بين قتلى وأسرى، في حين قتل من الطاهرين محمد بن طاهر أخو السلطانين المجاهد والمظفر، واستولى الإمام على ذمار وعدد من حصون الطاهرين[1].

إن هزيمة الطاهرين أمام الإمام الناصر، أرغمت الطاهريين إلى إعادة حساباتهم وأدركوا أن ما حققه الإمام من انتصارات سيدفعه مستقبلاً إلى مهاجمتهم، وبتعبير آخر أنه سيشكل خطراً على دولتهم الفتية[2].

غدت مدينة ذمار موضع تجاذب ما بين الطاهريين والأئمة الزيديين، وفي سنة 1465م هاجم السلطان المجاهد وأخوه الظافر صنعاء، غير أن الأهالي تحصنوا بها، وعجز الطاهريون عن دخولها فلجؤوا إلى إتلاف البساتين التي تحيط بها، وقد نتج عن ذلك أن الإمام اضطر لإجراء صلح مع السلطان المجاهد الذي قبل بالصلح مقابل من المال يدفعه الإمام له، ومن ثم قفل السلطان المجاهد عائداً إلى جبن[3].

عمد أهالي صنعاء إلى مراسلة السلطان الظافر بحضوره إلى صنعاء بحجة أن الأهالي يرغبون بتبعيتها للدولة الطاهرية، لكن السلطان المجاهد حذر أخاه من هذه الدعوة، غير أن السلطان الظافر أيقن بدعواهم، وتوجه إليهم، وما إن بلغ المدينة حتى أحاطت به القوات الزيدية، وبعد مقاومة ضارية، قتل السلطان الظافر، وبعد توسط عدة شخصيات لإيقاف الاقتتال الدائر، توصل ابن سفيان وبمساعدة السلطان المجاهد، ولجأ الطرفان الإمام والطاهرين إلى فترة هدوء بعدما قرر السلطان المجاهد الالتزام بمناطقه، وترك بلاد الأئمة الزيديين لشأنها[4].

---

(1) بامخرمة، أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والأهدل والجندي، القاهرة، 1991م، ص 195.

(2) ابن الربيع، قرة العيون، مصدر سابق، ص 199.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 200.

(4) بامخرمة، مصدر سابق، ص 204.

عادت الصراعات ما بين الأئمة والطاهريين ولا سيما في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب[1] الذي عمل على تقوية دولته، وكان الأئمة يخشون سطوته، وبخاصة بتطلعه إلى السيطرة على صنعاء عاصمة الجزء الشمالي، ففي سنة 1502م أرسل السلطان عامر جيشاً إلى ذمار ومن ثم لحق بالجيش، وحالما بلغها استولى عليها، وفي السنة نفسها توجه إلى صنعاء، وكان الإمام مستسلماً غير أن أهل صنعاء استنجدوا بالإمام محمد علي الوشلي والأمير محمد بن حسين الحمزي صاحب صعدة، وتمكن من رد قوات عامر بن عبد الوهاب عن صنعاء بعدما توصلا إلى عقد صلح، غير أنه صلح من طرف واحد، وبالأحرى لم يكن أياً من الطرفين يرغب بصلح دائم[2].

إن الصراع ما بين الأئمة والطاهريين أسفر عن ضحايا تكبدها الطرفان، غير أن خسائر الأئمة كانت أكثر من الطاهريين الذين يملكون جيشاً يقوده سلطانهم، في حين كان أنصار الأئمة يفتقرون إلى التدريب والسلاح، غير أن إعلان الإمام شرف الدين يحيى عن إمامته ودعوته أهل صنعاء وبقية المدن لنصرته وسعت مناطق نفوذه على حساب الطاهريين[3]، لكن عامر بن عبد الوهاب فكر جدياً بضم المناطق الواقعة في أقصى شمال اليمن لدولته مستغلاً قدوم وفود من صنعاء إليه والإرباك الذي حل بأنصار الإمام شرف الدين وذلك سنة 1514م[4]، غير أن السلطان الطاهري استغل الظروف، فقد بعث بجزء من قواته إلى صعدة، والجزء الآخر عهد إلى علي بن محمد البعداني لتسوية الأمور وضرب أنصار الإمام في مناطق صعدة وغيرها من المناطق الأخرى، وقد تناسى السلطان الطاهري أن الواقع القبلي يسبق الولاء، ولهذا فإن بعض القبائل الخاضعة

---

(1) من الملاحظ أن أول سلاطين الدولة الطاهرية السلطان الظافر عامر بن طاهر وآخر سلاطينها السلطان الظافر عامر بن عبد الوهاب كليهما قد لقيا مصرعهما على أبواب صنعاء أثناء مهاجمتهم لها.

(2) ابن الديبع، ثمرة العيون، مصدر سابق، ص 452.

(3) بامخرمة، مصدر سابق، ص 210.

(4) يحيى بن الحسين بن القاسم محمد، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق عبد الفتاح عاشور، القاهرة 1968م، ص 475 .

للسلطان الطاهري أعلنت خروجها عن طاعته، علماً بأن الطاهريين كانوا حذرين في تعاملهم مع القبائل ولا سيما القبيلة القرشية، وفي سنة 1489م عمدت قوات الطاهرين إلى القيام بغزوة القرشيين وحلفائهم وقد أسفر عنها قتل عدد من القرشيين وأنصارهم، ثم عمدوا إلى الهدوء لكن بعض أفرادهم ظلت تمارس أعمال سلب ونهب ضد المناطق المجاورة لهم، ومما حدا بالأمير علي بن محمد البعداني إلى توجيه ضربة للقرشيين سنة 1510م أخرجتهم من قرية التحيتا[1].

لم تكن قبيلة القرشية هي القبيلة التي قضّت مضاجع الدولة الطاهرية، فلقد حذت قبيلة المعازبة حذوها في ممارسة أعمال سلب ونهب، ورغم تحذيرات السلطان الطاهري لهم، غير أنهم استمروا باعتدائهم معتدين بكثرة عددهم. فقد هاجمهم السلطان المجاهد سنة 1456م وقتل منهم أعداداً كثيرة، واضطروا مرغمين لمصالحته ودفع 60 فرس كل سنة، غير أن المعازبة نكثوا بوعودهم فغاروا على مناطق الدولة الطاهرية وغنموا عشرين رأساً من الخيل[2].

وقد أكدت المصادر اليمنية أن الطاهرين اعتادوا سنوياً على مهاجمة مناطق المعازبة ولا سيما منطقة نخل المدبي الخاص بقبائل المعازبة[3]، ويستولون على ثماره سواء أكان المعازبة مسالمين أو أعداء، وبتعبير آخر، فإن الطاهريين يفرضون على قبائل المعازبة غرامات كثيرة ويستخدمون معهم قسوة وشدة بهدف إخافتهم وتقديمهم الولاء لهم[4].

لم تستكن قبيلة المعازبة على تجاوزات الدولة الطاهرية وأتباعها، ولهذا فلقد شهدت المنطقة صراعاً حاداً ما بين الطاهريين أنفسهم، وما بين الطاهريين والأئمة وأيضاً مع قبائل القرشية والمعازبة، لدرجة أن الدولة الطاهرية لم تعد تملك القدرة على مواجهة أعدائها[5].

---

(1) ابن الديبع، قرة العيون، مصدر سابق، ص 411.
(2) يحيى بن الحسين، مصدر سابق، ص 603.
(3) ابن الديبع، بغية المستعيد، مصدر سابق، ص 145.
(4) ابن الديبع، قرة العيون، مصدر سابق، ص 432.
(5) بامخرمة، مصدر سابق، ص 203.

لم تكن الظروف تساعد الطاهرين على الاستمرار بمهاجمة قبيلتي القرشية والمعازبة لأن خلافهم مع الأئمة الزيديين قد تفاقم، وكان على سلاطين الدولة الطاهرية الرد على تعديات الإمام الناصر بن محمد، غير أن الطاهريين لم يعد بمقدورهم تجاهل تعديات الأئمة ولا سيما بعد معركة رفع الذي قتل فيها محمد بن طاهر أخو السلطانين المجاهد والظافر، وتعدّ سنة 1461م بداية الصراع الفعلي ما بين الأئمة والطاهرين[1].

تتالت القبائل اليمنية بالخروج عن طاعة سلاطين الطاهريين، ففي سة 1489م أعلنت قبيلة يافع العصيان على السلطان عامر بن عبد الوهاب إثر إصداره أمره إلى حاكم عدن محمد بن عبد الملك بطرد خمسمئة من أبناء يافع، وقد استغلت قبيلة يافع انشغال عامر بن عبد الوهاب بتصفية منافسيه على السلطان، وفي سنة 1498م حدث بين الطرفين معركة كبيرة أسفرت عن هزيمة قبيلة يافع، كما استولى على حصونها، وفي الوقت نفسه فقد أعلنت قبيلة العامريين خروجها عن طاعة سلاطين الدولة الطاهرية، ففي سنة 1475م عمد يوسف بن عامر إلى شن غزوة على قبيلة العامريين نهب منازلهم وشرد رجالهم وغنم مغانم كثيرة، كما تعرضوا إلى غزوة سنة 1491م في عهد عامر بن عبد الوهاب حيث كلف أحمد بن إسماعيل السنبلي بالتوجه إلى مضارب القبيلة العامرية، وفي سنة 1494م قاد عامر بن عبد الوهاب غزوة أخرى على معاقل القبيلة العامرية، ولم يتمكن من إلحاق هزيمة بها، لأن أفراد القبيلة أعدّوا ما لديهم من قوة للمواجهة، ولهذا فقد كانت الحرب بينهما سجالاً، فضلاً عن ذلك فقد اتصفت مناطق القبيلة العامرية بوعرتها[2].

لقد أُنهكت الدولة الطاهرية بسبب صراعها الطويل مع الأئمة والقبائل اليمنية، هذا الصراع إضافة إلى الصراع الداخلي الأسري عرّض مناطقها إلى تدمير للمزروعات وقطعت الأشجار تجنباً من أن تستخدم من قبل أعدائهم الذين تمكنوا من التسلل إلى مركز الدولة لأن أعمال السلب والنهب كانت سمة من سمات القبائل، فضلاً عن مطالبتها بالثأر

---

(1) ابن الديبع، مصدر سابق، ص 441-442.

(2) ابن الديبع، قرة العيون، مصدر سابق، ص 448.

والتطلع إلى امتلاك مناطق وأقاليم على حساب جيرانها[1]. ويضاف إلى هذا فإن سلاطين آل طاهر حلموا بإقامة دولة في اليمن، كان من الصعب بل من المستحيل إقامتها لأسباب أبرزها الطابع القبلي الذي تعتمده قبائل اليمن.

جـ - الغزو المملوكي لليمن :

لقد تطلع البرتغاليون إلى الشرق منذ عهد الملك يوحنا الثاني (1481-1495م) وقد بدأت طلائع هذا الغزو بوصول بعثة إلى القاهرة سنة 1487م بحجة اعتناق الإسلام، ومنها توجهت إلى جدة برفقة قافلة حج قادمة من أفريقية، فزارت عدد من إمارات أو دول الخليج العربي، وبعدها توجهت إلى عدن، فجمعت خرائط ومعلومات تفصيلية عن المحيط الهندي، وأطلع أفرادها على القدرات العسكرية للمنطقة.

ومع بدايات القرن السادس عشر بدأت طلائع الغزو البرتغالي تتوافد على منطقة مركزة اهتمامها على ميناء عدن حيث كان يعد آنذاك من أكثر بلدان العالم تجارة، إضافة إلى الثراء الذي ينعم به أهل عدن، لأن سفن المنطقة وما جاورها كانت تتوافد عليه تصديراً واستيراداً، وبالغزو البرتغالي وتكالبه على المنطقة بدأت موارد الدولة الطاهرية تتضاءل وخسرت مصر الكثير من واردات التجارة وصادراتها، وذلك باعتماد البرتغاليين على رأس الرجاء الصالح، مما دفع عامر بن عبد الوهاب إلى توجيه حملة لمواجهة الخطر البرتغالي، غير أن إمكانات البرتغاليين العسكرية كانت أقوى بكثير من إمكانات دول المنطقة بما فيها الدولة المملوكية في مصر، فعمدوا في سنة 1510م إلى احتلال جزيرة هرمز، وبما أنها لم تحقق طموحاتهم الاقتصادية، فقد ركزوا اهتمامهم على البحر الأحمر وصولاً إلى مكة، وعملوا للإسراع للاستيلاء على مدينة عدن، كما أعدوا خط لمواجهة القوات المملوكية، وعندما تبين للسلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب عجز الدولة المملوكية عن مواجهة البرتغاليين، تجنب عدم التحرش بهم، ومنع بعض اليمنيين

---

(1) ابن الديبع، مصدر سابق، ص 450.

من مهاجمة البرتغاليين تخوفاً من مدفعيتهم التي تطال القرى والجزر القريبة من عدن ولا سيما جزيرة كمران[1].

تزايد احتكار البرتغاليين لتجارة الشرق، وتزايد تدهور الاقتصاد المملوكي في مصر وذلك بسبب عجز المماليك العسكري عن مواجهة البرتغاليين، فاضطر المماليك بسبب عجزهم وتخوفهم من تعاظم الخطر العثماني وهزيمتهم في معركة ديو سنة 1509م إلى اتباع سياسة دفاعية عن البحر الأحمر، فلجؤوا إلى إقامة نقاط عسكرية تجارية على سواحله، وكلف السلطان المملوكي قانصوه الغوري حسين الكردي بالتوجه إلى مكة والمدينة ترافقه قوة عسكرية لحمايتها من أي خطر برتغالي، وقد عمد حسين الكردي إلى بناء الأسوار حول جدة، ونظراً لقلة صادرتها، عمد حسين الكردي إلى مصادرة أموال التجار، وإرغام الأهالي على العمل ببناء الأسوار[2].

إن هجوم البرتغاليين بقيادة البوكيرك على عدن سنة 1513م دفع عامر بن عبد الوهاب للاستنجاد بالمماليك الذين عمدوا إلى إقامة قواعد بحرية على السواحل اليمنية، غير أنه تراجع لأن حملة البوكيرك لم تحقق أهدافها وأصيبت بفشل ذريع دون مساعدات خارجية، إضافة إلى تأكده من عجز المماليك عن حماية بلاده من الخطر البرتغالي[3].

أرسل السلطان المملوكي قانصوه الغوري حملة ثانية إلى الهند، وكان عامر بن عبد الوهاب قد رفض تزويد الحملة بحاجاتها، فنشب خلاف حاد بينه وبين حسين الكردي المتوجه إلى الهند، فلجأ حسين الكردي إلى تغيير سير خط حملته إلى اليمن ونهبها، ومن بعدها تابع طريقه إلى الهند.

---

(1) عبد الله محيرز، صيرة أبحاث عن بعد معالم عدن ومرافقها الاقتصادية والعسكرية، عدن 1992م، ص 51.

(2) محمد عبد الكريم عكاشه، العلاقات اليمنية المصرية في العهد المملوكي، عدن 1989م، ص 52-60.

(3) بافقيه الشحري (الطيب محمد عمر) تاريخ الطيب، مكتبة الأقحاف، رقم 2025.

استغل بعض القوى اليمنية خلاف حسين الكردي مع السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب وعملت على تعميق الخلاف وأجرت اتصالاً مع المماليك لتشجيعهم للنزول في جزيرة كمران بغية الاصطدام مع عامر بن عبد الوهاب وإزالة دولته، وقد رحب حسين بهذا الاتصال وتطلع إلى إقامة قواعد بحرية تحدياً لعامر بن عبد الوهاب الذي رفض ذلك سابقاً[1].

عدّ تغيير سير الحملة المتوجهة إلى الهند أصلاً إلى اليمن بداية الغزو المملوكي لليمن، وبما أن الحملة المملوكية زادت حاجتها إلى التموين فقد اضطر حسين الكردي للجوء إلى ميناء الحديدة، لكن حاكمها الطاهري رفض تزويده، فلجأ حسين إلى رمي المدينة بالمدفعية فدمرها واضطر أهلها إلى الهرب منها، فنزل جنود الحملة المملوكية ونهبوها ومن ثم توجهوا إلى جزيرة كمران[2].

أعلن الطاهريون مقاومتهم للمماليك، لكن أنصار المماليك وعدد من القبائل مثل قبيلة الزيدية، والقرشية والمعازبة، فضلاً عن أعداء الدولة الطاهرية الذين تحالفوا مع حسين الكردي يعاونه الأتراك الساخطين على الطاهريين مثل المغاربة والشامية وهاجموا الجيش الطاهري سنة 1516م وبسهولة دخلوا زبيد وغيرها من المناطق الأخرى، ولتأكيد سيطرة المماليك عمد حسين الكردي إلى تعيين برسباي والياً على زبيد[3].

لقد تنفس الأئمة الزيدية الصعداء بتمكن حسين الكردي من إلحاق هزائم بالطاهريين لأنهم كانوا في ضائقة شديدة من الطاهريين.

---

(1) ابن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت 1983م، ص 278.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 279.

(3) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني، بيروت 1986م، ص 21.

بدأت الوفود تفد إلى حسين الكردي مقدمة له الطاعة والولاء مثل صاحب اللُحية الفقيه أبو بكر بن مقبول وغيره من الشخصيات اليمنية التي كانت تعاني ضيقاً من تصرفات سلاطين الدولة الطاهرية[1].

لم يكن بمقدور الجيش الطاهري مواجهة القوات المملوكية، ولهذا انهزمت أمامها بسرعة، ولتجنب الخسائر توجه عبد الملك بمن بقي معه إلى عفر، في حين دخل حسين الكردي زبيد، وبعدما عين برسباي والياً عليها توجه إلى احتلالها فوصلها في 12 آب (أغسطس) 1516م على رأس حملة تتألف من 21 سفينة، وفور وصوله قصفها بالمدفعية وبعدها أنزل قواته إليها، غير أن أهلها قاوموا المماليك مقاومة ضارية وتمكنوا من ردهم عن مدينتهم[2]، وبعد مقاومة أضطر المماليك إلى ترك المدينة مهدمة الأسوار، وهذا ما سهل على البرتغاليين الذين قدموا إلى عدن وهي في حالة عجز تام، فاضطر حاكمها للتعامل مع البرتغاليين وزودهم بالمؤن اللازمة، كما أرسل معهم مرشدين بحريين، وبطريقهم مروا على بعض المناطق والجزر لدراستها والاطلاع على أحوالها، وأكملوا طريقهم إلى مضيق هرمز[3].

إن فشل المماليك في احتلال عدن دفعهم للعدول عن إرسال حملتهم إلى الهند، ووجدوا أن السيطرة على البحر الأحمر ستحمي الهند ، ولهذا عمدوا على احتلال تهامة اليمن متخذين منها خط دفاعهم الأول، ومن خلالها سيتمكنون من احتلال عدن التي ستكون خط دفاعهم الثاني، وقد أيد برسباي تفكيره هذا وعاهده على مشاركته في حصار عدن، وبعدما اجتمعا في المخا وقررا المباشرة بمحاصرة عدن، إلا أن الملك الطاهري عامر بن عبد الوهاب قرر الانتقام من المماليك لمقتل أخيه وولده، بعدما رفض الصلح

---

(1) عيسى بن لطف الله بن المطهر شرف الدين، روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، صنعاء 1981م، ص 22 وما بعد.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 22-23.

(3) بافقيه الشحري، مصدر سابق، ص 140.

الذي عرضه عليه حسين الكردي واعتقد أنها خدعة منه، فجمع قواته وهاجم قوات حسين الكردي والقائد برسباي الذي يقود قوات عثمانية[1]، والتقى الطرفان في منطقة يقال لها قرية التريبة سنة 1516م، وقد أسفرت المعركة عن هزيمة عامر بن عبد الوهاب ومن معه، فاضطر للانسحاب متوجهاً إلى تعز ودخلها في سنة 1517م[2].

لم تكتف القوات المملوكية بتحقيق الانتصار بل تعقبت عامر إلى مدينة تعز، وحالما علم بملاحقته فر إلى إب، وقد تفرقت جنوده، وبهذا تمكن المماليك من دخول تعز دون مقاومة تذكر، لكن عامر جمع قواته ولاحق المماليك المتجهين إلى صنعاء، ورغم معارضة أخيه عبد الملك لتصرفه هذا لكنه صمم على ملاحقتهم، والتقى الطرفان بالقرب من صنعاء ودارت بينهما معركة ضارية أسفرت عن مقتل أخيه عبد الملك وفرار عامر ووقوعه في الأسر ومن ثم قتله، ودخل المماليك صنعاء[3].

إن دخول المماليك تعز ثم صنعاء أكد انتصاراتهم على الدولة الطاهرية، ومنح المماليك حرية السيادة على اليمن وأزال الوجود الطاهري الذي عدّه المؤرخون أقوى دولة منظمة حكمت اليمن، كما عدّ عامر بن عبد الوهاب أقوى سلاطينها وأشهرهم[4]، علماً بأن اليمن شهدت خلال حكم الدولة الطاهرية حروباً دامية وطويلة بين الأئمة الزيديين وبينها وبين أقوى القبائل اليمنية، ناهيك عن الصراع الأسري الذي أنهك قواها ودمر إمكاناتها، هذا الصراع هو الذي ساعد المماليك على إزالتها، لأنه في أثناء صراعها مع المماليك لم تبق قوة صغرت أو كبرت إلا وشاركت المماليك، فضلاً عن ذلك فلقد ضرب البرتغاليون

---

(1) بافقيه الشحري، مصدر سابق، ص 130، حيث يذكر أن برسباي قتل في تلك المعركة فولوا المماليك عليهم القائد إسكندر.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 133.

(3) تضاربت الآراء حول مقتله، ويذكر بافقيه الشحري وابن الديبع أن عامر فر من المعركة إلى جبل نقم فلاحقه المماليك وقتلوه هناك قبل توجهه إلى حصن ذي مرمر الذي كان ينوي التحصن به، للمزيد، بافقيه الشحري، مصدر سابق، ص 132، ابن الديبع، قرة العيون، مصدر سابق، ص 495.

(4) شرف الدين، عيسى بن لطف الله، مصدر سابق، ص 38.

حصاراً بحرياً عليها، وبمحاصرة لبرتغاليين لميناء عدن فقدت الدولة الطاهرية أكبر مورد اقتصادي حال دون تطويرها لقواتها التي أثارت جميع القوى المحلية ضدها هذه الأسباب إضافة على قوة المماليك قياساً بها، زالت الدولة الطاهرية .

3- السيطرة العثمانية على اليمن :

لم تكن اليمن بالدولة التي تعرف الهدوء، ولا بالدولة التي يمكنها أن تدافع عن نفسها وليس لديها قدرة للاختيار، دويلات متصارعة أنهت نفسها بنفسها، وتمكن الطاهريون من إزالة الدولة الرسولية وغيرها من القوى الأخرى، لكن قبائل نمت على هامش الأحداث تزامن معها زعامة مذهبية مثلها الأئمة الزيديون الذين لم يكونوا على دراية بإعداد قواتهم ولهذا مرة يتحالفون مع قبائل ومرة أخرى يلجؤون إلى التزام الحياد إلى أن ظهر المماليك الذين تولوا مقاومة البرتغاليين[1].

لم يكتف البرتغاليون بعدن بل سيطروا على تجارة الخليج بكل سواحله، وبنجاح البوكيرك البرتغالي[2] في الاستيلاء على مضيق هرمز سنة 1507م وازداد نفوذه بشكل أقوى وأفضل من السابق سنة 1515م بعقده معاهدة مع شاه إيران الذي تنازل عن مضيق هرمز[3]، لجأ البرتغاليون إلى إتباع أساليب وحشية لفرض سيادتهم على مناطق الخليج، وتمكنهم من إخماد الثورات سواء في هرمز أو مناطق الخليج مثل مسقط والبحرين وقرية وسحار[4]، ولزيادة نفوذهم وزيادة تحكمهم أرسل البرتغاليون حملة بحرية إلى البصرة وقصفوها بالمدافع بشكل وحشي نظراً لمقاومة أهلها لهم وعدم استقبالهم بحسب وجهة نظرهم.

---

(1) جودت باشا، مصدر سابق، ج1، ص 153.

(2) البوكيرك هو نائب ملك البرتغال وقائد قواته في بحر الهند والبحر الأحمر.

(3) المصدر السابق نفسه، ج1، ص 154.

(4) ismail Hakki uzun çarşili. Osmanli Tarihi, Istanbul,. C. 3. s. 12.

أ – السيطرة الاسمية العثمانية 1517-1538م:

أدرك المماليك الذين فرضوا نفوذهم على اليمن عدم قدرتهم على مقاومة البرتغاليين الذين يمتلكون معدات حربية متطورة، فضلاً عن ذلك فإن العثمانيين شاركوا في مواجهة الدولة الطاهرية والقضاء عليها بعد مقتل عامر بن عبد الوهاب آخر سلاطين الدولة الطاهرية.

أدار المماليك الجراكسة اليمن الممزقة ما بين المماليك والزيدية والقبائل الموالية إلى الدولة الطاهرية المندثرة كإدارة، علماً بأن المماليك لا يسيطرون فعلياً على زبيد ومناطق تهامة وما جاورها من مناطق، في حين مد الإمام شرف الدين نفوذه إلى أقصى الجنوب وتمكن من استقطاب القوى السياسية الرئيسة في تلك المناطق، وغدا يحظى بنفوذ قوى سيؤهله للتصدي للعثمانيين الذين سيخضعون اليمن لسيطرتهم بدءاً من سنة 1538م[1].

وتفيد المصادر والمراجع العثمانية أن وفداً من مماليك اليمن توجه إلى مصر سنة 1517م وقدم الطاعة والولاء للسلطان العثماني سليم الأول (1512-1520م) وقد رحب السلطان سليم الأول بالوفد واكتفى آنذاك بولاء مماليك اليمن، لأن ظروفه الداخلية والخارجية لم تكن تساعده على تحريك قوات خارج مصر، وقفل عائداً بعد معركة الريدانية إلى بلاده[2].

أدار المماليك اليمن باسم العثمانيين بدءاً من سنة 1517م، فقد أرسل القائد إسكندر المخضرم وفداً إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم وقدم له مراسم الطاعة والولاء، وتفيد المصادر العثمانية أن وفداً من مماليك اليمن برئاسة إسكندر بك القرماني وصل استانبول

---

(1) ولد الإمام شرف الدين سنة 1475م وتلقب بالمتوكل ودعا بالإمامة في حجة ويعدّ من أكثر الأئمة اجتهاداً بالمذهب الزيدي، وقد ألف عدة مؤلفات في المذهب الزيدي، للمزيد، عيسى لطف الله، روح الروح، مصدر سابق، ص 58.

(2) Hulusi yavuz yemen de osmanli idaresive rumuzi Tarihi, Ankara 2003. s. 159 .

سنة 1517م محملاً بالهدايا وقدم الوفد الولاء[1]، فحمل السلطان سليم الوفد فرماناً سلطانياً مع خلعة وسيف إلى القائد إسكندر المخضرم يقضي بتعيينه والياً على اليمن، وقد عرّفته المصادر والمراجع آنذاك باسم إسكندر المخضرم لأنه شهد عصرين متلاحقين عهد المماليك وعهد العثمانيين[2].

أفادت المصادر العثمانية والعربية، أن المماليك الذين أداروا اليمن تألموا كثيراً لسقوط دولتهم في مصر وبلاد الشام، وقد تخوفوا من عبور السلطان سليم الأول إلى اليمن في حال عدم تقديمهم الولاء، ولهذا فقد اضطروا إلى مجاملته والاعتراف بسلطانه، لكنهم في الواقع كانوا يكنون العداء للعثمانيين، فضلاً عن ذلك فقد تخوفوا من اتفاق اليمن فيما بينهم ويتآمرون عليهم[3]، ولهذا فهم بحاجة إلى قوة تحميهم من اليمنيين نتيجة للجرائم التي ارتكبوها بحقهم، فضلاً عن ذلك فهم يعلمون أن العثمانيين ارتكبوا مجازر بشعة بحق أبناء جلدتهم في مصر، فآثروا الاعتراف بالعثمانيين كأفضل حل يقيهم القتل والتدمير، وعلى الرغم من تقديمهم الولاء ووصول فرمان السلطان سليم الأول بتثبيته (الإسكندر المخضرم) والياً على اليمن، لكنه تخوف كثيراً فعين نائباً عنه في صنعاء وتحرك مع بعض خاصته كما اصطحب الشريف صاحب جيزان وعبد الملك بن محرم العنسي، غير أن قبائل حبش ورياب وغيرهما قطعوا الطريق عليهم وسلبوهم ما معهم من حلي ومجوهرات[4]، وبصعوبة بالغة تمكن الوالي إسكندر المخضرم من الوصول إلى زبيد في 19 أيلول سنة 1517م.

أغفلت المصادر والمراجع الأحداث والصراعات التي دارت بين الطاهريين والمماليك، وكل ما ذكرته أنه في سنة 1527م حاول مماليك صنعاء أن يوسعوا دائرة

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مجلس والاي نمره: 36.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، سجلات الديوان الهمايوني نمره: 293.

(3) المصدر السابق، نمرة 294.

(4) يحيى بن حسين، مصدر سابق، ص 656.

نفوذهم، لكن الطاهريين تصدوا لهم، ومما زاد من قوة المماليك انضمام ابن عم عبد الملك ابن محمد الطاهري إلى صفوف المماليك والعثمانيين وعمل معهم كدليل ومرشد، ولهذا شدد المماليك الحصار على عبد الملك بن محمد الطاهري الذي احتمى بحصن المصراخ، غير أنه التجأ إلى الشيخ الغيلاني من آل عمار بعدما نفذت ذخيرته وما لديه من مؤن[1].

لم يتصور الإمام أن المماليك قدموا للاستقرار في اليمن، ولهذا ناصر الأمير حسين الكردي ضد عامر بن عبد الوهاب، لكنه فوجئ باستقرار المماليك ولا سيما بعدما حصل إسكندر المخضرم على فرمان سلطاني يقضي بتعيينه والياً على اليمن، ولهذا انتقل الإمام إلى ثلا منذ 1517م استعداداً لمهاجمة المماليك المستقرين في صنعاء، غير أن المماليك طالبوا الإمام بعقد صلح، وكاد الإمام أن يقع في شراك المماليك إلا أن أحد الأشخاص ويدعى الليث الدوخي نبهه إلى ذلك[2]، وبالفعل فقد عمد المماليك إلى الغدر بالإمام الذي أسرع من صنعاء إلى ثلا ، وقد فشل المماليك في اقتحام حصن ثلا لمناعته وقوة مدافعيه، فعادوا إلى صنعاء في 5 يونيو سنة 1517م، وحينما علم الإمام بإعلان تبعيتهم للعثمانيين توجه إلى صنعاء فاستقبله أهلها بالحفاوة والترحب وعدّوه المنقذ لهم من ظلم المماليك[3]، فتخوف المماليك من احتجاج أهل صنعاء عليهم، وطالبوهم بالخروج من صنعاء، وقد اشترط المماليك الأمن، فتعهد المطهر ابن الإمام بمرافقتهم وحمايتهم، وبالفعل جمع المماليك حوائجهم مما خف وزنه من النقد وغيره، وغادروا المدينة متجهين إلى حليفهم الشويع صاحب عمران، وبعدما استقروا اتفقوا على مهاجمة الإمام في مقره ثلا، لكنهم فشلوا في اقتحامه وقد قتل في هذه المعركة 25 شخصاً من الشراكسة واضطروا إلى الإقلاع عن مهاجمة الإمام، وقرر قسم منهم التوجه إلى تهامة للالتحاق بأبناء جلدتهم، والبعض الآخر فضل الالتحاق بابن المؤيد[4].

---

(1) عيسى لطف الله، مصدر سابق، ص 39.

(2) المصدر السابق، ص 22.

(3) المصدر السابق، ص 39.

(4) المصدر السابق، ص 40.

ب – السيطرة العثمانية الفعلية 1538-1555م :

إن الصراعات التي شهدتها اليمن هي التي شجعت المماليك للقدوم إلى اليمن، وبتوجههم إلى اليمن بدلاً من إكمال رحلتهم إلى الهند تجدد الصراع ما بين المماليك والدولة الطاهرية وبات البرتغاليون يسرحون في مناطق الخليج مدركين أن المسلمين يتصارعون فيما بينهم ، هذا الصراع الذي قدر له الاستمرار أكل المناطق اليمنية، ولهذا فإن الدولة العثمانية ورثت تركة مملوكية في اليمن مثقلة بالهموم، فالبرتغاليون في البحر الأحمر يستنزفون خيرات مناطقه وهم متفوقون عسكرياً وقد تمكنوا من تحويل الطريق التجاري إلى رأس الرجاء الصالح، فتعرضت المنطقة إثر ذلك إلى ضعف شديد في تجارتها ولا سيما الدولة المملوكية التي لم تستطع أن تقاوم العثمانيين، وقد أزالهم العثمانيون من تاريخ البشرية نهائياً[1].

لم تكن ظروف الدولة العثمانية تجيز لها إرسال قوات عسكرية إلى اليمن إضافة إلى معرفة القادة العثمانيين بأن اليمن رغم ما تحظى به من أهمية لكنها غارقة بمشكلات داخلية وخارجية وعلى الدولة العثمانية إذا رغبت بإزالة السلطة المملوكية التي تمثلها، فإن الأمر يقتضي منها ضرب جميع الأطراف لتوطيد الأمر، لكن إزالة الأطراف كلها أمر في غاية الصعوبة، فالأئمة الزيديون ليسوا غرباء كالمماليك والطاهريين[2]، وهذا قد يتطلب زمناً طويلاً إضافة إلى إمكانات كبيرة، علماً بأن العثمانيين قبل دخولهم اليمن رسمياً تلقوا خطابات عديدة من أطراف عديدة، فمثلاً عامر بن داؤد طمع بدعم العثمانيين له على الإمام شرف الدين، ومع وصول الحملة العثمانية القادمة من مصر طلب قائد الحملة سليمان باشا الخادم (الأرناؤوطي) من حاكم عدن عامر بن داؤد السماح للجنود العثمانيين بدخول عدن لقضاء حوائجهم وتأمين لوازمهم وأغراضهم[3]، وكان الخادم قد وضع خطة

---

(1) عطا الله باشا، تاريخ عطا الله، استانبول 1313، ج1 ص 98.

(2) المصدر السابق، ج1، ص 102.

(3) المصدر السابق، ج1، ص 102.

للاستيلاء على عدن، وعندما أبلغه فرحات أحد معاونيه بأن القوات استولت على المواقع المهمة، ولهذا فقد عمد سليمان باشا إلى إعدام عامر بن داؤد وأصحابه الذين كانوا ضيوفاً على سفينة القيادة، وتركهم على سارية السفينة ثلاثة أيام، وحينما اطمأن على وضع مدينة عدن عيّن القائد بهرام رئيساً عليها، وترك له قرابة خمسمئة جندي لحراستها وللمحافظة على الأمن وبتصرف سليمان باشا الخادم يكون قد أسدل الستار على الدولة الطاهرية في اليمن(1).

وقد أكدت المصادر العثمانية أن سليمان قد لجأ على إتباع الحيلة خوفاً من إراقة الدماء، لأن الصدر الأعظم حذره من إتباع القسوة حيال اليمنيين لأنه لا يريد أن يكونوا أعداء، ولهذا فقد عمد إلى مراسلة الإمام شرف الدين يحيى وطلبه إلى التفاهم والمصالحة، لكن الإمام كان حذراً من مراسلة سليمان ورفض بشدة مقابلته(2).

وكان الصدر الأعظم إبراهيم باشا قد تلقى الفرمان التالي:

إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا دام إقباله

وصلت إلى مسامعنا عن استعدادكم لإرسال الأسطول بمهمة عاجلة إلى اليمن وإذا ثبت صحة ذلك فعليكم توخي الحذر في معاملة أهل اليمن، فاليمن بلدة سئمت من كثرة الصراعات وعليكم عدم ممارسة الظلم والقسوة بحقهم، كما ينبغي عليكم أن تحذروا عساكرنا الشاهانية من الاعتداء وارتكاب مخالفات، ولن نسامح آغوات الإنكشارية إذا حدث عكس إرادتنا السامية.

2 رجب 940هـ/1523م

---

(1) Bu Bilgiler için bk: Kel-mekki el-Berku, Iyemenî s. 16.

(2) Yildiz everaki, K 1, 331. لقد عاد الوزير إبراهيم باشا لإصلاح ما أفسده أحمد باشا الخائن وغيره من المفسدين، وقد تلقى إبراهيم باشا فرماناً سلطانياً من سليمان يحذره من ارتكاب المخالفات.

إلى إبراهيم باشا دام إقباله، فرمان بيورلدي.

أعلمتمونا أن الريس سليمان أخبركم أن الفوضى تنتشر في كل أنحاء اليمن وأنها مملكة لا حاكم ولا سلطان وأن الريس حسين استولى عليها، ولطالما الأمر كذلك، أرسلوا قواتنا لضبطها وربطها، واحذر أن ترتكب قواتنا أعمال مخالفة للشرع، فإن اليمن أوصى بها رسولنا الكريم، وأمر آغوات الإنكشارية بالتزام الحذر وليمتنعوا عن قتل النفس البريئة، واعملوا على إصلاح أحوال، ولاحقوا البرتغاليين الخنازير الذين يعتدوا على الأمة المحمدية واضربوهم بشدة إذا مارسوا الأذى والتعدي على الأمة المحمدية واعلمونا بأحوالها، وأرسل مع القبطان داريا عساكرنا الشاهانية وحذرهم من ارتكاب المعاصي بحق رعيتنا، وليكن هدفك إطاعة إرادتنا السنية[1].

23 ذي القعدة 941 هـ/1534م

أدرك الصدر الأعظم الذي اطلع على أحوال اليمن وأعلم استانبول بأحوالها وورد إليها أمرين بضرورة توخي الحذر، وأن الصراعات التي حدثت ما بين حسين الرومي ثم وفاته وبين مصطفى الرومي والريس سلمان لم تكن من الأحداث التي تقلق الدولة العثمانية ولأن الصدر الأعظم إبراهيم في مصر يسوى شؤونها، وعليه تسوية أحوال اليمن، ومن ثم وجه السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) إلى والي مصر بضرورة بناء سفن لإرسالها إلى الهند ثم العراق، وأنعم على سليمان باشا بلقب وزير وعيّن خسرو باشا والياً على مصر[2].

أولى السلطان سليمان القانوني العراق شأناً خاصاً فقد كلف إبراهيم باشا بإعداد قوة للتوجه إلى العراق بغية استعادته وطرد الفرس منه، ولذلك فإن الحملة التي ترأسها سليمان باشا الخادم كانت حسب الأوامر وجهتها العراق، وفي الوقت نفسه فإن السلطان سليمان القانوني كان مهتماً بإعداد حملة إلى الهند لنصرة المسلمين فيها، وكان سلطان

(1) سجلات الديوان الهمايوني، سجل رقم 11 وثيقة رقم 1117.

(2) سجلات الديوان الهمايوني، سجل رقم 17 ص 185.

كجران ورسول من بهادور قد قابلوا السلطان سليمان سنة 1527م قبل فتح العراق[1]، إلا أن الظروف آنذاك لم تكن تسمح بإرسال حملة، لأن السلطان سليمان كان مهتماً بفتح فيينا.

لم يوفق سليمان باشا الخادم في مهمة سفنه التي وجهها إلى الهند، وعادت نفسه من حيث أتت، كذلك فإن المدن اليمنية التي احتلها لم تحقق له احتلال اليمن، وقد حاول المماليك عدم الالتزام بوعودهم تجاه الدولة العثمانية، لكن البحارة العثمانيين الذين قدموا لمساعدة المماليك الذين اعترفوا بالسيادة الاسمية للعثمانيين، غير أن وصول سليمان باشا الخادم بحملته البحرية إلى جزيرة كمران حسمت الخلاف الدائر بين مختلف القوى المتصارعة في اليمن مثال صراع المماليك فيما بينهم وصراعهم مع الأئمة الزيديين، صراع الزيديين فيما بينهم وصراع الزيديين مع المماليك وفيما بعد مع العثمانيين[2].

صحيح أن العثمانيين قبلوا لظروف خارجة عن إرادتهم بخضوع اليمن للسيادة العثمانية من خلال المماليك الذين استوطنوا في اليمن ولا سيما في عدن وزبيد وتهامة، وكانوا بعيدين عن اقتتال الزعامة الزيدية على السلطة، لكن بعد سلاطين المماليك واقتتالهم مع سلاطين بني طاهر، دفعهم للدخول في الاقتتال الزيدي الزيدي، علماً بأن العثمانيين كانوا يتطلعون إلى فرض سيادتهم المباشرة على اليمن، لكن ظروفهم كانت أقوى من تطلعاتهم، غير أن ممارسة المماليك لأعمال السلب والنهب، ومحاولتهم فرض كيان خاص بهم في أثناء ولاية عامر بن عبد الوهاب شجعت العثمانيين على إزالة القوى المتصارعة في اليمن كلها، وقد نجح العثمانيون في مساعيهم ما عدا إزالة الأئمة الزيديين الذين تحصنوا في مناطق صنعاء وقاوموا العثمانيين مقاومة ضارية[3].

تذكر بعض المصادر العثمانية أن العثمانيين توسعت مداركهم في أثناء احتلالهم للمصريين، ووضعوا اليمن في مقدمات أولوياتهم، لكن كما ذكرنا سابقاً، الظروف لم

---

(1) سجلات الديوان الهمايوني، سجل رقم 13 ص 24.

(2) عطا الله، مصدر سابق، ص 45.

(3) بافقيه الشحري، مصدر سابق، ص 137.

تساعدهم على احتلال اليمن، ومما سارع في إعداد حملة إلى اليمن البرتغاليون الذين وسعوا مناطق نفوذهم، وما فعله شاه فارس الذي تنازل للبرتغاليين عن جزيرة هرمز[1].

عدة أحداث أسهمت في تفاقم الأمور، من أهمها رفض إسكندر المخضرم السماح لحسين الرومي بمواجهة حملة برتغالية يقودها لوبرسكريرا تتطلع لاحتلال جدة، وعندما فشلت توجهت إلى مصوع، وأنزلت أول مبعوث برتغالي إلى الحبشة[2]. هذه الأحداث شجعت العثمانيين على القيام بمحاولة غير مباشرة لاحتلال اليمن التي تعيش حالة صراع محتدم. تحرك الصدر الأعظم إبراهيم باشا بسرعة، لدى تلقيه أمر السلطان سليمان القانوني بضرورة تسوية أوضاع اليمن، حيث جاء بفرمان السلطان سليمان[3]:

إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا دام إقبال حكم

ورد إلى سدتنا العلية أن اليمن تعيش حالة صراع ما بين مؤيدينا من المماليك وعناصرنا المكلفة بمناصرة المماليك لقتال الكفار البرتغاليين، نطلب إليكم تسوية الأمر بسرعة، وإعلامنا بمن وليتم عليها من أتباعنا، وأعلمونا عن حاجتكم من عساكرنا المنصورة، وليتم تلافي الأمور حسب المطلوب. واعلموا أنكم تعملون لمرضاتنا وصيانة ممالكنا المحروسة، واحذروا التلكؤ في تسوية أحوال الولاية وقد عهد فيكم اللياقة وحسن تصريف الأمور[4].

5 رمضان 940هـ/1533م

أعطى الصدر الأعظم توجيهات على وجه السرعة، وتحرك إلى ولاية حلب لملاقاة السلطان سليمان في حلب، وهناك تولى قيادة القوات لفتح العراق، ومن ثم لحق به السلطان سليمان القانوني وقد تم فتح العراق سنة 1534م[5].

---

(1) جودت باشا، مصدر سابق، ج3، ص 240.

(2) ismail Hakki uzun çarşili, Osmanli Tarihi, Ankara, 1983. s. 150.

(3) جودت باشا، المصدر السابق، ج3، ص 245.

(4) سجلات الديوان الهمايوني، مهمة دفتري نمره (9) وثيقة رقم 395.

(5) جودت، مصدر سابق، ج3، ص 246.

لم يغفل والي مصر ولا قادته عن إعداد حملة لفرض سيطرة العثمانيين على اليمن، ففي سنة 954هـ/1538م توجه سليمان باشا الخادم على رأس حملة وتعد آنذاك من جملة الحملات الضخمة التي أعدتها الدولة العثمانية، وكانت الحملة مؤلفة من ثمانين سفينة متنوعة وعشرين ألف جندي من جنود الشام ومصر وسبعة آلاف إنكشاري انطلقت من السويس. وقد علّق عدد من المؤرخين وبخاصة المؤرخ سيد مصطفى سالم على شخصية سليمان الخادم حيث ذكر بأنه غير مؤهل لقيادتها، وأنه كلف به لأنه كان أحد مماليك السلطان سليم الأول (1512-1520م) وأن لسليمان باشا الخادم تجارب غدر وخيانة، وهو من الخصيان وأنه لا يعرف الجندية ولا سيما البحرية[1].

على الرغم من الصفات السيئة بسليمان هذا فقد تمكن من دخول عدن، وأعدم عامر ابن داؤد على سارية سفينة القيادة، وأنه كعادته خدع عامر ومن حوله، وعين بهرام والياً على عدن بعد أن اطمأن على أن الأمور أصبحت بيده، لكنه لم يوفق في إكمال خطته إلى الهند، وبدت حملته فقط للسيطرة على اليمن وليس محاربة البرتغاليين[2].

إن اهتمام السلطان سليمان القانوني بفتح فيينا بدت وكأنها قضية رئيسة بالنسبة له، لكن فيينا لم تسمح بدخول العثمانيين إليها، ولهذا فقد وجه السلطان سليمان القانوني اهتمامه إلى فتح العراق، وبعدما تمكنه من فتحه، شدد على ضرورة ربط اليمن بالدولة العثمانية، لأن الشخصيات التي كانت تحيط بوالده، أشارت عليه أن والده السلطان سليم الأول (1512-1520م) تقدم إليه مماليك من اليمن وقدموا له مراسيم الطاعة والولاء، ومن مصر أكمل الوفد المملوكي طريق إلى استانبول وأعاد ثانية تقديم الولاء وأن السلطان سليم قبل بالمماليك كممثلين له في إدارة اليمن[3].

---

(1) سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، ط 3، 1978م ص 162.

(2) المرجع السابق نفسه، ص 162.

(3) قوجي بك، تقرير قوجي بك، مكتبة نور عثمانية رقم 6753.

إن معظم المصادر العثمانية ومراجعها لم تتحدث الكثير عن العمليات العسكرية في اليمن، لأن البدايات الأولى للتحرك العثماني باتجاه اليمن لم تكن مدروسة، وإنما اتخذت شكل التسلل العسكري إلى تلك المناطق، فالمهمة الأولى التي كلف بها سليمان باشا الخادم كانت دحر البرتغاليين في الهند، وفي أثناء مروره توقف في عدن وتصرف بغير ما تعرفه الروح العسكرية، لكن سليمان أطنب في تحركاته وشرح للسلطان سليمان القانوني الأسباب والدوافع التي واجهها في الهند، وعدّ سليمان باشا الخادم أن توقفه في عدن لتزويد سفنه بما تحتاجه من مؤن وحوائجه هي التي أملت عليه ودفعته إلى فعل ذلك[1].

بلغت الحملة العثمانية عدن مع مطلع سنة 1538م منطلقة من السويس، وكانت مهمة سليمان باشا الخادم ليس عدن فقط وإنما أيضاً الهند، لكن سليمان عمد إلى ضرب سواحل البحر الأحمر ومعظم المناطق المواجهة له، فاحتل عدن بطريقة المخادعة وأعدم آخر سلاطين بني طاهر عامر بن داؤد ثم فرض سيطرته على الشحر برضا من حاكمها بدر بن الطويرق، وبعدما عيّن القائد بهرام على عدن، انطلق إلى الهند ديو[2]، لكن الظروف لم تساعده على تحقيق مهامه التي كلفه بها السلطان سليمان القانوني، فتذرع بحجج، ورفع حصاره على القلعة التي يحتلها البرتغاليون بمواجهة البحر، وبعد عجزه عن مواجهة القوات البرتغالية، قرر العودة إلى المياه العربية، وقرر إكمال فتح المناطق اليمنية، وفور وصوله عين بدر الطويرق حاكماً على حضرموت، وراسل حاكم المخا المملوكي الذي تردد كثيراً في عدم الاستجابة إلى طلب سليمان باشا لمعرفته الأكيدة بغدره، غير أن أعوانه أرغموه على الاستجابة، فذهب لمقابلته وعلى الفور أعدمه في حين اعتمد على

---

(1) مصطفى سالم، مصدر سابق ص 163، وقطب الدين، مصدر سابق ص 49، وبجوى باشا، مصدر سابق، ج1 ص 224.

(2) مصطفى سالم، المصدر السابق ص 163، وقطب الدين، المصدر السابق ص 49، وبجوى باشا، المصدر السابق، ج1 ص 224.

بعض المماليك لإكمال احتلاله لليمن، وبدهائه قضى على مماليك زبيد وباحتلاله لزبيد غدا وجهاً لوجه مع الأئمة الزيديين الذي يمثلهم آنذاك الإمام شرف الدين بن يحيى[1].

لم يتوان سليمان باشا عن إعداد قواته، فلقد حصن جزيرة كمران ووضع المدافع فيها تحسباً من أعمال عدائية، وبعدها أخضع ميناء جيزان للسيادة العثمانية، وتابع طريقه إلى جدة.

لقد أفادت المصادر العثمانية أن سليمان باشا الخادم تمكن من فرض السيادة العثمانية على السواحل اليمنية بدءاً من جيزان شمالاً حتى عدن والشحر جنوباً، في حين ظلت بقية المناطق ولا سيما الداخلية موضع تنازع حاد ما بين العثمانيين والإمام شرف الدين[2].

لم يقف العثمانيون موقف المتفرج من الأئمة الزيديين، بل أعدوا قواتهم لطرد الإمام من المناطق التي يسيطر عليها، لأنهم عدّوا سيطرتهم على اليمن غير مكتملة، وأن الإمام هو السلطة الأقوى وهذا لا يرضاه العثمانيون، فبلغوا صعدة، وتمكن الوالي ازدمير باشا (1549-1555م) من تحقيق ما عجز عنه الولاة الذين سبقوه[3].

لجأ العثمانيون إلى اعتماد أسلوبين في التوسع داخل اليمن إضافة إلى المقاومة الضارية حيال البرتغاليين، ففي الأسلوب الأول ركزوا قواتهم بكل مواصفاتها في المنطقة الجنوبية من البحر الأحمر، لأن ذلك يسهل عليهم التحرك داخلياً وساحلياً، ولن يكونوا في موضع إلزامي إما أن يستسلموا وإما أن يموتوا جوعاً وقهراً، والأسلوب الثاني بالإمكان صرف قوتهم لمواجهة البرتغاليين وإقامة صلح ولو مؤقت مع الزيديين الذين لا يرغبون بمواجهة العثمانيين[4].

---

(1) يجوى باشا، مصدر السابق ، ج1، ص 226.

(2) Ismail Hakki, s. 450 مرجع سابق.

(3) المرجع السابق، ص 455.

(4) صولاق باشا زاده، تاريخ صولاق، مصدر سابق، ص 53.

طالما أن السلطان سليمان القانوني على عرش الإمبراطورية العثمانية فإن مسألة تفوق العثمانيين في السيطرة على معظم المناطق قضية محسومة، لأن الجيوش العثمانية آنذاك تعدّ أقوى الجيوش وأكثر عدداً، ولا سيما أن اليمن أنهكتها الصراعات والمشاحنات، ولم يبق من قوة تواجه العثمانيين إلا القوة الزيدية، فالدولة الطاهرية والمملوكية أزالهما العثمانيون من اليمن ولم يبق سوى جيوب قد تملك القدرة للقتال لأيام هذا إذا لم يرغب العثمانيون باستخدام مدافعهم الثقيلة، وهذا لن يلجأ العثمانيون إلى فعله ما لم تفرض الأمور والقتال عليهم[1].

شهدت اليمن خلال ولاية مصطفى النشار هدوءاً نسبياً، لأنه عمد إلى استخدام القوة ولم يسامح لدرجة أنه نشر اللصوص إلى نصفين متساويين، وكانت ولايته من سنة 1541-1546م حيث عيّن السلطان سليمان القانوني أويس باشا والياً على اليمن، وقد زوده بمعدات ومدافع ضخمة تمكنه في حال استعمالها من سحق أية قوة تواجهه، فضلاً على أن هناك أحداثاً استجدت خلال فترة مصطفى باشا النشار، فرضت نفسها على الوالي أويس، فضلاً عن ذلك فإن الصراعات المحلية التي برزت مؤخراً في الأسرة الزيدية، منحت أويس باشا فرصة كبيرة فتحرك بقواته من تعز إلى قعطبة، وبعد توقف قصير في ذمار حيث دبر مقتله سنة 1547م[2].

تولى الأمير ازدمير قيادة الجيش، وتمكن من ضبط الشغب الذي خلفه مقتل أويس باشا، وليكون في مأمن أرسل وفداً إلى استانبول ليعلم السلطان مجمل الأحداث والملابسات التي تكاثرت وأسفرت عن مقتل أويس باشا، فجاء فرمان التولية إلى أزدمير الذي أكمل خطة أويس فواصل زحفه إلى صنعاء سنة 1547م، فتصدى له مطهر بالقرب

---

(1) جودت باشا، مصدر سابق، ج3، ص 415.

(2) يذكر إسماعيل أوزون تشارشلي، أن أويس هو أخ السلطان سليمان من جارية كان قد تزوجها السلطان سليم الأول سراً وأن والدته حفصة هي التي أشارت عليه إرساله إلى اليمن للتخلص منه، وحينما سمع بقتله صاح ويح نفسي لقد قتلت أخي أويس بيدي، مرجع سابق، ص 358.

من صنعاء، وقد تمكن أزدمير من حسم المعركة لصالحه وهزم المطهر ومن معه، وبعد حصار لم يدم طويلاً، دخلت القوات العثمانية صنعاء[1].

بدخول العثمانيين صنعاء غدا النفوذ العثماني يمتد شمالاً، غير أن هذا سيحمّل العثمانيين مسؤوليات جسام، فللشمال اليمني مشكلاته من أبرزها الطبيعية صعوبة الدفاع عنها أو حمايته من هجمات الزيديين الذين لن يتوقفوا عن استعادتها، والبشرية هي أن أناس صنعاء لم يكونوا يمكلون موقفاً موحداً، فقسم منهم مع الإمام مطهر وقسم مع العثمانيين، والقسم الآخر يميل للمنتصر في القتال[2].

وقع الوالي إزدمر في مأزق عسكري صعب، ولحسم الموقف طلب من السلطان سليمان مده بقوة، غير أن القوة العثمانية والبالغ عددها (3) آلاف جندي كانت برئاسة مصطفى باشا النشار، وهذا يعني أن القوات العثمانية ستقع في انقسام بين قادتها، وتجسد ذلك سنة 1551م، فمصطفى باشا النشار له ماضيه الحربي ولهذا يشعر بالعظمة، ولا يقبل أن يؤمر من إزدمر وينفذ تعليماته، وإزدمر هو القائد والوالي المسؤول أمام السلطان سليمان، والخطأ في مثل تلك الحالات أقلها قطع رأس إذا لم يكن التعليق على الشناكل[3].

لجأ مصطفى باشا إلى التصرف بمعزل عن إزدمر، واتصل بالمطهر، وقد رحب المطهر بهذه البادرة، وعدّها خطوة إيجابية قد توصله إلى إقامة هدنة هو بأمس الحاجة غليها، وكان إزدمر يراقب مصطفى باشا النشار، وفي الوقت نفسه يشن هجمات مكثفة على المطهر الذي أدرك أن القائدين يختلفان حول عقد الصلح، وقد أيقن مصطفى باشا أن ما يفعله القائد إزدمر أقرب إلى الحقيقة وأن محاربة المطهر هي الوسيلة الأنجع والأسلم، فاتفقا معاً على محاربة المطهر وزحفا أولاً إلى حصن ثلا حيث يتحصن المطهر، وفشلا في السيطرة عليه، وعادا والخلاف على أشده بينهما[4].

---

(1) جودت، مصدر سابق، ج3، ص 354.

(2) هو تقرير قاضي اليمن آنذاك مصطفى محمد جاندار، مكتبة السليمانية نمره 6372.

(3) سجلات الديوان الهمايوني، أحكام نامه.

(4) الكبيسي، مصدر سابق، اللطائف السنية، مصدر سابق، ص 357.

يذكر جودت وغيره من المؤرخين العثمانيين، أن إزدمر اضطر للصلح مع المطهر لعدة أسباب:

1- عدم قدرة الجنود العثمانيين على تحمل واقع اليمن الطبيعي.

2- انقلاب عدد من الأشراف على العثمانيين ووقوفهم إلى جانب الإمام مطهر.

3- ما تطلع إليه إزدمر هو أن يعلن اليمنيون بما فيهم الأشراف والأئمة الولاء للسلطان العثماني مع الخطبة والسكة وهذا نجاح كبير، فالمناطق التي يتطلع إليها العثمانيون مواردها البشرية محدودة قياساً بغيرها.

لم يعد بمقدور الإمام مطهر الاستمرار في احتدام الصراع مع العثمانيين، وفي الوقت نفسه لم يعد والي اليمن يطيق صبراً على هذا الواقع، لأن اليمن تولدّ في كل منطقة إمام منها هو الإمام أحمد بن الحسين صاحب صعده ينقلب على العثمانيين ويعلن تأييده للإمام مطهر، وحينما هاجمه العثمانيين ولاه الإمام على حصن الجاهلي الواقع قرب حجه[1].

ويعلق محمد وفيق في تاريخه في اليمن كثرة الأئمة وكثر عداءهم للعثمانيين، وغدا الوالي إزدمر يتخبط وسط هذه التناقضات والمشاحنات التي لم يسفر عنها إما مصالحة وإما قتال وضحايا، في حين يقول جودت، إن دخول العثمانيين إلى اليمن لم يكن يحمل أية دلالة على أن العثمانيين عازمين على فرض سيطرتهم عليها من خلال أهلها المحليين، وإنما لجؤوا إلى الغرباء، فبعدما أزاحوا الطاهريين تحايلوا لإزاحة المماليك، وبعدها تلاقوا مع جزء من السكان المحليين الزيديين الذين لم يكونوا يعبرون عن رغبة اليمنيين في التواصل مع العثمانيين[2].

---

(1) محمد رفيق، عمومي تاريخي، استانبول 1358هـ، ج6، ص 321.

(2) جودت تاريخي، مصدر سابق، ج1، ص 98.

في سنة 962هـ/1555م صدر فرمان سلطاني يقضي بعزل إزدمر، وقد عاد إلى استانبول عن طريق سواكن وليس عن طريق جدة، وبعد وصوله استدعاه السلطان سليمان إلى مجلسه وأكرمه وعيّنه والياً على سواكن بناء على رغبته، في حين أعاد سليمان باشا الخادم ثانية إلى اليمن، وتفيد المصادر والمراجع أن تعاوناً تم ما بين سليمان باشا وإزدمر من أجل إخضاع النوبية والحبشة للإمبراطورية العثمانية، غير أن المصادر العثمانية لم تشر إلى ذلك، ويتفق مصطفى سالم مع قطب الدين بهذا الخصوص، أما المصادر الأخرى ولا سيما جودت وعطا الله وغيرهما لم يتحدثا عن ذلك(1).

ما يمكن قوله إن اليمن التي اتسع النفوذ العثماني فيها تم بفضل تحركات إزدمر، ومما أهمله لذلك السمعة الجيدة التي كانت الدولة العثمانية تحظى بها في عهد السلطان سليمان القانوني الذي فرض وجود دولته على الدول القريبة والبعيدة، وأن اليمن لم تعرف الوحدة السياسية إلا في عهد الوالي إزدمر الذي فرضها من خلال البندقية والمدفع(2)، ولكن النجاح الذي حققه يعود الفضل فيه إلى سليمان باشا الخادم الذي أزال الدولة الطاهرية وفيما بعد أزيلت الدولة المملوكية بجهوده وجهود أويس، وهكذا وإن تعددت الجهود وتنافست، فإن تنافسها انصب للأفضل وهو إنقاذ اليمن من الصراعات السياسية والمذهبية(3). وما جرى ما بين الإمام شرف الدين وأولاده وما بين العثمانيين ظاهرة صحية نتائجها تبارى الطرفان لصناعة الجندي الجيد الممتاز(4).

---

(1) عطا الله، مصدر سابق، ص 58.

(2) تقرير قوجي بك ، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) المصدر السابق نفسه.

خاتمة الفصل الأول

من الصعب بل من المحال أن يتمكن القارئ لأحداث اليمن من إيضاح صورة عن تلك المرحلة، لأن أحداثها متشابكة من جميع أطرافها، فالصراعات كانت الصورة الأبرز والأكثر وضوحاً، فالتنافس على الريادة لم تكن وقفاً على جهة عسكرية ولا زعامة سياسية، وإنما شاركت كل قوة بما لديها من سلاح بغية فرض وجودها أو زعامتها ليس على كامل اليمن، وإنما تطلعت إلى تجزئته بما يناسب هواها ويتطابق مع مصالحها، فالطاهريون اكتفوا بعدن وما جاورها، والمماليك بما جاور زبيد وتهامة، والأئمة صعدة وصنعاء، إذا تمكنوا وإذا عجزوا فليكن حصن ثلا، قدم العثمانيون وبدؤوا يتخلصون من الطاهريين ثم المماليك وكلاهما غرباء ليس من أصل يمني، ولذلك جاء التخلص منهما أمراً ميسوراً وليكن بالحيلة أو بالقوة حل محلهما العثمانيون، لكن العثمانيين أصحاب سيادة ويتطلعون إلى كامل اليمن، واليمن بكامله ليس أمراً سهلاً، فهناك مقاومة محلية تلتف حولها زعامة قبلية، وللقبائل نهج مغاير، فهم ليسوا رحل وإنما مرتبطون بالأرض، وارتباطهم بالأرض فرض عليهم الارتباط بزعامة تدافع عنهم لدى الصراع مع القبائل الأخرى أو لدى مقارعتهم للسلطة الحاكمة وعليهم الطاعة والولاء.

إن اصطدام العثمانيين بالأئمة يعني الاصطدام بالمذهبية وبالقبلية، وعلى العثمانيين شق الصف، لقد نجح العثمانيون فترة زمنية حينما كسبوا بعض الأئمة إلى جانبهم، لكن حلفاء العثمانيين من الأئمة لن يظلوا لأن العثمانيين لن يسمحوا لهم بتولي الريادة، وفي الوقت نفسه لن يتمكنوا أن يتخلصوا من الجناح الأقوى من الأئمة، وهذا يعني أن حلفاء العثمانيين سيتخلون عن تحالفهم مع العثمانيين، ولهذا اطمأن الجناح المقاوم من الأئمة بأن

النصر حليفهم مهما طال القتال والاقتتال، وأدركوا أيضاً أن الجنود العثمانيين لن يستطيعوا أن يتحملوا واقع اليمن من جبال شاهقة وغارات فجائية تهز كيانهم وجوع وعطش، وعجز الدولة عن إيصال الإمدادات إليهم متى شاؤوا لبعد المسافة ولصعوبة نقل ليس الأسلحة بل المؤن التي تقدم إلى الجنود العثمانيين بحدود الكفاية. وهذا وحده كاف لجعل الجنود العثمانية في حالة يأس وقنوط.

الفصل الثاني

الحكم العثماني لليمن

1555-1569م

1- الإدارة العثمانية في اليمن .

2- توطيد السلطة العثمانية في اليمن .

3- ولاة اليمن وأبرز أعمالهم 1538-1569م

4- الصراع المحلي العثماني .

- خاتمة الفصل الثاني .

إن عودة سليمان باشا الخادم من الهند خائباً دفعه لتعويض ذلك فلجأ إلى إكمال فتح المناطق اليمنية، وتحقق الوجود العثماني من عدن جنوباً إلى صعدة شمالاً، ما عدا المناطق الواقعة إلى الشمال والغرب من صنعاء حيث يتمركز الأئمة الزيديون مستفيدين من واقع المنطقة الذي هو أشبه بتحصينات لكنها طبيعية، فضلاً عن ذلك فقد اتخذ حصن ثلا مركزاً لإدارة عملياته ضد العثمانيين الذين يتطلعون إلى إخضاع المنطقة لسيطرتهم، ويعدّ مصطفى النشار أول الولاة العثمانيين 1538م، وقد لقب بالنشار لأنه كان ينشر اللصوص وقطاع الطرق إلى نصفين متساويين، وقد عمد النشار إلى ضبط مناطق نفوذه، وحاول الاتصال مع الإمام لكن الإمام شرف الدين بن يحيى رفض مفاوضة الأتراك، وكانت القوات العثمانية منذ ولاية سليمان باشا الخادم قد أحكمت سيطرتها بشكل كامل على مدخل البحر الأحمر، وكان سليمان باشا قد وطد السيطرة العثمانية.

1- الإدارة العثمانية في اليمن :

لقد اتبعت الدولة العثمانية الشدة في بعض الولايات ولا سيما حيال الزيديين الذين منذ الوهلة الأولى عمدوا إلى مواجهة العثمانيين بشدة، ويرد بعض المؤرخين أن معاداة بعض المحليين للعثمانيين مردها أفعال سليمان باشا الخادم واعتماده الغدر في كل خطواته، فضلاً عن ذلك فإن الدولة العثمانية أمرت ولاتها بفرض الضرائب وجمعها دون دراسة ميدانية لحالة البلاد، وكان جباتها يجمعون الضرائب بالقوة وبأضعاف مضاعفة، ولهذا فإن اليمنيين الذين أرهقتهم الضرائب لم يعد بمقدورهم تحمل هذا الظلم، ولا سيما أن الإمام شرف الدين بن يحيى كان يستغل هذه الناحية ويدعى أن العثمانيين يجمعون الضرائب ليعمروا بلادهم وعلى حساب اليمنيين وفي الحقيقة فإن الدولة العثمانية كانت تجمع بضعة أنواع وأخفها من اليمنيين قياساً ببقية الولايات الأخرى.

لقد قسمت الدولة العثمانية منذ المراحل الأولى اليمن ولا سيما الخاضع لسيطرتها إلى أقضية ونواحٍ على الشكل الآتي[1]:

- قضاء أنس ناحية أرحب وعينت عليها قاضٍ من الروملي.
- قضاء حرار ناحية بني حارث وبني حشيش، وعينت عليها قاضٍ محلي.
- قضاء حجه ناحية بني حارف، وعينت عليها قاضٍ محلي.
- قضاء حدا ناحية بلاد سخان.
- قضاء رداع ناحية بلاد العهرا.
- قضاء ذمار ناحية بلاد همدان.
- قضاء سوده ناحية بلاد الروس وبني بهلول وسوده.
- قضاء عمران ناحية بلاد السان.
- قضاء كولبان ناحية جبين.

جبل الشرق.

حولات.

جهران.

كذلك فقد اتبع لقضاء كولبان عدة نواحٍ أخرى هي:

شبام، محويت، سوده، جبل الشهاردة، بن العوام، عصيمات، عتمه، عر، مقحق، مسور، عنس الأنش، أرحب،

- قضاء أب ناحية تربت الفحم.

---

(1) دولت علية سالنامة سي لسنة 1266، ص 66. لا بد من الإشارة إلى أن العثمانيين عينوا كثيراً من القضاة المحليين، لأن اليمنيين كانوا فقهاء وعلماء ولهذا كثر القضاة في اليمن، ولا زال قضاة اليمن مشهورين بعلمهم ونباهتهم في الشؤون العلمية.

- قضاء قعطبة   ناحية حواشب.

- قضاء حجرية   ناحية جيش.

- قضاء عدين   ناحية خشامع عماره.

- قضاء محائل   ناحية عبوس، وبشران وعبتاب ومخاده، وقاره ونادره[1].

أما استانستيق عمومي إداره سي، فذكر أن اليمن قسمت بشكل عام على النحو التالي، وأن هذا التقسيم، قسم ليس في فترة دراستنا وإنما في الاحتلال الثاني لليمن. وذلك على النحو الآتي:

ولاية اليمن وقد قسمت إلى عدة سناجق:

1- سنجق صنعاء ويتبع له قضاء صنعاء، جبل حراز، كوكلبان، آنس، صبيحة، ذمار، يريم، رداع، عمران.

2- سنجق حديدة ويتبع له الأقضية التالية:

قضاء الحديدة، زبيد، لحية، زيدية، جبل ريمه، حجور، بيت الفقيه، باجل أبو عريش.

3- سنجق عسير، ويتبع له الأقضية التالية:

قضاء عسير، مخائل، رجال المع، قنفده، بني شهر، غامد، صبيا.

4- سنجق تعز، ويتبع له الأقضية التالية:

قضاء تعز، أب، عدين، قعطبه، حجرية، مخا.

وبناء على التقسيم الإداري الذي اتبعته الدولة العثمانية فقد عينت علي ثغر الحجي بيرام من الروملي براتب وقدره 2500 قرش وعلي باجل حاجي زاده محمد براتب وقدره 600 قرش، وعينت في زبيد القاضي عبد الله بلله براتب وقدره 1500 قرش، وعينت في الحديدة محمد سعد أفندي، وعينت بجبل ريمه محمد حسن الخطيب أفندي براتب وقدره

---

(1) دولت علية سالنامة سي لسنة 1266، ص 67.

600 قرش، وعينت في كوكبان القاضي علي بن حسن أفندي براتب وقدره 600 قرش، وعينت في عمران محمد كفران براتب وقدره 600 قرش، في حين عين في صنعاء القاضي برزنجي زاده سيد جعفر أفندي براتب وقدره 1400 قرش، وعينت في جبل حراز محمد بن محسن الحرازي أفندي براتب وقدره 1500 قرش، وعينت في زمار القاضي أحمد صديق أفندي براتب وقدره 600 قرش، وفي حجه القاضي عمر أندف براتب وقدره 600 قرش، وفي أنس حسن بن علي الغشم براتب وقدره 600 قرش، وفي بريم القاضي علي حسين أفندي براتب وقدره 600 قرش، أما في بني حريم فعينت ممثل القاضي براتب وقدره 180 قرش، وعينت في حده القاضي عبد الله بن محمد الكبسي براتب وقدره 600 قرش، وعينت في بلاد السود القاضي أحمد مرتضى أفندي براتب قدره 600 قرش، وفي قعطبه القاضي أحمد بهكلي أفندي براتب وقدره 600 قرش، وعينت في لحية القاضي حميد محمد خرجاجي براتب وقدره 600 قرش، وفي سنجق الحديده القاضي عبد الحميد خير أفندي براتب قدره 2500 قرش، وفي بوعريش القاضي محمد علي أفندي براتب قدره 600 قرش، وفي حجور القاضي أحمد حسين أفندي براتب قدره 600 قرش، وفي بيت الفقيه القاضي عبد الرحمن مزجاجي براتب قدره 600 قرش، وفي آب القاضي يحيى بن صالح العنسي أفندي براتب قدره 600 قرش، وفي عدين القاضي محمد علي أنس أفندي براتب قدره 600 قرش، وفي الحجرية القاضي علي حسين أفندي براتب قدره 600 قرش، وفي بني شهر القاضي سندن علي أفندي براتب وقدره 600 قرش، وفي غامد القاضي عبد الرحمن أفندي براتب وقدره 600 قرش، وفي خولان القاضي سيد إبراهيم أفندي براتب وقدره 600 قرش[1].

إن قراءة واعية لقضاة اليمن في عهد العثماني ولا سيما المرحلة الأولى وبعضهم المرحلة الثانية يقرأ أن الدولة العثمانية عمدت إلى إرضاء اليمنيين بتعيين بعض القضاة المحليين ما عدا سناجق الولاية، وهذه هي المرة الأولى التي تلجأ الدولة العثمانية إلى

(1) سجلات المحكمة الشرعية في استانبول، أناضول دفتري، يمن قضاتي، نمره 165.

تعيين قضاة محليين، ولهذا فإن اليمنيين توارثوا لقب القاضي من آبائهم الذين تولوا القضاء في اليمن. وقد عمدت إلى تعيين قضاة من المذهب الشافعي وإلى جانبه في المناطق التي يسيطر عليها الزيديون قضاة زيديون، ولكن نسبتهم حتى في مناطقهم قليلة جداً، وقد اضطرت الدولة العثمانية إلى فرض ضرائب على الزواج والطلاق، وعلى رسوم الدعاوى، وكانت الضرائب على المحاكم تتراوح 2.5 قرش إلى ثلاثة قروش[1].

وقد أفادت المصادر العثمانية أن اليمن قسمت إدارياً إلى أربعة سناجق وسبع وعشرين قضاء وخمس وسبعين ناحية، وأن مساحة أراضيها 260.132 كم وعدد نفوسها خمسة ملايين شخص، وأن 19.22 في الكيلو المربع الواحد[2]. وقد عُدّت اليمن من أكثر الولايات شغباً، وأن الجنود العثمانيين كان يقتل منهم جندي أسبوعياً كحد أدنى ، ولهذا فإن العساكر الذين كانوا يكلفون بالخدمة في اليمن كانوا يعدّون أنفسهم من الأموات، فضلاً عن ذلك فإن الفتاة اليمنية رفضت بشدة الزواج من الإنكشارية، لأنها تعلمت ممن سبقها من النساء اللواتي تزوجن بالجنود الفرس وأولادهم كانوا يسمون الأبناء، وبعد خروج الفرس من اليمن لم يسمح لهؤلاء الأبناء إلا بممارسة الأعمال الوضيعة مثل تنظيف الشوارع أو المحلات ودهن الأحذية وممارسة الحلاقة وغيرها، إزاء ذلك لجأ الإنكشاريون إلى فرض العقوبات الصارمة مثل الخوزقة والجلد والشنق والسلخ انتقاماً مما فعلته الفتيات اليمنيات[3].

صحيح أن هذه العقوبات كانت تمارسها الدولة العثمانية في مختلف ولاياتها، لكن القذف من أعلى القلاع على الشناكل والسلخ حياً كانت نادرة، ويردها بعض المؤرخين إلى غضب الإنكشارية من ظاهرة رفض الفتيات الزواج بهم[4].

---

(1) سجلات المحاكم الشرعية، أناضول دفتري، رقم 51، ص 38.

(2) استاتستيق عمومي إدارة سي، ص 14.

(3) لائحة محمد خليل أفندي، اليمن في المصادر العثمانية.

(4) المصدر السابق نفسه.

أما ديوان ولاية اليمن فمهمته مساعدة الوالي في الإدارة، ولا سيما أن الوالي كان متعباً بسبب كثرة المشاغبات وقطاع الطرق الذين كانوا يعمدون إلى شن أعمال سلب ونهب على القطعات العسكرية العثمانية المتواجدة في أطراف صنعاء والمدن الأخرى، وقد إديرت الولاية من قبل المجلس الذي يرأسه الوالي المعين من قبل السلطان العثماني وقد لقب بالباشا وكان علمه يحمل طوخين (ذيل الفرس) وقد تألف مجلسه من:

1- الوالي، ويترأس الإدارة، وهو مسؤول عن إدارة الولاية وضبط أمنها ومنع الظلم عن الأهالي ورفع تقارير إلى استانبول يعلمها عن أحوال الولاية.

2- البك، وهو شخصية عسكرية يمثل آغا الإنكشارية في الولاية، مهمته معرفة أحوال العساكر ونقاط تواجدها ومعاناتها، ويقدم تقريره بالاستناد إلى التقرير الذي يأتيه يومياً من دائرة البوليس وقادة القطعات إلى آغا الإنكشارية في استانبول(1).

3- القاضي، ومهمته الفصل في الأمور القضائية، وعليه حضور جلسات المحكمة التي يترأسها قاضي حنفي وإلى جانبه قاضي شافعي أو قاضي زيدي حسب مذهبية المحاكمة. ويعيّن لمدة سنتين فقط ويجب أن يكون من الروملي حتماً، وقاضي الديوان غير قاضي صنعاء أو الصناجق والأقضية الأخرى، فقاضي ديوان إدارة الولاية له خصوصية أخرى إدارية وسياسية أكثر مما هي عدلية(2).

4- دفتردار، وكان سابقاً يعرف بمسؤول بيت المال، وفيما بعد عرف بالدفتردار، وقد اعتمدت الدولة العثمانية في اليمن نظام الساليانه (الرواتب) ولم تتمكن من تطبيق نظام الإقطاع العسكري الذي يقسم الأراضي حسب الإنتاج.

5- آغا العرب، وهو مسؤول عن القبائل البدوية، وقد كانت مهنته من أصعب المهن، لأن النظام القبلي في اليمن هو نظام عشائري أكثر مما هو بدوي، ولهذا فإن معظم الشخصيات التي تولت هذا المنصب واجهت مشكلات كثيرة(3).

---

(1) سجلات الديوان الهمايوني، مجلس والا رقم 257.
(2) سجلات المحكمة الشرعية، استانبول، يمن قضاء ولايتي، رقم 157.
(3) جودت، مصدر سابق، ج8، ص 457 وما بعد.

لم تلتزم الدولة العثمانية بتعيين قضاتها في اليمن من ولاية الروميلي كما فعلت في بقية الولايات، وقد التزمت بتعيينه في ديوان الولاية، وعمدت إلى اختيار شخصية يمنية لتولي مهمة القضاء في مركز الولاية في سناجقها وأقضيتها، وقد توارث أبناء القضاة هذا المنصب بعضهم مارسه فعلاً وبعضهم توارثه دون ممارسة، غير أن قضاة اليمن امتازوا بالبلاغة وفقه الحديث وتلاوة القرآن شوافعة كانوا أم زيديون، ولم تعرف اليمن نظام المفتيين بعكس الولايات العثمانية، وقد وجد إلى جانب ديوان الولاية مجلس إدارة مهمته مساعدة الديوان في تسهيل الكثير من المعاملات، ويتبع مجلس الإدارة مجلس بلدية مهمته حساب واردات الولاية وصادراتها، وقد بلغت وارداتها وصادراتها لسنة 1624م الآتي[1]:

واردات بالقروش		مصروفات بالقروش	
09178598	أملاك وعقارات وضرائب	02768428	داخلية
07782339	رسم أغنام	00624240	عدلية
22408573	رسم أعشار	00174608	مصارف تعليم
00304700	أملاك ميرية	01884154	مالية
00141452	صيد بحري	00400000	نافعة
05174130	محاكم	05576892	ضبطية
07784627	رسوم متنوعة	00100000	أعشار
00136217	حاصلات متفرقة	00030335	دوين عمومية
42586406	يكون	00062452	بوليس
		00700000	جولات
		25252272	نظامية
		36983381	

- **النظام الضريبي:**

لم يكن بمقدور الدولة العثمانية تنفيذ قانون الضرائب على ولاية اليمن بسبب كثرة الصراعات التي دارت بين القوات العثمانية والأئمة الزيديين، ولهذا فلقد عانت المناطق

(1) يمن سالنامه سي لسنة 1307، ص 122.

التي تمكن العثمانيون من السيطرة عليها من ثقل الضرائب والتزام الشدة لتنفيذها، فالعثمانيون لم يكن بمقدورهم تطبيق النظام الإقطاعي في اليمن والمؤلف من تيمار وزعامت وملك خاص ولهذا اعتمدت النظام السااليانه (أي الرواتبي) وكان على المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية، واستناداً إلى ما ذكرته الوثائق آنذاك، فإن ضرائب اليمن تندرج تحت ثلاث فئات هي[1]:

1- ربع جمع من مدينة عدن وسخر لدفع نفقات العمليات العسكرية البرية والبحرية، كما سخر له نفقات العمليات البحرية خارج الولاية، لأن واردات ميناء عدن كانت كبيرة، ولهذا فإن تلك الواردات خصص قسم منها لمقاومة الغزو البرتغالي، وعدّ هذا جهاداً حيال الكفار، وقد أفتى مفتي الإسلام محمد أبو السعود بذلك[2].

2- ربع جمع من زبيد وسهول تهامه لدفعه للعمليات التي تقوم بها القوات العثمانية:

آ- من أجل ضبط الأمن وربطه وضرب اللصوص الذين يعترضون القوافل سواء كان قافلة حج أم قافلة تجارية.

ب- من أجل محاربة الأئمة الزيديين الذين أجازوا محاربة العثمانيين وعدّوا دخولهم إلى اليمن غزو وغير شرعي ويجب محاربته.

جـ- من أجل دفع رواتب العساكر المرابطة في اليمن.

أما الأراضي الموقوفة في اليمن، فقد قسمت بموجب قانون السلطان سليمان قانون نامه والذي اعتمده الدستور العثماني التي عُمل به بعد التنظيمات إلى قسمين:

1- وقف أوقفه صاحبه وقفاً شرعياً، ولهذا فقد عدّت الدولة العثمانية هذا النوع من الأوقاف التي يطبق عليها النصوص الشرعية، ولا يجري عليها أي إجراء قانوني سابق أو لاحق.

---

(1) مهمة دفتري، نمره، 3-4-5 ص 210-90-170.

(2) سجل المحكمة الشرعية، استانبول، مجلس الافتاء رقم 11-24.

2- الأراضي الأميرية، وهي الأراضي التي صودرت من الأمراء والولاة الذين أساؤوا في أثناء عملهم الوظيفي أو أوقفها السلاطين، كما فعل السلطان سليمان الذي أوقف أملاكاً في عدن وزبيد وتعز، ولم نتمكن من العثور عليها أو تحديد أماكنها.

3- أما الأراضي الموات فتعد اليمن من أكثر الولايات التي تحتوي على أراضي أموات بسبب قلة الأمطار، وتكاسل الرجل اليمني عن العمل وأعمال السلب والنهب، والصراعات التي حدثت في اليمن عبر تاريخها الطويل[1].

لم يكن اليمن رغم المشاحنات الداخلية تختلف عن غيرها من الولايات الأخرى بشأن الضرائب، وهناك ضرائب الإعفاء من الخدمة العسكرية، وقد طبقت هذه الضريبة على اليهود وكان مقدارها (30) قرشاً وقد احتج اليهود على هذه الضريبة، لكن الدولة العثمانية أصرت على دفعها، لأنها لم تفرض إلاّ على الشباب القادرين على حمل السلاح[2].

أما ضريبة (الويركو) فهي ضريبة شخصية مقدارها يختلف من منطقة إلى منطقة، فلقد كانت على الذكور (40) وهم الذكور البالغون سن الرشد، وكان يعفى من الضريبة اليتيم والعاجز والشيخ والكبير والمريض والمعيل لأبوين عاجزين أو مريضين[3]. غير أن هذه الضرائب تسببت في قيام ثورات واحتجاجات كلفت العثمانيين الكثير من الخسائر البشرية والمادية، لكن العثمانيين لم يكن بمقدورهم إعفاء اليمنيين من الضرائب، لأن هذا يسبب لها ثورات أكثر في الولايات الأخرى.

أما بشأن الأراضي، فلقد اعتمدت[4]:

1- الأراضي المملوكة وهي الأراض القسرية من المدينة أو القرية وصالحة للسكن واشترطت ألا تزيد مساحتها عن نصف دونم.

---

(1) الطابو دفتري، نمره، 157، ص 54.

(2) ديوان أحكام عدلية، وثيقة رقم 11 تاريخ 24، ص 95 هـ.

(3) سجلات الديوان الهمايوني، مجلس والاي، نمره 53، ص 11.

(4) سجلات الديوان الهمايوني، سجل رقم 193، ص 210.

2- الأراضي الأميرية ثم أصبحت فيما بعد ملكاً لأشخاص بواسطة الفرز أو التملك الصحيح.

3- الأراضي العشرية وهي التي جرى توزيعها أو تملكها في أثناء الفتح الإسلامي، وبما أن اليمن تدافعت إلى الإسلام تلقائياً فإنها تخلو من هذه الأراضي، فعمدت الدولة العثمانية إلى تطبيق هذا البند على الأراضي المجاورة للطرق الرئيسة[1]، وقد احتج سكان عدن وزبيد وفيما بعد صنعاء على هذا الإجراء وعدّوه ظلماً، ولم يكن بمقدور الدولة العثمانية تلافي ذلك سواء إعفاء العجزة والشيوخ والمرضى.

وهناك ضريبة الاختبار وختم المصاغات، وهي بمعدل (16) بارة عن كل أوقية فضة، و (16) بارة عن كل مثقال ذهب، أما أوزان المصاغ فتقدر بثمان بارات عن كل أوقية فضة أو مثقال ذهب، ويلقب الشخص المكلف بذلك بالأمين[2].

أما رسومات تسجيل الممتلكات فكانت هي الأخرى عن صكوك نقل ملكية المتاح، ويشرف عليها القاضي وظل هذا الإجراء معمولاً به في اليمن حتى سفر برلك سنة 1903 وبعدها أصدر السلطان عبد الحميد سنة 1906م فرماناً سلطانياً يلزم الجميع بكتابة الصكوك من قبل كاتب العدل. مع ضرورة تسجيل هذه الممتلكات في دفتر الحقانية (السجل العدلي) وعلى صاحب الملك أن يدفع 1.5% من قيمة الملكية[3].

- ضريبة دخل أو تمتع ومقدارها 3% من الدخل أو ربح التجار وأصحاب المحلات ورجال التجارة الخاصة، وقد فرضت هذه الضريبة على التجار المقيمين.

- ضريبة ربح متنوع ويتضمن ضريبة على استخلاص عصير النخيل والمقدرة بـ 120 قرشاً وعلى نبات القات وعلى تجارته، وبما أن الدولة العثمانية عدّته نباتاً غير شرعياً فقد فرضت عليه غرامة مالية قدرت بـ 150 قرشاً[4].

---

(1) مهمة دفتري، نمره: 11، ص 142.

(2) سجلات الأحكام العدلية، ديوان الأحكام العدلية، نمره: 60، ص 140.

(3) المصدر السابق نفسه، نمره، 119، ص 11.

(4) عينيات دفتري، رقم 27، ص 9.

وقد فرضت الدولة العثمانية ضرائب متنوعة على مدينة عدن، وركزت بالدرجة الأولى على صادرات وواردات الميناء، إضافة على التعرفة الجمركية، كما فرضت ضرائب كثيرة على شجرة البن، قياساً بشجر الكرمة، وشددت بمنع زراعة شجر القات المادة الرئيسة للإنسان اليمني، وأفاد محمد خليل أمين في لائحته أن الحياة في اليمن تتوقف بعد الظهر بسبب انصراف معظم اليمنيين إلى المقيّل (مكان مضغ القات).

2- توطيد السلطة العثمانية في اليمن:

لم يتوجه العثمانيون إلى اليمن بقصد إهانة اليمنيين ولا تعذيبهم، ولطن لظروف خارجة عن إرادتهم لم يتمكنوا من تحقيق تطلعاتهم الرامية إلى حماية المسلمين من أية ضغوط خارجية.

لقد حُفل تاريخ اليمن بالغزوات الخارجية الطامعة بأرضه، وقامت في اليمن دويلات تصارعت فيما بيها، وسئم الإنسان اليمني هذا الصراع الذي كلفه الكثير من المال والجهد والروح، فدمرت أراضيه وهدمت منازله وشدد الكثير من سكان المدن والقرى، وحينما جاء العثماني جاء لطرد البرتغالي الذي عمد إلى استغلال خيراته ليس من خلال السيطرة على مدنه، بل على ميناء عدن أكبر موانئ البحر الأحمر وأعظمه، ومن خلال هذا الميناء بدأ استغلاله لخيراته ومارس الظلم والقهر، وبما أن الدولة العثمانية تحملت مسؤولية حماية الأصقاع الإسلامية، واليمن بلد سارع إلى الإسلام، والنبي ﷺ ذكره في أكثر من حديث، ولحماية مكة والمدينة المهددتين من البرتغاليين، فإن هذه الأمور بمجموعها دفعت العثمانيين إلى طرد البرتغاليين من سواحله وعن الهند، لكن الظروف كانت أكبر من الحملة التي أرسلها العثمانيون، فاضطر قائد الحملة آنذاك سليمان باشا الخادم إلى تزويد سفنه المتجهة إلى الهند من ميناء عدن، ولأسباب لم يوضحها سليمان اعتمد الحيلة

للتخلص من عامر بن داؤد، وبعدما اطمأن على تمركز قواته في مدينة عدن، عمد إلى إعدام سلطانها عامر بن داؤد وثبت أقدامه فيها، وتوالت الأحداث وفشل في مهمته في الهند، فعاد إلى عدن ولبى الفكرة التي كان السلطان سليم الأول يرغب في تحقيقها وهي احتلال اليمن حسب إدعاءات قوجي بك في تقريره، فبدأ باحتلال اليمن وعزلها وتولاها ولاة مثل أويس باشا الذي قُتل بتدبير من بعض الطامعين بتولي القيادة وعوقب على فعلته، وخلفه إزدمر الذي عد موطد السلطة في اليمن[1].

لقد عدّ المؤرخون الفترة من 1538-1555م فترة فرض السيطرة العثمانية على اليمن، أما الفترة من 1555-1568م فهي فترة توطيد السلطة، فالولاة بدءاً من مصطفى باشا النشار إلى إزدمر ومن تلاهم عمدوا إلى توسيع نطاق السيطرة العثمانية[2]، فلقد مارسوا الشدة حيال المدن التي رفضت الانضواء تحت نفوذهم، لأن مهمتهم كانت هكذا، أما الفترة من 1555-1568م فهي فترة توطيد السلطة، فالأعمال العسكرية تكاد تكون قد انتهت، وما حدث فهي أعمال فردية، قام بها بعض المشاغبين الذين يلجؤون إلى أعمال السلب والنهب، وقد رد الولاة عليهم بقسوة وقاموا بملاحقتهم لأن الإدارة العثمانية في اليمن عمدت إلى توزيع الأمور والمهمات، وتكفلت القوات الموزعة في المدن بدءاً من تعز إلى عسير وغيرها من المدن على تطبيق التوجيهات والأنظمة والقوانين العثمانية[3].

لقد شاعت بعض المصادر أن الجنود العثمانيين وضباطهم قد اختلفوا فيما بينهم، لكن المصادر نفت وأكدت أن العساكر العثمانية في اليمن، التزمت بالأوامر، ولم تحدث خلافات فيما بينها[4]. فالدولة العثمانية كانت قوية ويدها تطال كل من يخالف الأوامر أو يحاول الثورة

(1) تكريم السلطان سليم القانوني له، بـــ 20 ذي القعدة 953هـــ/1555م سجلات الديوان الهمايوني نمره 311.

(2) أحمد راشد باشا، تاريخ يمن وصنعاء، استانبول 1291هـــ ج2 ص 325.

(3) حاجي خليفة، وقعة نويس، استانبول 1358هـــ، ص 54.

(4) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 220.

على قادته، فالمرحلة التي سبقت تلك المرحلة قت على كل المشاغبين وأصحاب السوابق، وكلفتهم التجديف في الأسطول العثماني المرابط في عدن والحديدة وغيرها من الموانئ[1].

لقد اتسمت ولاية محمود باشا بالتراخي في تنفيذ القوانين، كما التزم بالجانب السلمي محاولاً عدم الاصطدام مع الإمام مطهر، ففور وصوله إلى صنعاء كوالٍ سنة 1561م أرسل أحد مندوبيه بهدف تثبيت الصلح معه بحسب الشروط التي عقدها إزدمير، وقد اتجه إلى جمع المال على حسب مهنته كقائد عسكري، لكن تصرفه هذا لم يؤد إلى زيادة الاضطراب، وإنما تجلى في زيادة الفوضى لدى العساكر التي بدأت شيئاً فشيئاً تتجه إلى ممارسة الفوضى والظلم على الأهالي بآن واحد[2].

إن اضطراب العساكر تزايد في فترة محمود باشا الذي مال إلى جمع المال على حساب وظيفته وخان مهنته، وتحدى الكثير من اليمنيين، وبأمواله نجا بل تولى ولاية مصر، وقد عدّت ولايته لمصر بداية بيع المناصب المهمة في الدولة العثمانية وتنامت في عهد السلطان سليم الثاني (1566-1574م)[3].

3- ولاة اليمن وأبرز أعمالهم (1538-1569م):

أجمعت المصادر المعاصرة للسلطان سليم الأول أنه كان يتطلع إلى اليمن ولا سيما بعدما جاءه وفد منها بحيث تزامن مع وفد الحرمين الشريفين الذي أرسلهم يحيى بن بركات شريف مكة مع ابنه أبو نمي، ولذا فإن إسكندر المملوكي أدرك بعد سقوط دولتهم

---

(1) استانسنيق، عموم إدارة سي، مصدر سابق، ص 98.

(2) راشد باشا، مصدر سابق، ص 117.

(3) لقد تحدث المؤرخون من عرب وعثمانيون عن فعلة محمود باشا، وأفرد مصطفى سالم ص 229-231 صفحات عنه، وكذلك جودت فقد حمله مسؤولية زيادة الفوضى في اليمن وكذلك عطا الله وصولاق زاده وأحمد رفيق وغيرها. وقد حاولنا مراجعة أرشيف رئاسة الوزراء من استانبول فلم نعثر على وثائق وإنما إشارات إلى ما حدث في اليمن من خلال سجلات الديوان الهمايوني، وكل ما عثرنا عليه هي وثائق تتناول فترة سنان باشا وقد عرضنا قسماً منها في قسم الملاحق.

في مصر أنه لا بد من قوة تحميهم أمام القوى اليمنية، وأنه لا طاقة بهم للقتال في اليمن فجمع الأمير إسكندر الناس في الجامع الكبير سنة 1517م وأعلن أمامهم خضوع مماليك اليمن للسيادة العثمانية وأقر على ضوء هذا الخضوع الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني، فجاءه فرمان توليته على اليمن باسم السردار إسكندر[1]، في حين عرفه قومه ومن حوله باسم إسكندر المخضرم[2].

غادر إسكندر صنعاء بعدما عين عليها حمزة بك، وتوجه إلى زبيد، وفي الطريق فاجئته غارة، ووصل زبيد منهك القوى وعاش فيها إلى أن وافته المنية سنة 1534م فاتفق الأمراء على تعيين خلف له وهو أحمد ناخوذه بك كسردار لجراكسة اليمن[3].

1- الوالي سليمان باشا الخادم، ويعدّ من أوائل الولاة العثمانيين على اليمن، وإليه يعود الفضل في إخضاع عدن ثم زبيد للسيطرة العثمانية، وهو الذي أزال الدولتين الطاهرية والمملوكية، وقد أشارت المصادر العثمانية أن سليمان باشا الخادم هو الذي تسبب في زيادة كراهية اليمنيين للعثمانيين بسبب تصرفاته غير المقبولة وقد عزل في سنة 947هـ/1540م.

2- الوالي مصطفى باشا النشار تولى إمارة اليمن لمدة خمس سنوات من 1540-1545م وقد وطد الأمن في المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية، فقد نظم الإدارة وأشرف بنفسه على تنفيذ الأوامر المتعلقة بأمن البلاد والمحافظة على راحة المواطنين، وقد عرف بصرامته في ضرب المخالفين، كما عمل على تخصيص أماكن خاصة بالعساكر، وحدد لها أوقات للتجول في المدن والقرى وحذرها من الإعتداء على الأهالي، وفي سنة 1545م جاءه فرمان عزله وتعيين أويس باشا[4].

---

(1) سردار، كلمة فارسية تعني قائد.

(2) المخضرم، مر ذكرها سابقاً.

(3) يمن سالنامه سي لسنة 1314م، ص 358.

(4) يمن سالنامه سي لسنة 1314م، ص 358-359.

3- الوالي أويس باشا، عُرف بشجاعته وإقدامه على المخاطر، أعد قوة واتجه بها إلى تعز، وقبل محاصرته خاطب الأهالي ونصحهم بعدم المقاومة لكي لا تتعرض منازلهم إلى الدمار ويتعرضون وأبناءهم إلى الموت، وبدهائه دخل مدينة تعز دون حرب ورتب أمورها وعيّن عليها أحد الضباط مع قوة لحمايتها وإزالة الفوضى منها، وبعدها تحرك باتجاه زبيد وحالما بلغ ذمار، قام أحد القادة ويدعى حسن البهلوان وهو من مماليك اليمن بقتل أويس باشا، غير أن إزدمير تمكن من إيقاف الفتنة، وكلف الأمير حيدر بمحاسبة رؤوس الفتنة[1]، وقد تمكن حيدر من إلقاء القبض على الخونة وأعدمهم، ولاحق العناصر الأخرى التي تدبر الفتن والدسائس، وعلى الرغم من اتهامه بالمشاركة، إلا أن السلطان سليمان القانوني كان على دراية ببراءته ولذلك أصدر فرماناً بتوليته والياً على اليمن[2].

4- الوالي فرهاد باشا، صدر فرمان توليته على اليمن سنة 1546م وقام بمهمته ريثما وصل فرمان تولية إزدمر، وعين هو والياً على حلب[3].

5- الوالي إزدمر صدر فرمانه سنة 1547م وإليه يعود الفضل في تعميق الوجود العثماني في اليمن، وقد تمكن خلال السنوات الثمان من شن هجمات ضد أعدائه، فاتجه بقواته إلى صنعاء وعسكر بالقرب منها سنة 1547م أي بعد وصول فرمانه بعدة أشهر ثم التقى مع الإمام المطهر قرب صنعاء وتمكن من الانتصار عليه، وقبل دخوله صنعاء، فرض عليها حصاراً شديداً، ثم أمر بدخول قواته من باب شعوب، واضطر أهلها إلى الاستسلام، وحذر قواته من ممارسة السلب والنهب لتقواه وإيمانه السليم، ثم عمد إلى تنظيم الإدارة وبنى ثكنات لجيوشه في مختلف المدن الخاضعة للسيطرة العثمانية وبنى جامعاً في باب شعوب وبالقرب منها مدرسة جميلة وواسعة، ولا يزالان حتى تاريخه معمورتين، عزل سنة 1555م[4].

---

(1) جودت باشا، مصدر سابق، ج3، ص 457، عطا الله، مصدر سابق، ص 168.

(2) يمن سالنامه سي لسنة 1314هـ ص 359، 360.

(3) يمن سالنامه سي لسنة 1304هـ ص 29.

(4) جودت باشا، المصدر السابق، ج3، ص 459.

6- الوالي مصطفى باشا النشار ثانية، عيّن للمرة الثانية والياً على اليمن، وبسبب غروره وتعاليه، ساءت العلاقات مع الإمام شرف الدين حين قدم إليه محمد بن شمس الدين ونصحه بالابتعاد وخسر أكبر دعم له في اليمن، وكان تعيينه سنة 1554م خلفاً لإزدمير، إلا أنه أصيب بمرض أودى بحياته، حيث دامت ولايته الثانية ستة أشهر[1].

7- الوالي قره شاهين مصطفى باشا، عيّن والياً على اليمن سنة 1555م، ولم يكن رجل حرب ولا رجل نظام، حبه للمال وسعيه خلفه أساء إليه، كما أن الإنكشارية سئمت منه وشكته إلى السلطان العثماني سليمان، لكنه كانت أمور الدولة بيدي زوجته روكسلانه وصهره رستم باشا، وكانا يسعيان إلى تخريب الدولة، فلقد باعا المناصب، وعزلا كل شريف فيه، وقد ظل مصطفى هذا أربع سنوات على ولاية اليمن عزل سنة 1559م[2]، ويذكر قطب الدين المكي بأنه رجل فاضل[3].

8- الوالي محمود باشا، يعدّ محمود باشا من أسوأ الولاة الذين عرفتهم اليمن، فلقد كان بالجائع إلى المال والأذى ولا طعم للحياة إلا بهذين المسلكين، لم يترك منفذاً في حياته لكسب المال إلا اتبعه، يحب الفتنة والكذب، مر على جدة، وقد امتنع الشريف عن استقباله لفتنة اصطنعها سنة 958هـ/1551م عندما كان أمير الحج المصري، فاعتذر للشريف وأقسم أن ما حدث لم يكن باختياره، بلغ اليمن سنة 968هـ/1560م، ونزل فور وصوله في بندر جيزان، وعلى الفور صلب أمين دار الضرب عبد الفقيه عبد الملك اليمني، حيث اتهمه بسرقة دار السكة واستولى على أمواله وأملاكه، وكان علي بن عبد الرحمن النظاري أمير إقليم عبدان[4]، وقد توارثه عن آباءه وأجداده، وحافظ عليه، وهو صاحب ثروة، وقد عجز عن إرضاء محمود باشا، وبغية الحصول على أمواله اتهمه الوالي

---

(1) يمن سالنامه سي، لسنة 1314، ص 361.

(2) المصدر السابق، لسنة 1314، ص 361.

(3) قطب الدين المكي، البرق اليماني، ص 123.

(4) جودت، مصدر سابق، ج5، ص 58.

محمود باشا بالخروج عن طاعة الدولة العثمانية، وقد عارض بعض الأمراء العثمانيون واليمنيون محمود باشا في تصرفه، لكن محمود تجاهل الجميع وبعدما قتل اثنين من زعماء الإنكشارية واستولى على أموالهما، أعد الجيوش لمحاربة النظاري، وبعدما عجز عن الانتصار في الحرب، طلب عقد صلح، وعلى الرغم من قساوة شروط الصلح إلا أن النظاري قبل، ومع قبوله كان محمود باشا قد دبر اغتياله غيلة، ثم هاجم حصن (حب) مركز آل النظاري منذ سنوات طوال وأخذ ما به من ثروات لا تقدر بثمن(1).

إن الوالي محمود باشا بتوليه ولاية اليمن، يمثل قمة الفوضى العثمانية، كما أنه أسس كراهية اليمنيين ضد العثمانيين، وفوق هذا فإنه يمثل أن العثمانيين غرباء، من العرب والإسلام، ولو أنه واجه محاسبة ولو شكلية، لأيقن العرب اليمنيون بعدالة السلطة العثمانية(2).

ليت الأمر انتهى بعزل محمود باشا من ولاية اليمن، بل أن محمود سئم بقاءه كوالٍ لليمن فطلب من السلطان عزله(3)، وادعى أنه مصاب بمرض عضال، فاستجاب وكلاؤه في استانبول وعزلوه، وبأموال اليمنيين تولى ولاية مصر(4)، ولم يكتف بذلك بل أقسم أنه سيشعل الفتن في اليمن، وأنه سيجعل اليمن أشبه ببركان(5)، وقد وصفته المصادر العثمانية أمثال السالنامه برجل الإصلاح(6)، وأما جودت وعطا الله وصولاق زاده فقد وصفوه بالصفات التي ذكرت سابقاً، وفوق هذا فقد حملوه خراب اليمن، وأنه حمل العثمانيين عار قرون لا تزول ولا تنتهي.

---

(1) جودت باشا، مصدر سابق ، ص 59-60.

(2) صولاق زاده، مصدر سابق، ص 388.

(3) وزع الأموال على السلطان سليم الثاني ووالدته روكسلانه اللذين كانا من أنصاره، أحمد وفيق، مصدر سابق، ج3، ص 153.

(4) صولاق زاده، المصدر السابق، ص 201.

(5) جودت باشا، المصدر السابق، ج5، ص 213.

(6) يمن سالنامه سي لسنة 1314هـ، ص 361.

9- الوالي رضوان باشا، عيّن والياً على اليمن سنة 972هـ/1564م وهو ابن قره شاهين باشا، كان سابقاً أمير الحج الشامي، يصفه قطب الدين المكي بصفات جميلة، لكن إدارته لليمن لم تكن موفقة، لأنه ورث إدارة سيئة وأن ضباط الإنكشارية بدؤوا يثورون على الواقع الذي يعيشونه في اليمن، فرواتبهم ضئيلة غير كافية، واليمنيون غدوا يكنون حقداً دفيناً على العثمانيين وجنودهم، وفوق هذا فقد كان قليل الخبرة في إدارة الولايات المضطربة وتنقصه الكفاءة وسياسة الواقع[1]. فعزل بعد سنة من تعيينه أي في سنة 1565م. وكان من أهم الأسباب التي أسهمت في عزله.

تدخل محمود باشا لدى أصحابه في استانبول وتم عزله فعلاً، وكان في أثناء ولاية رضوان قد تم تعيين مراد باشا والياً على اليمن، ولهذا فقد صدر الفرمان السلطان الآتي:

حكم إلى مراد بك بكلربكي اليمن[2]. ٧٩٦١٣٧

لما كانت ولاية اليمن على درجة من الاتساع فقد تقرر لأجل ضبطها وربطها أن تقسم إلى بكلربكيتين و 12 سنجقاً، وتم تعريف المقاطعات الموجودة داخل هذه السناجق جميعها، وبمزيد من عنايتنا تم توجيهها إليك على سبيل البكلربكية، ولأجل إعلامك في هذا الصدد تم إرسال حكمي الشريف وأُرسلت الدفاتر الخاصة بالمقاطعات والسناجق التي تم فصلها وتعيينها إليك وتم أيضاً تعيين ولاية صنعا وسناجقها ومقاطعاتها إلى رضوان السلاحدار السابق، وقد أمرت عندما يصل [هذا الحكم] أن تقوم بالتعرف عليها بسناجقها ومقاطعاتها على سبيل البكلربكية كما هو مسطور بالدفتر، وأن تكونا قلباً واحداً ورأياً واحداً في خدمة البلاد وطمأنة ورفاهية البرايا والرعايا، والعمل بجد ورجولة في خدمة الدين ودولتنا الهمايونية وأن تسعيا وتجدا في توفير المال الميري على أن يكون أمر

---

(1) صولاق زاده، مصدر سابق، ص 253.

(2) بكلربكي: تعني أمير الأمراء، وتلفظ بيلربي، لأن الكاف فارسية وعند اللفظ تلفظ ياءً.

تحصيل الأموال من أعمالك من هذه الناحية عليك لأجل مصلحة البلاد والعباد أن تقوم بالصرف بمقدار كاف، وإذا طلب منك المشار إليه لا تجعله يقع من ذلك في ضيق[1].

ذي القعدة 973هـ/1566م

وقد التزم مراد باشا بالقرار الصادر إليه من استانبول، واستلم عمله كوالٍ في ذي القعدة 973هـ/1564م حيث استلم القسم الجنوبي، وأسند وحسب الفرمان السلطاني إلى رضوان صنعاء وسناجقها ومقاطعاتها[2]، في حين جاء رضوان عن طريق جدة ودخل اليمن من عدن متجهاً إلى تهامه، وفور وصوله علم بأن الإمام مطهر يحاصر صنعاء وكان بنيته أن يمد يد المساعدة إلى مراد باشا، لكنه تراجع واقتنع بما ولي عليه تعز وزبيد، وقد ارتكب رضوان خطأً كبيراً عندما ضرب الزعامة الإسماعيلية التي كانت تشكل شوكة في حلق الإمام مطهر، فضلاً عن ذلك فإن خلافاً حاداً نشأ بينه وبين مراد بشأن حدود بكلربكية كل منهما، وتناسيا الموقع الصعب الذي يواجه الاثنان[3]، وكان الإمام مطهر بسياسته قد تمكن من توسيع دائرة الخلاف بينهما، وحينما علمت استانبول بتردي الأوضاع في اليمن، عمدت إلى عزل مراد باشا لكن الأحداث التي تدور في اليمن والموقف الصعب الذي يواجه مراد باشا، ومحاولته الفاشلة استعادة صنعاء وعودته فاشلاً إلى تعز، عرضته للوقوع في كمين استطاع الهرب منه، لكنه وقع بأيدي القبائل التي قطعت رأسه، وقد استغل الإمام ذلك وعدّه انتصاراً له[4].

إن الصراع المحلي أي ما بين الواليين العثمانيين زاد الأمور سوءاً، وأن تصرف مراد باشا بشر بتدهور الوضع وبانهيار الوجود العثماني في اليمن، لأن قوات الإمام

---

(1) مهمة دفتر نمرة 5، وثيقة 211/287.

(2) الفرمان السلطاني الوارد في دفتر مهمة رقم 5 ووثيقة 278.

(3) صولاق زاده، مصدر سابق، ص 413.

(4) المصدر السابق، ص 413.

مطهر بدأت تسيطر على أقاليم الجنوب حتى وصلت إلى عدن، وغدا العثمانيون محصورين في مناطق تهامة وزبيد، فاضطرت الدولة العثمانية لتلافي الأمرَ إلى إرسال الوالي حسن باشا سنة 975هـ/1567م .

11- الوالي حسن باشا. أفادت معظم المصادر بما فيها العربية، أن تردي أوضاع اليمن وعدم معرفة استانبول بتردي أوضاعها إلى والي مصر آنذاك محمود باشا الذي لا يزال يحمل في صدره ضغائن الانتقام من اليمنيين بعدما سلب معظم ما وصلت إليه يداه من خيرات[1]، ورغم ذلك فقد تستر على المذابح التي تعانيها اليمن بما فيها مذابح العثمانيين على يد اليمنيين، وليؤكد ذبح العثمانيين أعاق وصول الإمدادات إليها، فضلاً عن ذلك فولاية مصر مسؤولة قانوناً عن ضبط الأمن وربطه وتزويد اليمن بحاجاتها من عساكر ومواد تموينية وأسلحة، ووسط هذا الضياع الذي يواجهه العثمانيون في العين أرسلوا والياً ضعيف الشخصية غير لائق لمهمة لمثل مهمة اليمن، غير مؤهل لتحمل الأعباء، فمسألة المواجهة مع اليمنيين تحتاج إلى شجاعة وسرعة في اتخاذ القرارات، وهذه الصفات غير متوافرة فيه، ومما زاد من ضعفه سماعه لدى وصوله بمقتل مراد باشا، وقد ظل محاصراً بزبيد بعدما فقد العثمانيون تعز[2]، ووصلت قوات المطهر إلى عدن، وغدا العثمانيون على وشك الخروج من اليمن، وعلى ما يبدو وحسب الفرمان الصادر عن استانبول، فإن الإنكشارية لا تقاتل إلا بأجر، وقد طلب إلى الوالي شراء رضاها، وإعطائها مبالغ من المال لمقاتلة العدو، وذلك حسب الفرمان السلطان:

حكم إلى بكلربكي اليمن.

إنّ طائفة القول (العبيد) أي الإنكشارية الموجودة بولاية صنعاء لا تكفها الخزينة وأنه إذا ما لزم الأمر وكان السير على العدو ميسراً واستدعت الحاجة بعد ذلك نأمرك أن

(1) مهمة دفتر نمره 5 وثيقة 1686 ص 106.

(2) مهمة دفتر نمره 5 وثيقة 1687 ص 207.

تقوم بجمع الخزينة والعسكر بمقدار كاف، وعلى ذلك فإنه عندما تلزم الخزينة لطائفة العسكر الموجودة بصنعاء ويطلبها المشار إليه، عليك أن تعطيها إليه بالقدر الكافي حتى إذا ما دعت الحاجة السير على عدد أو دعت الحاجة للعسكر لأجل حفظ وحراسة البلاد، وطلبت منك [الخزينة] سواء قمت بنفسك أو أرسلتها بمقدار كاف بالسفن، عليك بالمعاونة كما يجب فترسلها وأن تكون بالاتحاد والاتفاق في حفظ وحراسة البلاد والولاية وتكونا معاً ظهيراً ومعيناً لأحدكما الآخر.

23 شوال 973هـ/1566م

وقد بقيت اليمن مقسمة إلى ولايتين على كل منها والٍ وذلك استناداً إلى الفرمان الآتي :

حكم إلى بك اليمن مراد بك

فيما يتعلق بأن أرض اليمن أرض واسعة وأنها قسمت إلى بكلربكيتين فوجهت ولاية صنعاء إلى رضوان باشا ووجهت ولاية اليمن إلى مراد بك وعليها أن يتفقا ويتحدا سوية في أعمالهما، وإذا ما طلب رضوان باشا شيئاً من واردات اليمن وهي زائدة لترسل له من الخزينة ولا تتركه بضيق[1].

5 جمادي الآخرة 973هـ/1566م

بناء على الفرمانات السلطانية فأن رضوان باشا جاء متأخراً وعن طريق جدة ومنها إلى تهامه، وفور دخوله تهامه سمع بأن الإمام مطهر يحاصر صنعاء ولكنه تلكأ في مساعدته، وفضلاً عن ذلك فإن العملة المتداولة في اليمن كانت قد غشت في عهد الوالي محمود باشا الذي أفسد الواقع اليمني بتصرفاته، وأن الفرمانات السلطانية بشأن إصلاح العملة جاءت متأخرة ولم يكن بمقدور مراد باشا أو رضوان باشا تلافي الموضوع[2]، وقد ورد الفرمان التالي:

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء مهمة دفتري نمرة: 5 وثيقة 1687 ص 607.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره: 5، وثيقة 1699 ص 612.

حكم إلى بكلربكي اليمن[1]

كنا قد سمعنا أن النقود المقطوعة (المضروبة) في ولاية اليمن حالياً لا تأتي مضروبة حسب الأصول السابقة وأنها تقطع ناقصة عن السعر القديم وبذلك يختل أمر النقود كثيراً، وعليه أمرت بالاهتمام بالنقود وضرورة الالتزام بما هو متعارف عليه، وأن يؤمر بقطعها حسب السعر القديم ولا تدعوا أحداً يخالف ما جرت عليه العادة.

4 ذي القعدة 973هـ/1566م

ما يمكن قوله إن تقسيم اليمن إلى ولايتين برأسهما واليان، لم يكن مناسباً لتلك المرحلة، لأن مطهر كان قد ازداد قوة بسبب أخطاء ارتكبها الوالي رضوان باشا، وأن رضوان ومراد باشا كانا على خلاف، ولو كان الأمر مرتبطاً بوالٍ واحد لما تمكن الإمام مطهر منه تحقيق هذه الانتصارات على العثمانيين الذين يملكون أسلحة متطورة ولديهم قدرات عسكرية أقوى مما لدى الإمام مطهر لكن الخلاف الذي حدث تسبب في مقتل مراد باشا، لأن قتل والٍ في تلك المرحلة تحمل دلالة مفادها أن القوة العثمانية في اليمن في تراجع، وأن جيوش المطهر وصلت إلى عدن جنوباً، إلى أن والي مصر السابق محمود باشا تعمد إخفاء حقيقة ما يدور في اليمن، لأنه لم يكتف بما نهبه من مجوهرات أوصلته إلى ولاية مصر وأنقذته من مقصلة سبقه إليها أعداد لا حصر لها.

لقد خالف كل من الوالي رضوان باشا ومراد باشا التعليمات الواردة من استانبول بشأن المساعدات والاتحاد فيما بينهم، وقد ورد في الفرمان السلطاني الآتي:

حكم إلى بكلربكي اليمن[2].

فيما يتعلق بأنه إذا ما لزم الخزينة (الأموال المرسلة) لطائفة القول الموجودة بصنعاء أو ظهر العدو من أي جانب، وكان هناك حاجة للعساكر، فقد صدر الأمر بالمساعدة بالمال والجند أو الاتحاد والاشتراك في الحفاظ على البلاد.

12 ذي القعدة 973هـ/1566م

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره: 5، وثيقة 1214 ص 408.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره: 5، وثيقة 2417 ص 408.

لم تكتف سلطة استانبول بالوقوف متفرجة على الانتصارات التي حققها المطهر على الواليين مراد باشا ورضوان باشا اللذين اختلفا على تجديد حدود ولاية كل منهما[1]، وبعد بقاء مراد باشا سنتين في ولاية اليمن عزل، لكن الأقدار لم تتح له العودة سالماً. وعلى الرغم من نجاته من الكمين الذي أعدّ له، وفراره منه، لكنه وقع في أيدي قبائل (المفرح) حيث قطعوا رأسه، ولم يصل الخبر إلى السلطان العثماني السلطان سليم الثاني الذي كان قد عهد إلى والدته روكسلانه وزوجته نور بانو اليهوديتين إدارة البلاد، ويضيف جودت إن قتل مراد باشا لم يحرك ساكناً في سلطة استانبول، والأصح أن السلطان العثماني سليم الثاني لم يسمع بذلك، وكلف الوالي حسن باشا ولكن فرمانه لم يحدد له أي الولايتين سيتولى[2]، وتفيد المصادر أن الوالي حسن باشا كان ضعيف الشخصية، وقد انهارت شخصيته عندما سمع بمقتل مراد باشا وأن صنعاء استعادها الإمام مطهر، لذلك بقي حسن باشا في زبيد لا يجرؤ على مغادرتها، وبذلك يكون حسن باشا بضعفه قد زاد من تردي أوضاع العثمانيين في اليمن، وفوق هذا لجأ إلى المصادرات يميناً وشمالاً دون معرفة بالنتائج التي قد تترتب عن أفعاله، ويضيف جودت، وقد عاد محمود باشا بلباس حسن باشا[3].

في الحقيقة فإن الوالي محمود باشا الذي سرق مجوهرات وقتل الكثيرين لم يواجه أزمات حربية مثل الأزمات التي واجهها حسن باشا ومحاولة الإمام مطهر بالضغط سياسياً على الوالي حسن باشا الذي رفض بشدة تسليم زبيد وقاوم عندما استدعى الأمر المقاومة، وأفشل محاولة ممثل الإمام مطهر علي بن الشويع الذي هاجم زبيد معتقداً أنه يستطيع دخولها وطرد الأتراك منها، لكنه تناسى أن الأتراك يمتازون بصعوبة الاستسلام،

---

(1) صولاق زاده، مصدر سابق، ص 480.

(2) جودت باشا، مصدر سابق، ج4 ص 350.

(3) المصدر السابق نفسه، ج4، ص 351.

وقد أسفر عن الصدام مع قائد قوات الإمام علي بن الشويع إلى التوجه إلى جرحه في المعركة وقتل العديد من أنصاره ومؤيديه وفر هارباً إلى تعز.

لقد علمت استانبول بما آلت إليه الأمور، فوجه السلطان العثماني فرماناً إلى حسن باشا يعلمه بأن قوات من مصر في طريقها إليه وعليه الصمود والمقاومة، ويعتقد أن هذا الفرمان هو الذي منح حسن باشا وقواته الشجاعة والصمود لقوات الإمام مطهر[1].

حكم على حسن باشا بكلربكي اليمن

فيما يتعلق بأن مصطفى باشا والي الشام الذي وُجهت إليه قيادة اليمن مع رتبة الوزارة قد خرج إلى ميناء زبيد في أوائل ربيع الأول 975هـ وأن المكتوب الذي أرسلته بشأن أحوال اليمن قد وصل، وأن العساكر التي تم تعيينها إلى جانبه من استانبول ومصر والشام قد أرسلت وأن الذخائر والبارود والمهمات قد أرسلت قبل العساكر مع خمسة سفن، وإلى أن تصل العساكر يجب الاهتمام بحفظ البلاد وحراستها، وأنه قد أُرسلت رتب إمارة السناجق والأغوات التي تم عرضها ولهذا أرسلت الأوامر بصددها[2].

13 رجب 975هـ/1567م

لم تقف الأوامر السلطانية بإعلام حسن باشا بالإجراءات المتخذة حيال تسوية أوضاع اليمن وتحسين أحوال القوات العثمانية المتواجدة في اليمن، ولهذا فقد وجه حكم إلى الوزير مصطفى باشا يأمره بالتحرك إلى اليمن، وقد جاء في الفرمان تفصيلات ما سيصرف من أموال وما سيفعله وذلك على النحو الآتي:

حكم إلى حضرة الوزير مصطفى باشا المرسل للخدمة باليمن

فيما يتعلق بأن الوزارة وجهت بمرتب 100.000 آقجة[3] (×12 مرة) ولأن له خاصة (قراه الخاصة) نفسه 100.000 آقجة (×10 مرات) فإن المتبقي هو 200.000

---

(1) يمن سالنامه سي لسنة 1314 ص 362.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره 6، وثيقة نمره 699 ص 252.

(3) آقجة، عملة عثمانية ضُربت لأول مرة في بورصة في عهد أورخان سنة 1327.

آقجة سيؤخذ من خزينة مصر، ولأنه من العادة بالنسبة للقيادة (السردارية) [1] أن يُعطى خلعة و 200.000 آقجة فقد أُرسلت الخلعة عيناً، وهذا المائتا ألف آقجة ستؤخذ من مصر، وغير ذلك فسوف يصرف عشرة آلاف فلوري كسليانة[2] من خزينة مصر[3].

ويفهم من هذا الفرمان السلطاني تردي الأوضاع في اليمن، وإن هذه المكافآت والعطايا السلطانية، تؤكد صحة تردي أوضاع العثمانيين في اليمن، وأن السلطان يهدف إلى تشجيع عناصر، لاسترداد اليمن، وطرد الإمام من المناطق التي استولى عليها.

ويفيد جودت في تاريخه أن أحد الشيوخ قد أرسل رسالة خاصة إلى السلطان العثماني يعرض فيها استعداده بتزويد القوات العثمانية بما يلزمها من الإبل التي تحتاجها العساكر.

ويوضح الفرمان الموجه إلى بكلربكي مصر ذلك:

حكم إلى بكلربكي مصر[4].

فيما يتعلق بأنه قد تمت الكتابة إلى كل من الشيخ حيلص وعلي بن عمرو الشيخ عطيه من شيوخ اليمن الموجودين بمصر أن يقوموا بإعداد الإبل اللازمة للعساكر الموجودة في اليمن كل حسب قدرته، ولذا يلزم إخبارنا بما يمكن أن يقوموا به والإسراع بإحضاره وإخراجه منها.

11 شعبان 975هـ/1567م

إن السلطان تلمس بضرورة الخطر الذي يحيق بقواته في اليمن، لذلك بدأ يوجه فرمانات إلى ولايته للإسراع في إعادة أمور اليمن كما كانت سابقاً، وها هو يوجه فرماناً إلى والي الشام مراد آغا.

---

(1) السردارية، كلمة فارسية الأصل وتعني القيادة العامة.

(2) فلوري عملة إيطالية من فلورنسا، استخدمت في الدولة العثمانية. والسليانية تعني الرواتب.

(3) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 6، وثيقة 824 ص 291.

(4) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 6، وثيقة 850 ص 296.

حكم إلى مراد باشا القائم بالمحافظة بالشام[1].

فيما يتعلق بضرورة إعداد 1000 نفر قواس على سبيل السرعة والتي أمر بإعدادها لأجل اليمن، وبعدها يعين عليها ضابط وترسل إلى هناك.

26 ذي القعدة 975هـ/1567م

ما يمكن قراءته عن الفتح العثماني لليمن حتى سنة 1569م أن العثمانيين تمكنوا خلال المرحلة الأولى من تثبيت وجودهم بدءاً من سليمان باشا الخادم حتى ولاية حسن باشا 1567م غير أن التصرفات التي قام بها الوالي محمود باشا في أثناء ولايته لليمن لم تكن لصالح الدولة العثمانية، وبما أنه لم يحاسب على تصرفاته وأنه تولى ولاية مصر من خلال الأموال التي اختلسها من اليمن بالقوة وقتل الأمراء من الإنكشارية ومن السكان المحليين فإنه حول القوى الفاعلة في اليمن إلى أعداء للعثمانيين، وقد استغل الإمام مطهر هذه الظاهرة التي تمكن من خلالها من كسب القوى المحلية الفاعلة، ومما زاد الطين بلة، إقدام رضوان باشا على ضرب القوى الإسماعيلية التي كانت في حرب مع الإمام الزيدي مطهر، وبضربها حولها من أعداء للعثمانيين وإلى أصدقاء للإمام وفضلاً عن ذلك فإن تقسيم اليمن إلى ولايتين خلق تنافساً ما بين الوالي مراد باشا ورضوان باشا وبدلاً من التعاون لمقاومة الإمام بدأ كل طرف يقف متفرجاً على الآخر، وأسفر هذا الموقف المتفرج عن مراد باشا، وتمكن الإمام من طرد العثمانيين من جميع المدن اليمنية ما عدا زبيد التي هاجمها الإمام، لكن الوالي حسن باشا أدرك أن تخاذله سيؤدي إلى ذبح العثمانيين وإخراجهم من اليمن فضلاً عن ذلك فإن الفرمان الذي جاءه من السلطان ساعده على الصمود مع بقية عساكره[2].

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمرة 6، وثيقة 1465، ص 509.

(2) آثرنا وضع عدداً كبيراً من الفرمانات مترجمة للعربية في قسم الملاحق، وفي الوقت نفسه وضعنا بعض الفرمانات التي وجدنا ضرورة وضعها في متن الرسالة.

4- الصراع المحلي العثماني :

عندما تطلع السلطان سليم الأول إلى بسط نفوذه وسيطرته على اليمن، لم يكن يعلم عنها شيئاً وتصور أنها لا تختلف عن سورية ومصر بشيء كثير، لكن السلطان العثماني تناسى أن اليمن أرض لدول متعددة بعضها يحمل انتماءً قومياً وبعضها الآخر ديني مذهبي وما تبقى لا هذا ولا ذاك وإنما هواة فاز بها مغامر، أو قذفت به أمواج التغيير فاندفع إلى اليمن يبحث عن زعامة وسط كم من القبائل أقصى ما تتطلع إليه عدم الإهانة وألا تقوم قبيلة ما بغزوها على حين غرة وتعجز عن الرد.

لقد غدر المماليك بالعثمانيين بتقديم الولاء والطاعة في مصر وفي استانبول هدايا وتأكيد على الولاء، وقبل العثمانيون الولاء فرحين بها. وبما أن العثمانيين تحملوا مسؤولية حماية المسلمين، فطرد البرتغاليين الذين احتلوا عدن وبقية مناطق البحر الأحمر مسؤوليتهم، فضلاً عن ذلك فعليهم إكمال ما بدأه المماليك طالما أزالوا دولتهم من الخارطة، وبالفعل تهيأ العثمانيون لطرد البرتغاليين وكلفوا سليمان باشا الخادم بإعداد ما يحتاجه من سفن للانتقام من هزيمة المماليك في ديو سنة 1509م وبالفعل انتقل سليمان باشا الخادم بسفنه ووصل عدن، علماً بأن الصدر الأعظم إبراهيم باشا كان قد وجه حملة إلى اليمن مؤلفه من عشرين سفينة تحمل على متنها أربعة آلاف جندي، وعيّن خير الدين حمزة قائداً عاماً للحملة وسليمان الريس قائداً للأسطول، أما الحملة التي يقودها سليمان باشا الخادم كانت بتوجيه من السلطان سليمان القانوني مؤلفه من ثمانين سفينة متنوعة الأحجام والمهام، وغادر سليمانُ الخادم السويس في محرم سنة 945هـ/1538م يحمل مهمتين فتح الهند واليمن(1).

لجأ سليمان باشا الخادم إلى تنفيذ ما اتفق عليه، فاحتل سواحل البحر الأحمر ولا سيما الجانب اليمني مثل عدن والشجر، وتوجه إلى عدن، وكانت عدن تخضع للطاهريين،

---

(1) نضطر آسفين لتكرار الحوادث، لأن طبيعة البحث تتطلب ذلك وبغية الالتزام بالنهج المتبع علمياً.

وقد تذرع سليمان باشا الخادم لدى دخوله عدن بإكمال ما يحتاجه أسطوله، فرحب عامر ابن داؤد، وبالسر كلف رجاله باحتلال النقاط الرئيسة في عدن، وحينما اطمأن إلى سلامة موقفه ألقى القبض على عامر بن داؤد الذي كان على ظهر سفينة القيادة التي يقودها سليمان، فأعدمه على السارية وتركه لمدة ثلاثة أيام[1].

عدّ سليمان باشا الخادم أن عدن غدت عثمانية، فعمد إلى تحصينها وشحنها بالمدافع وعيّن عليها الأمير بهرام وترك معه خمسمئة جندي للمحافظة على الأمن، في حين تابع سليمان حملته على ديو، ولكنه لم يوفق في حملته، فعاد إلى عدن[2].

إن عودة سليمان باشا الخادم إلى عدن مثلت أول احتدام للصراع، ليس مع الطاهريين الذين أزال سليمان دولتهم بإعدامه عامر بن داؤد، لكنه صراع محلي مثله الأئمة الزيديون وقد فشل سليمان باشا الخادم في استدراج الإمام شريف الدين بن يحيى، لكن سليمان باشا الخادم كان مخطئاً في تصوره[3]، فالإمام شرف الدين بن يحيى من السكان المحليين ويمثل شريحة اجتماعية ودينية عريضة وقتله لا يحل المشكلة بل يزيدها تفاقماً والكراهية المحلية على العثمانيين تزداد وتتضاعف، فاغتيال عامر بن داؤد أفقد العثمانيين الكثير من ثقة الأهالي بهم[4].

عادت الحملة التي قادها سليمان باشا الخادم إلى مصر بعدما غدت جيزان تحت السيطرة العثمانية، ومن الآثار التي تركها سليمان باشا الخادم في رحلته أنه انتزع زبيد ومناطق تهامه من أيدي المماليك إلى أيدي العثمانيين، وبتعبير آخر أخضع تقريباً نصف اليمن للسلطة العثمانية وأراح القوات العثمانية القادمة إلى اليمن لاستكمال السيطرة على بقية المناطق الأخرى من صراعهم مع الطاهريين والمماليك، وبقي على العثمانيين

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، كلان وكدان دفتري (الصادر والوارد)، 56، ص 14.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، كلان وكدان دفتري، 57، ص 117.

(3) أرشيف رئاسة الوزراء، علم وخبر دفتري نمره 56، وثيقة 27.

(4) أرشيف رئاسة الوزراء، علم وخبر دفتري نمره 114، وثيقة 46.

وولاتهم في اليمن كيفية التعامل مع المحليين المذهبيين وهما الأئمة الزيديون والإسماعيليون، وكان الإسماعيليون مع العثمانيين لا حباً بهم وإنما تحدياً للأئمة الزيديين الذين تصدوا للعثمانيين منذ المرحلة الأولى للوجود العثماني[1].

إن دخول العثمانيين لليمن، حملهم وزر ليس المقاومة المحلية التي قاومت العثمانيين لأسباب أخرى، وإنما مقاومة منظمة حملت على عاتقها طرد العثمانيين ومثابرتها في إدارة البلاد بدلاً من العثمانيين الغرباء.

من الصعب التحدث عن الصراع المحلي العثماني وإيفاء الفترة حقها من الدراسة والتحليل، فالأمر ليس وقفاً على العثمانيين تطبيق العدالة وإنصاف المظلوم وتعمير اليمن، فالمسألة أكبر بكثير من عدالة بني عثمان، وأكبر من إعمارهم لليمن، إنها مسألة تنظيم ديني مسلح يهدف قبل عدالة بني عثمان إلى إخراجهم، وبالطبع هناك مسوّغات أخرى غير هذا دفعت الأئمة الزيديين إلى المناداة بطرد العثمانيين، فما فعله محمود باشا من سرقة وقتل وظلم، وتعميق الفتنة في اليمن حتى بعد خروجه منها وتوليه ولاية مصر، كافية للمناداة بخروج العثمانيين من اليمن، وتطلع كل من مراد باشا ورضوان باشا إلى تحديد حدود ولاية كل منهما، كافية وحجة مسوّغة للمناداة بطرد العثمانيين من اليمن، لكن والحق يقال إن العثمانيين اتبعوا أسلوب القوة والسرقة والظلم كان بسبب المقاومة المحلية التي إذا وقع جندي بأيديها قطعت رأسها، وتجاهلت تلك المقاومة أنه عبد مأمور، فإذا كانت المسألة في تحليل هذا الصراع، فإن النتيجة التي يمكن قولها، عثمانيون دخلوا اليمن واعتمدوا ما يثبت أقدامهم فيها، ومقاومة محلية سعت إلى طردهم من باب الحرية الوطنية.

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، كلان كدان دفتري نمره 217، ص 172.

مهما قيل ومهما كتب، العثمانيون كفروا الأئمة الزيديين تكفيراً ليس للسلاطين اللجوء إلى مثل ذلك، لأنهم بدوا وكأنهم مهتمين بالدين، ولو لم يعمد الأئمة إلى حمل السلاح لما لجأ السلاطين إلى تكفيرهم ولطالما كفرهم السلاطين فإن الأئمة سيضطرون إلى مقاتلتهم حتى الموت[1].

(1) في قسم الملاحق إشارة واضحة إلى الصفات السيئة التي نسبت إلى الأئمة الزيديين.

خاتمة الفصل الثاني

أشار الفصل الثاني بوضوح وكأن العثمانيين استقروا في اليمن لا ثورات ولا مواجهات، فقسموا الديار وفرضوا ما يرغبون من ضرائب وعينوا القضاة. ومن قراءة للولاة الذين عيّنوا في تلك الفترة تراءى لنا أن الولاة تعددوا في مشاربهم، فبعضهم كان والياً حقيقياً عمل بإخلاص وطبق العدالة وساس الناس بالعدل، والبعض الآخر كان ضعيفاً لا حول له ولا قوة كل ضابط من عساكره قادر على تصريف الأمور أفضل منه بكثير، لكن الظروف وقفت إلى جانبه وأصبح والياً، وما تبقى غالبيتهم لصوص مارقين سرق ونهب على حساب وظيفته كما فعل محمود باشا.

إن تصرفات السيئين منهم أسهمت في زيادة شعبية الإمام مطهر أكثر مما كانت في أيام الإمام شرف الدين بن يحيى، وكأنه تبين لليمنيين أن العثمانيين ظلمة يسعون إلى جمع الأموال من اليمنيين الذين يعانون جوعاً ومعه قتال منذ قرون وكأنهم عاشوا مقاتلين فاعتادوا عليه، وكان على الولاة العثمانيين عدم اللجوء إلى الظلم والقهر، ولكن ليس بمقدور العثمانيين تأمين الرفاهية لليمنيين، لأنه من غير المعقول أن تجني المناطق التي يدخلها عسكر أن ترى هدوءاً أو استقراراً إذا كان في المنطقة التي دخلوها قوى يهمها أن تدافع عن أرضها، ومن الصعب أيضاً أن يكون كل الولاة على سوية واحدة، ولهذا فإن الصراع الزيدي العثماني كان نتيجة حتمية لا بد من حدوثها، فالعثمانيون عسكر واليمنيون اعتادوا على عسكرة منذ قديم الزمان.

الفصل الثالث

التنظيمات العسكرية العثمانية في اليمن

1- التشكيلات العسكرية وتنظيماتها :

آ – قوات الإنكشارية .

ب – القوات الأخرى.

2- الثورات والانتفاضات المحلية:

1- ثورة الإمام القاسم.

2- واقع اليمن في أثناء الثورة وبعدها.

3- ولاة الفتح العثماني الثاني 1569-1635م

4- خروج العثمانيين من اليمن 1635م وتداعياته.

- خاتمة الفصل الثالث.

التنظيمات العسكرية العثمانية في اليمن

إن دخول العثمانيين إلى اليمن اتصف بالصراع بين عدّة قوى، ولا سيما القوة المحلية التي لازمت مقاومتها للعثمانيين منذ المراحل الأولى للوجود العثماني، وإذا كان الأئمة الزيديون قد تبنوا مقاومة العثمانيين لأسباب فسرها البعض أنها مذهبية الطابع، فإن هذا التصور خاطئ، لأن اليمن أرض عرفت بأرض الدويلات المتصارعة والأئمة موجودون في اليمن فقد تصارعوا مع المماليك ومع الطاهريين، وكلتا القوتان يعدّان نفسيهما أنهما من السكان المحليين وليسوا غرباء عن اليمنيين، وأنهم جاؤوا لمساعدة اليمنيين على إدارة بلادهم، والأئمة واحدة من تلك القوى التي تصورت وتصورها صادق بأن من حقها طرد تلك القوى من اليمن أو على الأقل أحقيتها في أن تحكم المناطق التي يتواجد فيها أنصارها، وبتعبير آخر هناك ثلاث قوى قبل العثمانيين فقوة المماليك التي أعلنت ولاءها للعثمانيين لتصورها بأن العثمانيين لن يأتوا إلى اليمن وهم سيحكمون اليمن باسمهم، والقوة الطاهرية التي تعدّ نفسها بأحقيتها قبل المماليك والأئمة الزيديين في حكم البلاد، أما الأئمة الزيديون فيعدون أنفسهم أنهم أصحاب الأرض وما تبقى غرباء، وقد تحمل أئمتها مسؤولية طرد المماليك والطاهريين، إذاً لماذا يؤول المؤرخون هذا التأويل المذهبي الذي لا يصح على اليمن إطلاقاً[1].

---

(1) إن هذا التحليل تحليل علمي بريء من الدفاع أو ضد، فالمسألة العاطفية لا وجود لها في قاموسنا العلمي. (الطالب)

إذاً الصراعات التي اصطدم بها العثمانيون لن تسمح لهم إقامة تشكيلات غير التشكيلات العسكرية لدى العثمانيين في المعارك، ولا يمكن للعثمانيين اعتماد تشكيلات أخرى رئيسة غير الإنكشارية.

1- التشكيلات العسكرية العثمانية وتنظيماتها:

كلنا يعلم أن العثمانيين اعتمدوا نظام الدوفشرمة منذ سنة 1362م في عهد مراد الأول 1359-1389م القاضي بجمع الشبان المسيحيين من أوروبا الشرقية[1]، والإنكشارية إبداع عثماني بامتياز، وقد امتازت الإنكشارية بعدة مميزات أبرزها أنهم يولدون (يجرى تدريبهم وتربيتهم منذ الطفولة) في مدرسة تعليمية داخل السراي العثماني حيث تتولى تنشئة النخبة من المتخصصين الذين يتقرر لهم تولي شؤون الإدارة في الإمبراطورية، أما العناصر الأخرى فهي قتالية التي يحرم فيها تجاوز القانون أو مخالفة الأوامر تحت أي ظرف كان، وقد تتفاوت العقوبات إلا في حالات الحرب، فالقتل هو الحل الوحيد والأخير للمخالف.

وقد خصص العساكر التي كلفت بالذهاب إلى اليمن من جميع الفئات القتالية، مثل قوات اليايا (المشاة) والدلي (المجنون) وهؤلاء مسؤوليتهم تقدم قوات الإنكشارية وكشف الطريق لتجنب وقوع القوات النظامية (الإنكشارية) في كمين، كما عليهم إقامة الجسور وقطع الأشجار لكشف الطريق لإيضاح رؤية القوات للأماكن المتجهة إليها، وقد أكثرت الدولة العثمانية من إرسال قوات من قول قارداشي (إخوان العبيد) وهذا التنظيم من نتاج الدفشرمة ولم يتعلموا في أوجاق العجم، وإنما ألحقوا بالتنظيم العسكري العثماني لشجاعتهم وقد كلفوا بالحدود الفاصلة وعلى القلاع الموجودة خارج المدن، وقد برزوا كقوة قتالية متميزة في اليمن وإيران، وبعدها بحرب النمسا بسبب طول هذه الحرب[2].

---

(1) الدفشرمة، تعني القطف، الجمع، الأخذ.

(2) جودت، مصدر سابق، ج1، ص 133.

ومن القوات التي كلفت بحرب اليمن السكبان (مدربو الكلاب) وفي بادئ الأمر كان هذا النوع وقفاً على السلاطين لدى ذهابهم إلى الصيد، غير أن توصيات سليمان باشا الخادم بضرورة إرسال تشكيلات متنوعة من العسكر، أمر السلطان سليمان القانوني بضرورة تزويد القوات الذاهبة إلى اليمن بهذا التنظيم وغيره، ولهذا فقد ضمت القوات المكلفة بفتح اليمن مختلف التنظيمات العسكرية العثمانية، ومنحت تلك القوات علوفة (رواتب) لأنه من الصعب تطبيق النظام الإقطاعي العسكري المتضمن تقسيم الأرض إلى تيمار وزعامت وملك خاص[1].

لقد نص القانون العسكري العثماني على ضرورة إرسال التنظيم مع قادته بدءاً من أونباشي (قائد العشرة) ويوزباشي (قائد المئة) وبكباشي (قائد الألف) وعليهم قيادة القوات التي ينتمون إليها من يايا (مشاة) وبيادة (خيالة) وسواري (فرسان)، وقد تطلبت اليمن أعداداً من قوات السواري (الفرسان) لملاحقة العصاة الذين يتخفون في الوديان وبين الأشجار[2]، وقد أدت هذه القوات دوراً في حصار صنعاء وبفضلهم تمكن إزدمر من السيطرة عليها وطُرد الإمام مطهر منها[3].

ومن التنظيمات التي أسهمت في تحقيق انتصار القوات العثمانية في اليمن قوات التفنكجية (أصحاب البنادق) وهم يحملون الأورطة 92، والتفنكجية ليست من الإنكشارية بل هي جزء من أوجاق الجبه حيه (سلاح المدرعات) وكان هذان الصنفان يقاتلان في الميمنة والميسرة للقوات المشاركة بفتح اليمن. لكن عمليات الكر والفر التي كانت تتعرض لها القوات العثمانية أفسدن الخطة القتالية لتنظيم القوات العثمانية، ولهذا فإن القوات العسكرية العثمانية لم تتمكن من القيام بالمهام المكلفة بها بسبب وعورة المناطق القتالية في اليمن[4]، مما أرغمت على التحرك بحسب واقع القتال أو الصدام الذي كانت تواجهه

---

(1) إسماعيل أوزون تشارشلي، التشكيلات العسكرية العثمانية، استانبول 1987م، ص 301.
(2) أحمد راشد، تاريخ اليمن وصنعاء، مصدر سابق، ج2، ص 457.
(3) عاطف باشا، يمن تاريخي، مصدر سابق، ص 357.
(4) أحمد راشد، مصدر سابق، ج2، ص 517.

مع القوات الزيدية التي كانت على معرفة بمسالك البلاد، بعكس القوات العثمانية التي كانت جاهلة لتلك المسالك.

لقد اعتمدت القوات العثمانية المحاربة في اليمن على الأفواه النارية أي المدافع التي تعمل بالبارود، وهذه الأسلحة عندما يتم استخدامها كانت تحسم المعركة، لكن الطريق من تعز إلى صنعاء وجر تلك المدافع كان أصعب على القوات من المعركة ذاتها[1]، وقد أعاقت مسألة نقلها إلى أرض المعركة والصدام مع قوات الإمام مسألة انتصار القوات العثمانية.

آ - قوات الإنكشارية :

لم يدخل العثمانيون إلى اليمن مثلما دخلوا كباقي الولايات، ولهذا لم يتمكنوا من تنظيم قواتهم العسكرية، غير أن تمكنهم من توطيد الأمن بعد سنة 1571م، دفعهم إلى توزيع عساكرهم في مدن اليمن، وكانت مصر الخزان العسكري لليمن والجزيرة العربية.

- أفواج الانضباط، وقد أعدت لهم الدولة العثمانية مجلساً سمته مجلس الأفواج. وكان يتألف كل فوج من عدة طوابير يشرف عليه ضباط:

1- رئيس الأفواج العسكرية وهو مسؤول عن توزيع الأفواج في مركز الولاية وسناجقها وأقضيتها ويرأسه بكباشي[2].

2- آغا الكتيبة وهو الشخصية الثانية في التنظيم العسكري في اليمن ويرأسه يوزباشي[3].

---

(1) عاطف باشا، المصدر السابق، ص 360.

(2) بكباشي، وهي مؤلفة من لفظة بك الألف، لأن الكاف التركية تلفظ نوناً أي بن وباشي وتعني الرأس أي رئيس الألف أي ما يعادل رتبة نقيب.

(3) يوزباشي، وهي مؤلفة من لفظة يوز أي مئة، أما لفظة باش فتعني رئيس، أي رئيس المئة ما يعادل بالعربية رتبة ملازم.

وقد وضع في مدينة صنعاء طوابير من المشاة بلغ عددها سبعة طوابير من المشاة يشرف على كل طابور ضباط برتبة ملازم وملازم أول وعليها تقع مسؤولية أمن مدينة صنعاء وضبط عساكر المشاة، كذلك فقد خصص لمدينة صنعاء طابورين من الفرسان ويشرف على كل طابور ملازم وملازم أول، وقد خصصت إقامة طوابير الفرسان في أطراف المدينة، لأن القانون العسكري العثماني يفرض على الفرسان أن يظلوا دوماً بجانب خيولهم لإطعامها والإشراف عليها، أما في سنجق تعز فقد خصص لها سبعة طوابير من المشاة (بيادة) يشرف على كل طابور ملازم وملازم أول، وفي حين خصص لها طابور واحد من الفرسان (سواري) ويشرف عليه ملازم وملازم أول،

أما سنجق الحديدة، فقد خصص له ثمانية طوابير من المشاة وطابور واحد من الفرسان وكانت مهمة عساكر الحديدة أصعب وأشد قساوة من سنجق تعز، أما سنجق عسير فقد خصص له سبعة طوابير من المشاة وطابور واحد من الفرسان (سواري)، وكان في كل طابور مشاة أم فرسان ضباط من مختلف الأصناف وذلك على النحو الآتي:

	بيادة (مشاة)	سواري (فرسان)
باشچاويش (باشاويش)	ومسؤول عن 93 فرداً	مسؤول 97 خيالاً
چاويش (شاويش)	ومسؤول عن 76 فرداً	مسؤول 80 خيالاً
أمين الطابور	ومسؤول عن 152 فرداً	مسؤول 120 خيالاً
بلوك باشي	ومسؤول عن 862 فرداً	مسؤول 229 خيالاً
المجموع	**1183 فرداً**	**المجموع 526 خيالاً**

وبغية ضبط العساكر فقد أقامت الدولة العثمانية دائرة سمتها دائرة البوليس (بوليس دائرة سي) مهمتها مراقبة العساكر والاطلاع على أحوالهم والنظر في شكواهم[1]، ومقرها

(1) يمن سالنامه سي لسنة 1297 ص 153.

صنعاء، وكانت تتألف من ضباط كبار يرأسهم ضابط برتبة بكباشي (قائد الألف) وهو مسؤول أمام البك وعليه إعلامه بأحوال العساكر المتواجدين على الساحة اليمنية، وقد أطلقت الدولة العثمانية (المؤسسة العسكرية) على جيوشها في اليمن (الجيش الهمايوني الأول) وقد خصصت المؤسسة العسكرية وبتوجيه من السلطان سليمان الأول ميداليات ذهبية وفضية للضباط والعسكر الذين بذلوا جهداً كبيراً لتوسيع دائرة النفوذ العسكري العثماني في اليمن، ولمن أخلص في عمله، كما خصصت مبالغ مالية لأسر الشهداء(1)، وبغية تخفيف آلام المصابين أقامت مشافي عسكرية في مركز الولاية وفي سنجق عسير والحديدة وكلفت أطباء للخدمة فيه(2)، وتعدّ ولاية اليمن من أكثر الولايات التي كلفت عساكر للخدمة فيها، ناهيك عن القوات البحرية التي تواجدت في جميع موانئ اليمن مع سفنها. وأكدت المجموعة البحرية العثمانية، أن عناصر البحرية عملت بجد ونشاط وتحملت مسؤولية حماية مينائي سواكن ومصوع، فضلاً عن حراستها لسواحل الخليج والجزيرة العربية، وقد تمكنت من طرد البرتغاليين من تلك المناطق(3).

ب – القوات الأخرى:

لقد شارك في السيطرة على اليمن قوات من ولاية الشام وولاية مصر، وهذه القوات كانت رديفاً للقوات العثمانية بعدما تمكن سليمان باشا من فتح عدن، كذلك فقد شاركت هذه القوات في فتح زبيد وجيزان، قبل قدوم القوات النظامية التي كانت ترسل بشكل متقطع وحسب حاجة الوالي بدءاً من ولاية مصطفى باشا النشار، لأنه ذكر في تقريره صعوبة ضبطها، كذلك فإن قوات القول كانت لا تذهب إلى المعركة إلا إذا نالت أجرها قبل المعركة، وكذلك فإن القوات التي جاءت من بلاد الشام ومصر وكلفت بحماية عدن ومنطقة تهامة كانت تطالب بأجرها، لكن هذه العناصر لا يمكن أن نسميها عناصر

(1) يمن سالنامه سي لسنة 1298، ص 250.

(2) يمن سالنامه سي لسنة 1314، ص 273.

(3) بحرية مجموعة سي لعدد من المؤلفين، استانبول 1297هـ، ص 183.

مرتزقة، لأن الجيش العثماني لم يعرف الارتزاق إلا في مرحلة الضعف أي في نهاية القرن السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر(1).

أما بشأن القوات البحرية، فلقد اشتهر العثمانيون بقوة أسطولهم ولا سيما بعد تولي خير الدين بربارُوس قيادة الأسطول، ولقد تخوفت أوروبا من قوة ومهارة البحارة العثمانيين وتدافعهم إلى الموت، وبفضل القوات البحرية ومتانة الأسطول الذي قاده سليمان باشا سنة 1535 م وتوجهه إلى اليمن والهند، حقق البحارة النصر في دخول عدن، علماً بأن معظم المؤرخين يتهمون سليمان باشا الخادم بأنه دخل عدن بالحيلة وانتصر بالحيلة(2)، وعلى الرغم من شدة القتال ما بين اليمنيين والقوات العثمانية، فقد صدرت مخالفات من قبل القادة والعساكر، وصدرت أوامر من السلطان العثماني تحذر القادة والعساكر من ارتكابها.

حكم إلى بكلربكي اليمن.

فيما يتعلق بأن القولية الذين يرسلون بطريق التناوب من مصر إلى اليمن لا يجب أن يُعطى لهم الأذن ما لم يقضوا بالخدمة ثلاث سنوات، وأن يُعطى الأذن لمن أكمل منهم ثلاث سنوات، وإذا لزم الأمر لبعض القولية الجدد أن يسجلوا أسماءهم بواسطة بكلربكي مصر أيضاً وتصرف لهم علوفاتهم (رواتبهم) على حساب مصر(3).

15 ذي القعدة 975هـ/1567م

لقد أفادت المصادر العثمانية أنه كان من الصعب على القولية وغيرهم الخدمة بصورة متواصلة في اليمن لمدة ثلاث سنوات، ولا سيما أن اليمنيات رفضن الزواج بالعساكر، ولهذا فقد أدى هذا إلى حدوث تمردات ثانوية ثم اتسعت وشكلت مع أواخر القرن السادس عشر خطراً على الوالي العثماني في اليمن.

---

(1) أحمد راشد، مصدر سابق، ج2، ص 515.

(2) أحمد راشد، مصدر سابق، ج2، ص 516.

(3) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره 7 وثيقة 358 ص 139.

وفيما بعد وجه فرمان إلى سنان باشا الذي عيّن والياً على اليمن تضمن إحضار عساكر من مصر والشام ومن القول أوغلية والقول قرنداش ومن الفتيان الشجعان لإرسالهم إلى اليمن[1].

2- الثورات والانتفاضات المحلية:

يخطئ من يقول إن اليمن عرفت يوماً الثورات أو الانتفاضات، لأن تعريف الثورة: هي ضرورة حتمية لقوى اجتماعية يعجز النظام القائم عن احتوائها أو تمثيلها، ولإنجاح الثورة لا بد من مبدأ وقائد، أما الانتفاضة، فهي احتجاج جماعي ضد نظام الحاكم، ولإعلان الاحتجاج على النظام الحاكم لا بد من قيام الحاكم بانحراف قانوني يشهد العالم أو القانون الدولي على تجاوز الحاكم له.

إن ما شهدته اليمن عبر تاريخها ولا سيما الإسلامي والحديث صراع دويلات للبقاء أو لتوسع حدود كل منهم على حساب الآخر. أما في المرحلة العثمانية فالأمر يختلف تماماً، فلو تمكن سليمان باشا الخادم من إزالة الدولة الطاهرية المتمركزة في عدن والقوة المملوكية فيما بعد التمركزة في زبيد، وجاء العثماني لقلنا إن العثماني الذي يقاتل الطاهري والمملوكي جاء ليعد لليمنيين أرضهم من قوة متطفلة استغلت ضعف اليمنيين وأقامت كل منهما دولة أو دويلات.

لطالما العثماني جاء إلى اليمن وفرض على اليمني إتاوات وأرغمه على الاستجابة لطلباته ورغباته، وفي أثناء تواجد العثماني برزت قوى محلية وتصدت له، أي تعاملت منه بمنطقه نفسه، ألا نسمي هذه مقاومة، وقد ينبري مؤرخ ما ويقول إن الذين قاوموا العثمانيين هم زيديون، وأن الشوافعة قبلوا بالتواجد العثماني لسارعنا إلى القول، وهل الشوافعة يقبلون دفع الأتاوات وامتصاص خيراتهم وقدراتهم، ومن قال إن الزيديين منعوا

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره 7 وثيقة 2356 ص 860.

الشوافعة من المشاركة في مقاومة العثمانيين ولماذا هذه الفتنة القلمية التي يطرحها مؤرخ ما ؟[1].

إن القوى التي واجهت العثمانيين هي قوى محلية، نظرت إلى العثماني على أنه مستعمر ورفضت التعامل معه منذ البداية الأولى، وكانت قبل ذلك تقاتل تلك القوى الطاهرية والمملوكية على حد سواء، وقد رفضت وجود قوى غير يمنية على الأرض اليمنية.

لا شك أن القوى التي تقاوم لا بد لها من قيادة سياسية أو دينية، فلماذا قلنا لعبد القادر الجزائري الذي اعتمد الطريقة القادرية والتف حول أصحاب طريقته لم نقل عنه سوى المناضل الحق، ولماذا أعضاء المؤتمر السوري عندما أرادوا إعلان الثورة على العثمانيين بحثوا عن رجل دين مثل الشريف حسين لقيادة الثورة.

إن الأئمة الزيدية الذين تصدوا للعثمانيين لم يذهبوا إلى مناطق الشوافعة وطلبوا منه الانضمام معهم أو مع العثماني، والأئمة قاوموا العثماني في مناطق سكناهم، ولو أنهم من المرحلة الأولى ساوموا العثماني لقبل المساومة فهو غريب يفضل الحصول على شيء ولو كان صغيراً أفضل من عدم حصوله على شيء.

ومن قال للمؤرخين المتعاطفين مع العثمانيين أن الولاة العثمانيين لم يتبعوا ظلماً وأن اليمنيين بكل أطيافهم لم يتذمروا من تصرفاتهم، وها نحن نورد بعض الفرمانات السلطانية التي تدلل على ذلك .

لقد تلاعب بعض الولاة بضرب النقود وجاء الفرمان التالي:

---

(1) يؤسفني كيمني أن ينسب لمقاومتي اليمنية كلمات غير واقعية وتهم لا تمت إلى ذاك الواقع بصلة، ولماذا نجزء مقاومتي إلى مذهبية وبقية المقاومات في العالم توصف بالشرف والنزاهة، أهكذا يكتب التاريخ ، أم هذا لا يقال إلا..... (الطالب)

حكم إلى بكلربكي اليمن.

كنا قد سمعنا أن النقود المقطوعة المضروبة في ولاية اليمن حالياً لا تأتي مقطوعة حسب الأصول السابقة، وأنها تقطع ناقصة عن السعر القديم وبذلك يختل أمر النقود كثيراً، وعليه أمرت الاهتمام بأمر النقود من بعد أن يؤمر بقطعها حسب السعر القديم، ولا تدعوا أحداً يخالف ما جرت عليه العادة في ذلك[1].

4 ذي القعدة 973هـ،1565م

إن العساكر التي تتقاضى رواتبها بنقود مغشوشة، ستضطر إلى اتباع الظلم على الأهالي لأن هذه الرواتب لم تعد تكفي الجند بمفرده، فكيف لو كان متزوجاً ؟

حكم إلى بكلربكي اليمن مراد باشا[2].

فيما يتعلق بأن رضوان باشا بكلربكي صنعاء يتنازع مع أبناء الإمام وسائر القبائل بلا فائدة، وأن العربان ينتصرون عليه وانتزعوا منه قنفده وسائر الأماكن الأخرى، وأن البكلربكية هناك ليس لهم سوى جمع المال، ومن المؤكد أنهم يظلمون الأهالي..

غرة صفر 975هـ/1567م

حكم إلى بكلربكي مصر[3].

فيما يتعلق بعدم منع عثمان باشا بكلربكي اليمن من أخذ عساكر المتفرقة التي يريد حملها معه إلى اليمن وغيرها. وإعطائه 50.000 أقجة على سبيل الاقتراض وأنه نظراً لشكوى الأهالي في المدينة من آغا القولية إبراهيم القائم بالمحافظة هناك يجب تعيين رجل متدين بدلاً منه.

5 ذي القعدة 975هـ/1567م

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 4، وثيقة 1687 ص 607.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 7، وثيقة 44 ص 11.

(3) مهمة دفتري، نمرة 7، وثيقة 1348، ص 468. أوردنا بعض الفرمانات المترجمة في قسم الملاحق.

هناك المئات من الفرمانات السلطانية الموجهة إلى اليمن تأمر الولاة بعدم ممارسة الظلم وتحذير الجند من ارتكاب مخالفات تعدي على الأهالي، وهذا يعني أن السلطان العثماني لا يريد أن يظلموا اليمنيين، لكن هناك ظلم كثير وكبير وقع على الأهالي ولم يسمع به السلطان. فمثلاً ما فعله محمود باشا الذي سرق ونهب وقتل أمراء عساكر وأمراء محليين واستطاع بأمواله أن يصل إلى ولاية مصر، ولم يعلم السلطان بأفعاله وإذا علم فهو قد صم الآذان عن تجاوزاته بسبب الأموال التي دفعها لحاشية السلطان[1].

ما يمكن قوله إن المقاومة اليمنية أو الكفاح المسلح الذي يقوده الأئمة الزيديون قد تميز بالسعي لطرد العثمانيين، وعلى الرغم من النعوت السيئة التي نعت بها الأئمة الزيديون في فرمانات السلاطين العثمانيين بدءاً من السلطان سليمان القانوني وحتى السلطان مراد الرابع حفلت بالكلمات التكفيرية، وكأن الشرع منح السلاطين العثمانيين أحقية تكفير من لا يرضخ لسلطانهم[2].

إن المقاومة اليمنية حيال العثمانيين كانت فطرية دافعها حماية الأرض والأهل من جور الولاة الذين أسرفوا في ممارسة السلب والنهب، وقد أشرنا سابقاً إلى أفعال الولاة أمثال رضوان باشا ومحمود باشا، وقد تأزمت الأحوال في اليمن بسبب تلك التجاوزات، وبما أن الوالي رضوان باشا كان عديم الدراية، فقد تم تقسيم الولاية بينه وبين مراد باشا، ونظراً لخلافها حول حدود كل ولاية، وضرب القوى الإسماعيلية المؤيدة للعثمانيين والمعادية للأئمة الزيدية[3]، فقد توسعت دائرة الحرب، وغدا بإمكان الإمام مطهر ضرب

---

(1) عاطف باشا، مصدر سابق، ص 291.

(2) للمزيد الفرمان الذي وجه إلى السردار سنان باشا، مهمة دفتري حكم رقم 1922 ص 696 وغيره من الفرمانات الأخرى.

(3) أشرنا سابقاً إلى ذلك في فقرة أعمال الولاة العثمانيين.

القوات العثمانية دون تخوفه من هزيمة[1]، وانتزع من العثمانيين خولان والحدا وقيفه وذي مرمر والظواهر وحراز وحفاش وملحان وصعداه في شمال اليمن[2].

استمر الأئمة يتصدون للعثمانيين بشكل مستمر، وفي الوقت نفسه، فإن العثمانيين عمدوا إلى استعادة المناطق التي فقدوها بعهدي الواليين رضوان باشا ومراد باشا الذي دفع حياته ثمناً لتكاسله وتراخيه في إعداد قواته والإشراف عليها، وعدت سنة 1568م سنة فقد العثمانيين لمعظم ممتلكاتهم في اليمن، ونحن مع أستاذنا سيد مصطفى سالم في عدّ سنة 1569م الفتح العثماني الثاني لليمن والذي تجسد بتعيين السردار سنان باشا الذي أعاد الهيبة العثمانية في اليمن[3].

عمد العثمانيون إلى إعداد حملة منظمة إلى اليمن بدءاً من سنة وفاة محمود باشا 1567م بقيادة سنان باشا. وتفيد المصادر العثمانية أن تأخر الحملة إلى اليمن بسبب الخلاف الذي دار بين الصدر الأعظم السابق لالا مصطفى وسنان باشا، ونقلاً عن سيد مصطفى سالم، بأن سنان باشا تلكأ في إمداد لالا مصطفى الذي أُمر بقيادة الحملة إلى اليمن[4]، ولكن عطا الله باشا يذكر بأن لالا مصطفى كان متخوف فعلاً من الذهاب إلى اليمن، لأن اليمن شكلت عقدة عدم العودة لكل جندي عثماني يدخلها، وقد أيقن مصطفى بما أشيع عن مهالك اليمن[5].

وما يمكن قوله إن الصراع العثماني المحلي يختلف عن المراحل الأولى، لأن إخضاع اليمن غدا مسألة مهمة بالنسبة للسلاطين العثمانيين، منهم لا يريدون أن يفقدوا

---

(1) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 216.

(2) المرجع السابق، ص 221.

(3) سنتحدث عن ذلك في الفقرة التالية أعمال ولاة الفتح العثماني الثاني، أي الذي قاده سنان باشا سنة 1569م.

(4) مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 256.

(5) عطا الله باشا، مصدر سابق، ص 578.

هيبتهم العسكرية في اليمن، ولهذا حشدوا لها ما استطاعوا من قوات، حيث جاء في الخطاب الذي وجه إلى الوزير سنان باشا:

خطاب السردارية الخاص بالوزير سنان باشا المُرسل إلى اليمن.

إن ولاية اليمن بلد فُتح بواسطة قواتنا القاهرة الخسروانية، وفي الوقت الذي هي فيه من المضافات إلى سائر بلادنا المحروسة، ترى مفسداً يدعى (مطهراً) يخرج علينا ومعه كثير من الأشقياء العرب، فيستولي على بعض القلاع والنواحي قاصداً بذلك توجيه الإهانة إلى أهل الإسلام[1]. ولما كان من اللازم تأديبه، فقد أعددنا لذلك عساكر بلا عدد جنود غيورة من ولاية الشام ومصر من البر والبحر تم إرسالها، ولما كان يلزم لهذه العساكر المقرونة بالنصر سردار عظيم الاقتدار عالي المقدار، وكان بكلربكي مصر السابق ووزيرنا الأكرم حامل التوقيع الرفيع الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم ومدبر أمور الجمهور والفكر الثاقب... الخ ووزيري سنان باشا يسر الله له ما يريد وما يشاء بما له من وافر القوة والشجاعة وفرط الكياسة والشهامة ما يجعلنا نعتمد عليه وقد عينا المشار إليه على الجنود التي تم تعيينها قبل ذلك قائداً ومنحناه هذه البراءة... [2].

ورد من دون تاريخ

بدأ سنان باشا أعماله من مدينة القاعدة الدافعة شمال تعز، ومن تعز تحرك إلى صنعاء وقرر اختيار طريق وادي ميتم[3]، وقد تصدى اليمنيون إلى القوات العثمانية وحولها إلى حرب عصابات، ولكن سنان دخل صنعاء منتصراً واستولى على ما جاورها من حصون وقلاع، وفي سنة 1570م تمكن سنان باشا من الاستيلاء على كولبان بعد حصار طويل، وكان المطهر على معرفة تامة بعجزه عن إثارة المشكلات بوجه سنان باشا، لذلك فضل إقامة تناغم مضطرب، ومع مغادرة سنان باشا اليمن بعدما أخضعها

---

(1) عمد إلى أن مطهر بانتصاراته قد أهان أمة الإسلام بكاملها. (الطالب)

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره 7 وثيقة 1922، ص 696.

(3) يمن سالنامه سي لسنة 1314م ص 63.

لسلطان الدولة العثمانية عين بهرام باشا والياً على اليمن في 9 ذي الحجة سنة 977هـ/1570م[1].

لقد تمكن العثمانيون من توطيد السلطة الفعلية من 1571-1607م وشهدت اليمن خلال تلك المرحلة استقراراً دلل على قدرة الدولة العثمانية على فرض هيمنتها، وإقامة إدارة كاملة التنسيق، وقد حاول خلفاء سنان باشا سد ثغرات الأمن التي كانت تشكل قلقاً لولاة تلك المرحلة لكنهم تمكنوا من القضاء على الثورات التي واجهت الإدارة العثمانية في اليمن[2]، وأصيبت مقاومة مطهر بعد وفاته بنوع من الإرباك وعدم الاتزان[3]، كما أن هذه المرحلة لن تكون واضحة تاريخياً، لأن أولاده تنازعوا على ميراثه وهو ميراث ثقيل، وما يمكن قوله إن وفاة المطهر أدت إلى انهيار قوته وزوال أسرته كقوة ضاربة في اليمن[4]، وحدث فراغ سياسي أسهم إلى حد كبير في استقرار الإدارة العثمانية، وإذا كان خلفاء المطهر لم يكونوا على مستوى الذي يشكل قلقاً للقوات العثمانية ولكن هذا لا يعني بأن المقاومة العفوية قد توقفت، وقد واجهت القوات العثمانية في أثناء تحركات هجمات فردية ألحقت بهم خسائر ودفعتهم لإعداد أسلحة في أثناء تحركهم من مكان إلى مكان.

آ - ثورة الإمام القاسم 1598-1635م:

لقد تجمعت بالإمام القاسم كل الصفات القيادية التي حتمت على من حوله من الشخصيات بما فيهم أخوته للانقياد طواعية له، وبات الجميع يعودون إليه لاستشارته في مختلف القضايا العامة والخاصة، وقد عدّه المؤرخون الشخصية الأولى في بناء الدولة

---

(1) يمن سالنامه سي لسنة 1314م ، ص 64.

(2) عطا الله باشا، مصدر سابق، ص 411.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 415.

(4) النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة للمؤرخ المطهر بن أحمد الجرموزي، رسالة دكتوراه نقلت من CD ، لذلك قسم من معلوماتها ناقصة، ص 116.

القاسمية ويليه أخواه الحسن والحسين[1]، وقد اتضح ذلك في أثناء سيرته الذاتية، ومن العوامل المسببة للثورات في اليمن التذمر من ظلم الولاة والعساكر العثمانيية، لكن هناك ولاة حاولوا القيام ببعض الإصلاحات وأزالوا بعد الإجراءات القمعية التي فرضت قسراً على اليمنيين.

. ومن العوامل التي ساعدت الإمام على إنجاح ثورته ترتيبه أوضاع بلاده فور انتخابه وعيّن العمال والقادة والقضاة من العلماء، واعتمد على العناصر التي عاصرته، وحرص على تقريب معظم العلماء منه، ومنحهم الوظائف التي تحافظ على كرامتهم، كما قسم الأقاليم التابعة له إلى مناطق نفوذ مختلفة وعيّن أخوته على تلك المناطق[2] وأسند إليهم المناصب الرئيسة والمهمة في دولته الناشئة.

ولتقوية نفوذه وإعداده للثورة بشكل سليم وجيد، نظم مناطقه وابتعد عن التدخل في بقية المناطق والمدن التي تقع تحت حكم العثمانيين آنذاك والتزم ببنود الاتفاق الذي عقد في عهد والده القاسم مع الوالي محمد باشا 1028هـ/1619م[3].

لقد شجع الإمام القاسم بن محمد على العلم، وعمل على إيقاف الصراعات القبلية، وقد خاطبه اليمنيون الذين يعانون من وطأة العثمانيين، وكانت الثورة ضد العثمانيين ستشتعل في المناطق الزيدية أو غيرها من المناطق الأخرى، وقد لقيت دعوته ترحيباً كبيراً، ومما ساعده على نجاح ثورته كثرة الاضطرابات بين صفوف العثمانيين، لكن الوالي حسن باشا سارع للقضاء على دعوة الإمام القاسم، فأرسل الجيوش إلى المناطق الشمالية قبل سقوطها بأيدي الإمام، غير أن رغبة الأهالي بالتخلص من المظالم التي فرضها الولاة وجندهم رحبت بدعوة الإمام الداعية إلى طرد العثمانيين، وقد دللت انتصارات الإمام القاسم على مدى استجابة اليمنيين لدعوته يقابلها تذمر شديد من الحكم

---

(1) النبذة المشيرة ، مصدر سابق، ص 117.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 118.

(3) كاتب جلبي، فذلكة التواريخ، استانبول 1860، ج1، ص 129.

العثماني ولا سيما في المناطق الشمالية[1]، ومما أوصل الإمام القاسم إلى هذا التأييد العام إعلانه بأن شعار دعوته (حكم آل البيت حسب الشريعة الإسلامية) وتمكن من خلال هذا الشعار جمع المناصرين لدعوته، وتبادل الرسائل مع أشراف الحجاز وشاه إيران والحبشة والمغرب بهدف إبراز قوته في اليمن[2].

لقد هيأ الإمام القاسم أنصاره قبل إعلان الثورة، وتوالت عليه الرسائل تطالبه بإعلان الثورة على العثمانيين، ومع إعلانها بدأ الصدام مع القوات العثمانية واستمرت خمس سنوات واستطاع الإمام بسط سيطرته على أغلب أقاليم المنطقة الشمالية وحصونها، وقد اضطر العثمانيون لإخماد ثورة الإمام إلى استخدام القسوة والعنف، ومما يميز ثورة الإمام محمد القاسم التعاون الفعال ما بين آل شرف الدين وبقية الأئمة الزيديين، وتحول أنصار الإمام إلى جبهة تضامنية تمكنت فيما بعد من هدم القوة العثمانية التي بدأت تتداعى أمام السخط المحلي وهذا ما دفع الأمراء اليمنيين للانضواء تحت قيادته[3].

كانت ثورة الإمام القاسم ما بين رد وأخذ وانتصار وهزيمة، لأن العثمانيين صمدوا أمام مقاومة الأهالي المؤيدين للإمام القاسم، واضطر الوالي محمد باشا للموافقة على عقد الصلح مع الإمام بعد خوض حرب استمرت ثلاث سنوات عجز فيها عن تحقيق أي نصر على الإمام بل على العكس من ذلك فإن الإمام ومؤيديه ألحقوا هزائم بالقوات العثمانية رغم الأسلحة المزودة بها لكن معنوياتها كانت منهارة، وأرغم على إبرام الصلح سنة 1619م على أن يحتفظ الإمام ما بأيديه من مناطق[4].

لقد تجمدت الحرب حول زبيد وتهامة، وبسبب إنشغال الطرفين بمشكلاتهما، ونتيجة للجوء عدد من الجنود العثمانيين إلى الأئمة والقبائل، اجتمع سنة 1632م عدد من الجنود في

---

(1) عاطف باشا، مصدر سابق، ص 320.

(2) صولاق زاده، مصدر سابق، ص 612.

(3) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 400 وما بعد.

(4) عاطف باشا، مصدر سابق، ص 523.

تهامة وقرروا الانسحاب من اليمن والتوجه براً إلى الشام[1]. وقد عاثوا فساداً خلال عبورهم مناطق الطرفين، وحالما وصلوا مكة قتلوا عدد من الأشراف ونهبوا البيوت والمتاجر، فاضطر والي مصر إلى إرسال قوة لمنعهم وضبطهم بغية إعادة الأمور إلى الاستقرار.

لقد اضطرت القوات العثمانية إلى مغادرة اليمن بصورة نهائية سنة 1635م في حين كان السلطان مراد الرابع يحارب الفرس في العراق ويلاحق فخر الدين المعني الثاني وقضى على محاولته الاستقلالية سنة 1635م[2].

لقد أسف العثمانيون على خروجهم من اليمن بهذه الصورة، وظلوا يرتقبون أوضاع اليمن التي بدأت تزداد ضعفاً بعهد خلفاء الإمام القاسم، لدرجة مكنت العثمانيين من العودة إلى اليمن سنة 1872م وظلوا بها حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى، وهو ما يعرف بالحملة العثمانية الثانية على اليمن.

ب – واقع اليمن في أثناء الثورة وبعدها:

من الصعب قراءة الواقع اليمني في أثناء الثورة، وذلك لاضطراب القوى ووقوف بعضها على الحياد ودراسة تداعيات الوقوف على طرف وإعلان موقفها العدائي، لا شك أن اليمن كانت قبل ثورة الإمام وبالأحرى قبل دعوته كانت تعيش حالة اضطراب غير عادي، علماً بأن عوامل عدة تضافرت لتمييز الفترة العثمانية عن غيرها سواء من ناحية الهدوء والاستقرار أو شعور الجندي العثماني قبل المواطن اليمني أنه في أمان وأن الإنسان اليمني ليس كما صوره له زملاؤه قبل قدومه إلى اليمن[3]، فحينما توفي الإمام مطهر تصور القادة العثمانيون أن وضعهم الحربي تحسن وأن خلفاءه لن يكونوا على مستواه، علماً بأن المطهر ارتكب أخطاء كثيرة حيال مؤيديه وحيال القبائل المناصرة له، أما أخطاؤه تجاه القبائل المعادية له فهي لا تحصى[4].

(1) مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 403.

(2) المرجع السابق نفسه، ص 404-405.

(3) أميرة علي الملاح، العثمانيون والإمام القاسم بن محمد، السعودية 1982م ص 180.

(4) المرجع السابق، ص 181.

لم يكن وضع الدولة العثمانية في العقد الأخير من القرن السادس عشر طبيعياً، لأن الفساد تنامى إلى درجة كبيرة، ولم يقتصر الفساد على المركز بل انتقل إلى الولايات وكانت اليمن من أولى الولايات التي تأثرت به، بسبب عدم اختيار ولاة على مستوى المسؤولية[1]، هذا الفشل الإداري العثماني انعكس سلباً على علاقة العثمانيين حتى على مؤيديهم، وتخلي بعض القبائل عند مباشرة الإمام القاسم بالثورة لم يكن تبديل مواقف، بل تحسباً من ضياعهم عند انفجار الثورة، لأن تلك القبائل والقوى الأخرى لا تريد أن تدفع الثمن مرتين، وإذا كانت الدولة العثمانية قد شعرت أن موقفها في اليمن قوي، فالفضل يعود إلى قوة الوالي الذي يدير الأمور.

إن بروز الإمام القاسم بن محمد كإمام تلتف حوله الجماهير بسرعة أكثر مما يتصور الولاة الأتراك وجنودهم، لأن المذهب الزيدي يبيح لمن تتوافر فيه الشروط اللازمة أن يعلن إمامته ويدعو الناس لمبايعته، وإذا كان الإمام القاسم بن محمد قد واجه في بداية الدعوة تثاقلاً في مبايعته، فلأن اليمن كانت تعاني وضعاً اقتصادياً مزمناً، فالاقتتال دمر المحصولات وأعاق عملية الزراعة[2]، والتجارة توقفت لأن أصحابها كانوا يتعرضون إلى النهب إذا لم يقتلوا، والمظالم من الدولة العثمانية وجندها بالضرائب، والإمام مطهر سابقاً، الذي كان يرهقهم بالتبرعات عدا عن دفع الخمس حسب الشرع الشريف.

لقد تجاهل العثمانيون المتواجدين على الأرض اليمنية، توارث الأئمة لقيادة الثورات ضدهم، فمن الإمام شرف الدين إلى المطهر إلى القاسم ولكل إمام نهج خاص به، ولطالما أعلن أي إمام القيام بعمل ما فلا يستطيع أن يتراجع إلا إذا أعلن مجلسه ضرورة التراجع لصالح المذهب الزيدي، وإذا كان العثماني قد قدم من أقصى الشمال لابتزاز خيرات اليمن، فما هو السبب أو الحجة التي يمكن أن يتذرع للإقلاع عن مواجهة العثمانيين، من حقه المهادنة لتقوية جناحه وليس من حقه التخلي، ولهذا عندما أعلن الثورة لم يبق طفل ولا شيخ ولا عجوز إلا أعلن استعداده للمشاركة بمقاتلة العثمانيين.

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص 181.

(2) الملاح، مرجع سابق، ص 206.

لقد كان الإمام القاسم محارباً وسياسياً محنكاً، فلقد حمل البندقية وقاتل بها، وهذا يمنح أنصاره الحمية والإقدام على الموت، في حين كان الوالي العثماني يدفع جنوده إلى القتال وهو محاط بمرافقة وخلان، وإذا حدث تقصير كان يوبخ عناصره، أما الإمام فكان يقول لهم هذه هي إرادة الله لا بد أننا مقصرين بحقه فاطلبوا السماح والمغفرة[1].

هكذا كانت اليمن بين تجاذب البنادق والمدافع، فقراها توقفت عن العمل لمراقبة إذا كان الخطر يقترب منها، والطرق كانت مملوءة باللصوص الذين يعيشون على صيد هارب من لهيب المعركة، وقبائل دفعت بماشيتها إلى سفح الجبال تحسباً من غارة من إحدى الأطراف المتصارعة.

إن تزايد الصراع بين العثمانيين والقوى المحلية، أسفر عن يئس العثمانيين من إيقاف اقتتال لا نهاية له والحل الذي يمكن أن ينقذ هؤلاء الجنود هو اتخاذ قرار جماعي يقضي بضرورة مغادرة اليمن، وتركها لأهلها.

3- ولاة السيطرة العثمانية الثانية 1569-1630م:

لم توفق الإدارة العثمانية التي يقودها آنذاك السلطان سليم الثاني وخلفاؤه في اختيار ولاة يتمكنون من إيقاف التدهور التي تعانيه قواتهم في اليمن، فضلاً عن ذلك فإن تقسيم اليمن إلى ولايتين وتعيين على كل ولاية والٍ تنافسا على حدود ولاية كل منهما منح الفرصة إلى مطهر للاستفادة من هذا التنافس، فالوالي رضوان كان غراً وغير جدير بالقيادة، فلقد ضرب الإسماعيليين المعاديين للإمام وبفعلته قلب الأوضاع عليه، ومراد غرته الأموال وهاجمته قوات مطهر ولاحقته وقتل في الملاحقة، وحسن باشا سمع بمقتل مراد فور دخوله اليمن فلجأ إلى زبيد وبفرمان الدعم المعنوي تمكن من الصمود لدى محاصرة قوات الإمام مطهر له، وهكذا فقد العثمانيون معظم المناطق التي كانت بأيديهم،

---

(1) الكبسي ، مخطوط مر ذكره سابقاً، رقم 236.

وحالما علمت استانبول بما حدث لقواتها في اليمن استصرخت قادتها الكبار لجمع العساكر من كل الأصقاع بغية إعادة الأماكن التي انتزعها الإمام منها، وعدّت ذلك إهانة لها ولا بد من تأديبه[1].

وقد وجه فرمان إلى عثمان باشا يحثه على العمل لاستعادة ما أخذه الأعداء منهم وعليه جمع العساكر والتعاون مع السردار سنان باشا الذي منح رتبة الوزارة[2].

وعندما كانت الدولة العثمانية في تشاور مع كبار قادتها بشأن اليمن والخلاف الدائر حول قيادة الحملة ما بين سنان باشا ولالا مصطفى، وفي هذه المرحلة كلف عثمان باشا بالتوجه من جدة إلى اليمن لضبط أمورها فبلغها في سنة 976هـ/1568م وعلى الفور دخل زبيد ورتب أمور العساكر وجهز الخيول استعداداً إلى مواجهة الإمام مطهر، وتحرك إلى تعز وتمكن بفضل حنكته العسكرية من تحريرها من قوات الإمام[3]، وفي هذه الأثناء جاءه الفرمان الآتي:

حكم إلى عثمان باشا بكلربكي اليمن.

لقد أرسلت خطاباً إلى سدة سعادتنا أخبرتنا فيه ببعض الأمور التي تتعلق بمسألة اليمن، وكذلك فأن كل ما ذكرته فيه قد عُرض علينا وأحاط به وشمله علمنا الشريف والأمر كذلك، فقد تم تعيين بكلربكي مصر سابقاً ووزيري الحالي الدستور المكرم سنان باشا دام معاليه قائداً على العساكر المنتصرة المرسلة إلى اليمن حالياً، كما أُعدت التجهيزات الهامة واللازمة وتم إرسالها. أمرت عندما يصل [هذا الحكم] أن تكون في جميع الأمور التي تتعلق باليمن قلباً واحداً ورأياً واحداً مع وزيري سنان باشا، وأن تسعى

---

(1) أوردنا سابقاً الفرمان السلطاني الذي وجه إلى سنان باشا، وثيقة 1922، ص 696.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 7 وثيقة 1645، ص 700.

(3) اليمن سالنامه سي لسنة 1308 ص 63.

لإظهار سعيك البليغ في معاونته ومظاهرته بالشكل الذي يراه مناسباً ولا تتوان عن إعلامنا باستمرار عن الأحوال التي تتعلق بهذه البلاد[1].

24 ذي القعدة 976هـ/1568م

وصلت الحملة العثمانية اليمن في السابع عشر من رجب لسنة 976هـ/1569م وفور وصوله عمد سنان باشا إلى إنزال معظم أفراد حملته على الساحل وتوجه براً لإخضاع شمال تهامة أي منطقة جيزان حيث هرب أميرها من قبل الإمام مطهر ومنها إلى تعز التي حررت من قبل الوالي عثمان باشا، وقد تمكن سنان باشا بدهائه من إعادة الأملاك العثمانية في اليمن باتباعه مراحل ثلاث:

الأولى: إخضاع المنطقة الجنوبية ولا سيما عدن.

الثانية: إخضاع المنطقة الوسط والهضبة حتى صنعاء شمالاً.

الثالثة: اصطدامه مع مطهر وتوصل الطرفان إلى عقد صلح بينهما[2].

إن النجاح الذي حققه سنان باشا كان لدهائه دور رئيس في استعادة المناطق التي انتزعها الإمام من العثمانيين خلال الستينيات من القرن السادس عشر، إضافة إلى ذلك، فإن السلطان العثماني حشد كل ما لديه من طاقات بشرية وغيرها لإنجاح الحملة، وإن ما فعله سنان باشا في اليمن خلال سنوات 1569 و 1570م بدل واقع اليمن السياسي وانعكس بصورة رئيسة على الولاة الذين تولى إدارة اليمن في المرحلة التي تلت حملة سنان، واضطر معظمها إلى التزام العدل في إدارته[3].

ومن الفرمانات التي وجهها السلطان العثماني لدعم سنان باشا في حملته الفرمان التالي:

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 7 وثيقة 2005 ص 734.

(2) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 262.

(3) أحمد راشد، مصدر سابق، ج2 ص 568.

حكم إلى البكلربكية وأمراء السناجق والقضاة الذين يقعون على الطريق إلى اليمن.

لما كان يلزم للرجال الذاهبين للخدمة في سدة سعادتنا إلى تلك البلاد والحراس والأدلاء في الأماكن والطرف المنحنية الخطرة لحماية إبلهم ومواشيهم وأموالهم وغير ذلك، فقد أمرت عندما يصل [هذا الحكم] أن تقوموا بتعيين الحراس والأدلاء للرجال الذاهبين إلى تلك البلاد والقادمين منها في الأماكن الخطرة حتى يقوموا على حراسة إبلهم وماشيتهم وسائر معداتهم وأموالهم وأن تسعوا وتجدوا كما يجب بصدود عدم التأخر والتخوف في إتمام هذه المصلحة(1).

بدون تاريخ

كما وجه الفرمان التالي إلى المسؤولين عن الطريق من جدة حتى عدن(2):

حكم إلى بكلربكي اليمن وإلى الكتخدا أرطوغدي والشاويش علي.

وهو أن الدستور المكرم الوزير سنان باشا أدام الله تعالى إجلاله، عندما تم إصلاح حال اليمن وتعلم مواردها ومصاريقها وينتهي أمرها فإذا ما همّ بالعودة إلى سدة سعادتنا، فقد أصدرت أمري أن يقوم ومن معه ومن ذهبوا قبل ذلك من القولية سواء من قولية مصر أو غيرها، وأن يبقى هناك لأجل حماية اليمن 3000 قول التي أرسلت بعد ذلك، وقد أرسلت بهذا الصدد حكمي الهمايوني إلى المشار إليه وأمرت عندما يصل [هذا الحكم] إنه إذا ما همّ المشار إليه بالعودة إلى سدتنا على إبقاء القولية التي سجلت بعد ذلك لحماية اليمن، وعليك أن تقوم بتسجيل تلك العناصر مجدداً في دفتر فتمهره وترسله مع المشار إليه(3).

24 رمضان 978هـ/1570م

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 7، وثيقة 2006، ص 734.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 12، وثيقة 58، ص 36.

(3) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره 7، حكم رقم 2006، ص 734، كذلك فقد أوردناه في قسم الملاحق.

لقد عمد سنان باشا بعدما وطد الأمن وحصن المناطق التي تخضع للنفوذ العثماني إلى عزل عثمان باشا وعين حسن باشا للمرة الثانية كإجراء مؤقت، لكن خلافاً وقع ما بين عثمان باشا وحسن باشا وعلمت استانبول بذلك، فكلفت بهرام باشا، غير أن أخبار سنان باشا وبهرام باشا انقطعت عن استانبول، فأرسل السلطان العثماني فرماناً يستفسر فيه عن أحوالهما وقد جاء في الفرمان السلطاني الآتي:

حكم إلى الوزير سنان باشا في اليمن.

وهو أن بكلربكي اليمن بهرام دام إقباله منذ أن توجه إلى اليمن مضى زمن طويل وحتى الآن لم يرد إلينا خبر وصوله وبأي كيفية وصل المشار إليه ومع أي قدر من العساكر، وأنتم أيضاً ما هو حالكم هناك وكيف الحال مع الأعداء أوضاعهم وأطوارهم، وهل انتهى أمر ضبط البلاد وربطها، كما لا يُعلم ماذا حدث منذ وصول المشار إليه، ولما كان من اللازم أن نعلم بالتفصيل علماً بالأحوال التي تتعلق بتلك البلاد اليمن، فقد أمرت عندما يصل [هذا الحكم] أن تخبرونا هل وصل المشار إليه إلى تلك البلاد ومتى وصل وبأي مقدار من العسكر، وما هي الأحوال وأنتم أيضاً على أي وضع تكونون في هذه الأثناء وحالكم مع الأعداء وكيف يكون وهل أنجز بالتمام أمر ضبط البلاد وبصدد الإصلاح منذ وصول المشار إليه وهل تم وكيف والعساكر التي سُجلت قبل ذلك من مصر والقولوغلية التي صدر الفرمان بشأن إرسالها إلى هناك بطريق المناوبة من قولية مصر(1).... الخ.

وهكذا فقد تمكن سنان باشا من فرض السيطرة العثمانية على المناطق الرئيسة في اليمن، وغدا الإمام مطهر أشبه باللاجئ يبحث عن مكان يأويه، ولكنه بعد فترة من عقد الصلح مع سنان وافته المنية، فعمد أولاده إلى اقتسام المناطق الشمالية التي أبقاها سنان باشا لهم.

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 14، وثيقة رقم 1، ص 9.

وقد استقل لطف الله بإقليم ذي مرمر وما يتبع له، وبحيى بثلاء وعمران وبجبل عيال يزيد، وعبد الرحمن بحجة، وغوث الدين بعفار، وحفظ الله بإقليم الشرف، في حين استقل شمس الدين بكولبان ، وهكذا تجزأت إمارة المطهر .

لقد أجمع المؤرخون على عدّ الفترة من 1571-1607م فترة توطيد السلطة في اليمن، وقد سعى الولاة إلى بذلك جهود مضنية لاستقطاب الأهالي الذين تصوروا أن العثمانيين كلهم قتل وظلم وضرائب. كما سعوا بجدية لسد الفراغ الذي خلفه رحيل سنان باشا من اليمن[1].

وكان الوالي بهرام الذي وصل اليمن سنة 978هـ/1571م قد عامل المناطق الخاضعة لسيطرته كل حسب واقعها الاجتماعي والاقتصادي، ففي المناطق الشمالية حرص على شروط الصلح مع مطهر وسعى للتقرب منه، في حين اتبع في المناطق الأخرى سياسة مغايرة لما اتبعه مع الإمام مطهر، وتجنب عدم اتباع القسوة في جمع الأموال من الأهالي، غير أن الجنود ثاروا عليه سنة 1575م مطالبين بدفع رواتبهم، ومع عزله هاجمه الجنود فاضطر إلى دفع رواتبهم من أمواله الخاصة[2].

في سنة 983هـ/1575م عيّن مصطفى باشا والياً على اليمن، وبعد وصوله وصله الفرمان الآتي:

حكم إلى الوزير مصطفى باشا.

لقد أرسلت خطاباً تفيد بأن هناك اهتمام بشأن الوصول بجد من أجل إصلاح اليمن. غير أن موسم الحج الشريف قد أزف، وأنه عندما لا تجهز الاختصاصات الخاصة به ولم تصل 100.000 التون (ذهبية) المأمول بها من خزانة حلب، يكون من الصعب التوجه للذهاب فكان إن تأخرت وتوقف الآن وإلى الآن لم ترسل قافلة الحج الشريف، ولم يصل

---

(1) عطا الله ، مصدر سابق، ص 619.

(2) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 314.

أيضاً المبلغ وإن التوجه إلى جانب مصر سيكون يوم السادس عشر من شهر ذي القعدة، وأن كل ما تم ذكره قد عرض علينا بصورة مفصلة، سنعمل على تدارك الأمر، وعليك الالتزام بما هو مأمول منك[1].

بدون تاريخ

وفي سنة 984هـ/1576م عيّن مراد باشا والياً جديداً على اليمن، وقد التزم مراد باشا بالموقف العام الذي وقفه زملاؤه مع خلفاء مطهر ولم يتدخل بالمنازعات التي اشتدت بينهم، لأن منازعاتهم لا تزعج الإدارة العثمانية، وقد امتاز مراد آغا (باشا) بإقامة العدل وحرص على رفع المظالم عن الأهالي، وتمكن بحسن إدارته والتزامه المصداقية في أقواله وتصرفاته من التفاف الأهالي حوله وزيادة ثقتهم به، وقد وجه كتاباً إلى استانبول يعلمها فيه عن أحوال اليمن. وقد جاءه الرد التالي من استانبول:

حكم إلى بكلربكلي اليمن مراد باشا دام إقباله[2].

اطلعنا على كتابكم الذي تذكرون فيه أن الأهالي في اليمن طيبون وأن المفسد قد غادر الدنيا، وأنكم تقيمون العدل وتنشرون الفضيلة، أمرت عندما يصلكم [هذا الحكم] أن تعاملوا الأهالي معاملة حسنة وألا تمارس الظلم والقسوة على عساكرنا المحروسة ونأمرك بجمع الضرائب بحسب نصوص الشرع ولا تتأخروا في ذلك.

13 شوال لسنة 984هـ/1576م

لقد عدّت الفترة التي تمكن العثمانيون من إدارة اليمن دون اضطراب واقتتال هي الفترة التي امتدت (36) سنة فالعثمانيون شعروا بالأمان وبأن دولتهم قوية وقادرة على ضرب أعدائها بعدت المسافة أم قربت، علماً بأن استانبول شهدت في تلك المرحلة سلاطين ضعفاء بدءاً من مراد الثالث 1574-1595م، وكان الوالي مراد قادراً على

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري رقم 16، وثيقة 1568 ص 536.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 318 وثيقة 1117 ص 158.

إرسال حملات تأديبية ضد القوى التي تخرج عن الطاعة أو تقوم بسلب القوافل التجارية أو تعارض سبيل قوافل الحج، وقد عمد الواليان بهرام باشا ومراد باشا إلى توطيد الأمن وبذل جهداً لتوطيد الاستقرار، وأوسعا امتداد السيطرة العثمانية في اليمن، وفي سنة 989هـ/1581م وصل الوالي الجديد الأرناؤوطي حسن باشا، وكان الآخر ذو عزيمة، ويعدّ ولايته أطول سنة ولاية عرفتها اليمن وغيرها من الولايات العثمانية الأخرى فقد استمرت فعلياً خمس وعشرين سنة من سنة 989هـ/1581م-1016هـ/1606م[1]. وقد ذكره أستاذنا الكبير مصطفى سالم في مؤلفه أنه فاتح اليمن مستنداً إلى أقوال المؤرخين نظراً للجهود التي بذلها في سبيل توطيد الحكم العثماني في اليمن، وقد خلت مرحلته من اضطرابات تذكر قياساً بما سبقه من الولاة وبخاصة سنان باشا. غير أن هناك عوامل ساعدته، من أبرزها فهمه الجيد لواقع اليمن وسعيه الجاد لحل المشكلات اليمنية مراعياً الظروف الاجتماعية والاقتصادية والواقع الذي يعيشه اليمن، وقوة شخصيته وخبرته بالأعمال السياسية والإدارية نظراً لتقلبه بالمناصب، شبابه والنضوج العقلي الذي يتمتع به[2].

صحيح أن ثورة الإمام القاسم 1598-1635م أسفرت عن خروج العثمانيين من اليمن، إلا أن هذا لم يحدث لأن اليمنيين وجدوا في إدارة حسن باشا إدارة ناجحة واستقراراً متميزاً، بل لأن المرحلة التي أدار حسن باشا اليمن لم تتوافر شخصية ناضجة كالإمام القاسم بن محمد قادرة على إقناع اليمنيين بضرورة التخلص من الكابوس الجاثم على صدور اليمنيين[3].

عزل الوالي حسن باشا سنة 1016هـ/1607م وعيّن بدلاً منه الوالي جعفر باشا، ولم يتمكن جعفر باشا من إدارة الأمور كما فعل حسن باشا، لا لأن الخبرة في الإدارة

---

(1) أحمد راشد، مصدر سابق، ج1 ص 186-187.

(2) عطا الله باشا، مصدر سابق، ج2 ص 289.

(3) لقد عالج ثورة القاسم سابقاً.

تنقصه بل لأنه واجه ثورات داخلية قادتها الزعامة الإنكشارية التي وجدت فرصة كبيرة بعزل حسن باشا وتولى جعفر باشا، وقد كانت الدولة العثمانية تواجه ثورات عديدة أبرزها ثورة الجلالية 1604م في كلس شمال حلب، وكانت مصر تواجه شغباً بين الولاة ورؤساء الجند[1]. كما كانت الدولة العثمانية تواجه مشكلات حادة في المركز وقد أسفر الاقتتال مع النمسا إلى توقيع معاهدة ستفاتورك سنة 1606م بمبادرة من السلطان أحمد 1603-1617م، وسط هذا المناخ المضطرب والمربك أعلن الإمام القاسم بن محمد نفسه إماماً على اليمن، وأعلن ثورته سنة 1598م[2].

4- خروج العثمانيين من اليمن 1635م وتداعياته:

عندما كان حسن باشا والياً على اليمن، كان الإمام قد أعلن إمامته، وتدافع أتباعه لمبايعته والوقوف خلفه، لكنه لم يباهر أو يشاهر بطرد العثمانيين من اليمن بل عمد بادئ الأمر على إعداد أتباعه وتنظيمهم، علماً بأن آباءه لم يكونوا ممن عرك الرياسة وقاد الجند وتمرس بالإدارة، لكن هذا لا يقلل من شأن ثورته التي قادها منذ اللحظة الأولى بشجاعة وإقدام، وهو لم يقودها من فراغ كما فعل من سبقوه، فلقد تربى من حفظة للقرآن الكريم وأخذ وتربى على يد الإمام الحسن المؤيدي، وحينما أذاع بيانه ضمنه أسباب إعلانه، وحالما حصل على المبايعة أعلن الثورة على العثمانيين، وقد كان لدعاته ومؤيديه دلائل على النهب والسلب الذي يمارسه العثمانيون، لكن إعلانه للثورة لم يلق قبول الزعامات ولا سيما التجارية التي ارتبطت مصالحها بالولاة العثمانيين، وأدركت أن معاداة العثمانيين ستجر عليهم مصائب اجتماعية واقتصادية كبيرة وهي غير مستعدة للتضحية[3].

---

(1) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، دمشق 1974م، ص 44 و 120.

(2) الخطيب، مرجع سابق، ص 82.

(3) المرجع السابق، ص 85.

لم تكن تلك الزعامات التي ترتبط مصالحها بالعثمانيين تمثل شريحة اجتماعية قياساً بالأهالي الذين وجدوا في دعوة الإمام القاسم بن محمد منفذاً لهم للتغيير، فهم لن يتخلصوا من الضرائب والأتاوات، لكنهم مع الإمام يدفعون لله من خلال العشر كزكاة عنهم.

ومن جانب آخر فإن الإدارة العثمانية أسهمت من دون دراية منها في تدافع الأهالي خلف الإمام القاسم بن محمد، فالإدارة بدأت بالانحطاط ولا سيما عبس الجنود وتوجهها للثورة على الواقع المتردي، فإنقاص من قيمة النقود وخلطها بمعادن بخسة، أرغم الجند على الثورة لأن معاشاتهم لم تعد تكفي، وقد عُرف القرن السابع عشر بثورة العسكر وكان عسكر اليمن من جملة العساكر في استانبول والولايات يثورون على واقعهم فلجؤوا إلى بيع سلاحهم ثم بيع خدماتهم[1]. وإذا كان فخر الدين المعني الثاني (1590-1635م) قد استفاد من خدمات بعض الجنود، فإن الوثائق العثمانية تفيد بأن الإمام أدرك مأساة الجنود العثمانيين فكلف أمناء سره بالتسلل لشراء أسلحتهم وفيما بعد من خدماتهم، وغدا العثمانيون في اليمن في حالة ضياع تام، فلقد تفشى الفساد والرذيلة، وبدؤوا يمارسون أعمالاً مخالفة لعادات اليمنيين وعقيدتهم[2].

إن الإفلاس الخلقي المتزايد في القوى العثمانية، دفعت ولاتها وأصحاب الشأن إلى شرائهم بالمال، فلجؤوا إلى فرض ضرائب على المناطق الخاضعة لسلطانهم لدرجة أن موارد القرية بكاملها لا تفي جزءاً مما فرض عليها، فلقد فرض على ولاية اليمن زمن السلطان سليمان القانوني 50.000 ذهبية، وبسبب الضائقة المالية التي تعانيها الدولة العثمانية ارتفعت إلى 500.000 ذهبية[3].

ومما زاد من سوء أحوال الإدارة العثمانية في اليمن إسناد الولاية إلى أشخاص غير جديرين بالإدارة أمثال قانصو باشا وقبرسلي توفيق باشا، وكان الإمام القاسم يفرض عليهم

---

(1) إسماعيل حقي أوزون تشارشلي، مرجع سابق، ص 457.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري 27، وثيقة 983، ص 107.

(3) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 345.

تحريك قواتهم من جهة إلى أخرى بهدف إنهاك قواتهم التي سئمت هذه المحاربة غير الواضحة[1]، وكان يكلف مجموعة من العناصر بضرب مقر تواجدهم لدى خروجهم لملاقاته في منطقة بعيدة، وكان الطرفان في أثناء الاصطدام يتعرضان لخسائر في الأرواح، غير أن القوات العثمانية لم تكن قادرة على تسلق الجبال مثل اليمنيين، ولهذا فإن الكثير منهم كان يستسلم للإمام[2].

كلنا يعلم أن الشعب اليمني شعب متدين، فلقد رضع الإسلام بالفطرة وتربى على مبادئه زيدياً كان أم شافعياً، ولهذا فإن الشخصية الدينية هي الشخصية الوحيدة القادرة على قيادته والسير خلفه، ولطالما الإمام القاسم بن محمد يتحلى بصفات القيادة فليس هناك معوقات تعيق سير الجميع خلفه، ولهذا فإن قتال اليمنيين كان قتال شهادة، وقد كان الإمام يذكّرهم بالأحاديث النبوية، فضلاً عن ذلك فمسألة الجهاد مسألة جهاد عين ولا ينوب عنها شيء لا صلاة ولا صوم ولا زكاة، لذلك تدافع اليمنيون إلى مقاتلة الأتراك دون تردد أو تذمر، أما الأتراك وولاتهم لم يكونوا يعلمون الشهادة تماماً وقتالهم في اليمن ليس شهادة، ولهذا كانوا يتلكؤون في المواجهة وقد دهش حسن باشا وخلفائه من الولاة في استجابة اليمنيين لدعوة الإمام، حيث نجح خلال أشهر قليلة في انتزاع الحصون والأقاليم الممتدة من صعده شمالاً إلى صنعاء جنوباً، وتغاضى الإمام القاسم بن محمد على الحصون التي كانت بأيدي آل شرف الدين مثل حصن كولبان وحصن الطويلة[3].

عمد السلطان العثماني إلى الاهتمام بتردي الأوضاع في اليمن، ولهذا فقد وجه السلطان أحمد الفرمان التالي:

---

(1) يمن سالنامه سي، لسنة 1308، ص 72 و 73.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 27 وثيقة 984 ص 107.

(3) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 367.

حكم إلى بكلربكي اليمن.

لقد أرسلت خطاباً إلى سدتنا العلية تعلمنا فيه أن الأحوال في ولاية اليمن غير مستقرة وأن المفسد المدعو القاسم ازداد سوء وبدأ يهاجم قواتنا ويعتدي على الأهالي غير عابئ بقيم، نأمرك عندما يصل [هذا الحكم] أن تجمع كل ما لديكم من عساكر وأسلحة وتوجهها لضربه بغية إقلاعه عن الأذى بالأمة الإسلامية وعليك أن تكون متفقاً مع الوزير المكرم مصطفى من أجل إزاحته وفتح الولاية وتسخيرها بعناية الله الواحد القهار وأن تكون مجداً شهماً وترسل إليكم العلوفة (الرواتب) وألا تكون في غفلة من أعداء الدين والدولة وأن تسعى ما في وسعك لصيانة شرف الدين والدولة وناموس السلطة[1].

18 محرم 1010هـ/1601م

لم يكن بمقدور الإمام القاسم تحقيق الانتصارات، لأن بعض الزعامة الدينية من أمثال شرف الدين وغيرهم من أصحاب المصالح الخاصة، قد وقفوا إلى جانب الوالي حسن باشا، ولهذا فقد حاصرته القوات العثمانية في حصن شهارة، وبقوة بالغة استطاع النجاة بنفسه[2]. ولهذا فقد جاء الفرمان التالي:

حكم إلى بكلربكي اليمن حسن باشا دام إقباله.

علمنا بأنكم تحاصرون المفسد القاسم مع عساكركم في حصن يدعى حصن شهاره نأمرك عندما يصلكم [هذا الحكم] قد تعتمدوا القسوة ولا تأخذكم بهم رأفة ولا رحمة لأن المفسدين هم أعداء الدين والله، ولاحقوه حتى تلقوا القبض عليه، ضعوه في سفينة وأرسلوه إلى سدتنا العلية، وعليك المواظبة للحفاظ على شرفكم العسكري، ولا تنسوا أن الله وعد المؤمنين الأجر والثواب[3].

بدون تاريخ

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 47، وثيقة 1632 ص 610.

(2) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 370.

(3) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره 49 وثيقة 1304 ص 273.

إن المرحلة الأولى من ثورة الإمام القاسم التي استمرت خمس سنوات، أضاعها العثمانيون بكاملها، وأعادوه إلى سابق عهده، وقد اعتمد العثمانيون القسوة حياله وحيال أنصاره ونكلوا بمن وقع بأيديهم، لدرجة أنهم كانوا يسلخون جلد الإنسان وهو حي كما حدث مع الحماطي الذي تولى نشر دعوة الإمام في ذمار[1].

لم يكن الإمام القاسم بن محمد يقاتل العثمانيين بل أنصارهم من أبناء بلده الشماليين وآل شرف الدين الذين تعاونوا مع العثمانيين لإخماد ثورة القاسم، لكن هذا التعاون لم يثن من عزيمة الإمام، علماً بأن هذا التعاون أسهم في إخراج العثمانيين في اليمن لأكثر من عشرين سنة، ويشير المؤرخون الأتراك أن وقف بعض اليمنيين إلى جانب العثمانيين أسهم إسهاماً كبيراً في تفتيت قوى ثورة الإمام القاسم[2].

واظب الإمام على الاستمرار بثورته وكان موقناً أن صموده سيرغم العثمانيين على اليأس وعدم الاستمرار بالتصدي به، مرت السنوات ولا سيما في السنوات الأخيرة، حيث بدأ المتحالفون مع العثمانيين يتراجعون يوماً بعد يوم، فجمع أنصاره وحاصر صنعاء لمدة عامين فاضطر الوالي حيدر باشا إلى الاستسلام لقوات المؤيد، وقد سمح له الإمام المؤيد أن يخرج منها سالماً إلى زبيد سنة 1629م.

توزع أخوة الإمام القاسم وأنصاره أدوارهم، وغدا كل منهم يقود مجموعة تحارب العثمانيين، وهذا التوزع القتالي أضاع العثمانيين ولم يعد بإمكانهم معرفة من الإمام ومن أنصاره، وفي هذه الأثناء قدم حيدر باشا من مصر عن طريق الحبشة مدعياً فك حصار صنعاء، وحالما بلغ زبيد عمد إلى مصادرة أموال فضلي باشا وكان بنيته إعدامه لولا توسط الأمراء والضباط، لكن الضعف العثماني وانتشار الثورات في معظم الولايات ومحاولة السلطان مراد الرابع (1623-1640م) استعادة بعضها ولا سيما العراق ولبنان، ضارباً بعرض الحائط صرخات ولاة اليمن الذين لم يعد بمقدورهم مواجهة ثورة الإمام

(1) مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 273.

(2) جودت، مصدر سابق، ج8، ص 123.

القاسم بن محمد وانتهى الأمر بجلاء العثمانيين عن ولاية اليمن[1]، بعدما دفع الكثير من القتلى والجرحى ناهيك عن السلاح، واستقلت اليمن عن الدولة العثمانية، وقد تألمت الإدارة العثمانية لفقدانها[2].

لقد تمكن الإمام القاسم بن محمد بعد إعلانه للثورة على الأتراك وبعد مرور ثورته في أربع مراحل كان خلالها رغم مأساته وتآمر بعض آل شرف الدين والزعامة اليمنية المستفيدة من وجود الأتراك مؤمناً بأن الثورة على الأتراك العثمانيين ليست بالأمر السهل، ولتحقيق النصر عمد إلى توزيع أنصاره ومؤيديه إلى أخوته وأصحاب الشأن وكان يستغل كل نقطة ضعف في الأتراك للاستفادة منها، في حين كان يحول نقاط ضعفه إل قوة من خلال الصبر والمصابرة، وهكذا وبهذا النهج تمكن القاسم من إخراج العثمانيين من اليمن ليس منهزمين بل مستسلمين للقدر وللإنسان اليمني الذي مارسوا عليه أقسى ما يمكن من صعوبات.

إن الجنود العثمانيين الذين كلفوا بالذهاب إلى اليمن، بذلوا جهوداً مضنية ويستحقون وصفهم بالشجاعة والإقدام، فهم حاربوا محترفي قتال واصطدموا مع إناس القتل والضرب قضية عادية لا ينكرون بها، ولهذا فإن الجند العثماني لم تعرف عيناه النوم، ولم ينقطع تفكيره على هجوم مفاجئ لجماعة يمنية أرادت الاصطياد مع بزوغ الفجر، لقد حُق لهؤلاء الجنود الذين تركوا أوطانهم لإخضاع قوى مقاتلة من الصعب إخضاعها، وإذا كان العثمانيون يعتقدون أن هناك مراحل انتصروا بها على اليمنيين فهذا يعود فضله إلى أبناء شرف الدين الذين تعاونوا مع العثمانيين تحدياً للإمام القاسم بن محمد، ولم يخجلوا من اللقب الذي يحملونه شرف الدين، وإلى الزعامات الأسرة التجارية منها التي آثرت مصالحها على بلادها، وقد أشرنا قبل قليل أن القوى الوطنية المحلية التي ترأسها الإمام القاسم بن محمد ، لم تهزم العثمانيين وإنما أرغمتهم على الاستسلام تلقائياً ومن خلال

(1) أحمد راشد، مرجع سابق، ج2، ص 527.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره 56، وثيقة 857، ص 216.

ضغوط اسمية، لدرجة أن اليمن غدت عقدة العثماني، ولو أننا أحصينا عدد القتلى من الطرفين لمَا تجاوزت 500 قتيل، أن الآلة الحربية لم تتمكن من الدفاع عن حامليها، لأنهم يئسوا من تثبيت أقدامهم على أرض اليمن، أرض سئمت الصراعات وتأففت من بندقية ومدفع وأوعزت إلى العثماني ضرورة الخروج، فقرروا الخروج مستسلمين سنة 1635م.

خاتمة الفصل الثالث

واقع لم يطبقه الولاة العثمانيون، ومصطلحات لم يوفق الولاة في تحقيقها أو تطبيقها إنكشارية منظمة، ولم تعرفها اليمن، لأن الواقع القتالي الذي لم يهدأ لحظة لم يسمح لهؤلاء الولاة تطبيق النظام العسكري في أرض اليمن التي لم تكن مهيأة لمثل ذلك.

إن القوى العثمانية التي قاتلت في اليمن هي الإنكشارية الملتزمة بالنظام التي تربت عليه، لكن أوضاع اليمن لم تسمح بأن تقام لها ثكنات وتحديد ساعات خروج وضبط لمنعها من تجاوز حدودها وصلاحياتها، ولهذا ظلت دوماً في حالة استنفار واستعداد لمواجهة غارات فجائية لأنصار الأئمة، أما القوى الأخرى من السكبان واللاوند والدلي فهي قوات مهيأة لشق الطرق وإزالة المعوقات التي تعيق تقدم القوات النظامية، وواقع الأمر أن هذه القوات صالحة لمقاومة تحركات اليمنيين، لكنها لم تملك حرية الحركة والقانون يلزمها بأن تظل إلى جانب القوات النظامية.

إن القوات العثمانية واجهت عدة أنواع من الثورات المحلية، أبرزها الثورة التي قادها الإمام محمد القاسم الذي تمكن بسياسته وحنكته من تمزيق جدار العزلة الذي كان يحيط بثورة شرف الدين أولاً والمطهر ثانياً، ولهذا عمد إلى مراسلة شاه فارس ليزيد من غبط السلطان العثماني وليصدر أوامره بضرب اليمنيين بشدة، لأن ضرب اليمنيين بشدة كان يزيد من التفاف اليمنيين حوله ومراسلته لشريف مكة تخيف القوات اليمنية القادمة عن طريق جدة، هذه العوامل إضافة إلى إجراءات أخرى اعتمدها الإمام أسهمت في زيادة يئس الجندي العثماني الذي يقاتل في اليمن. أما بشأن الولاة فهم كانوا أكثر التزاماً واتزاناً من ولاة المرحلة الأولى، وقد عمد معظمهم إلى تحسين الإدارة وضبط الأمور بشكل جيد

وتعاملوا مع اليمنيين بطريقة لائقة، غير أن هذا السلوك جاء متأخراً، فثورة الإمام محمد القاسم أحاطت بهم من كل جانب، لاعتماده سياسة الإنهاك، لأن الدولة العثمانية كانت في حالة إفلاس وعجزت ميزانية ولاياتها عن دفع رواتب الجند، فلجأ الجند إلى بيع سلاحهم والعمل لدى قادة الثورات كمرتزقة، وكان الجنود العثمانيون ممن سلكوا هذا المسلك الصعب الذي أرغمهم على الاستسلام وهيأ للإمام القاسم إخراجهم من اليمن سنة 1635م.

الفصل الرابع

النشاط الاقتصادي والمالي والعسكري العثماني في اليمن

النشاط الاقتصادي والمالي والعسكري العثماني في اليمن

إن العثمانيين أقاموا دولتهم على أسس عسكرية بحتة، لأن واقعهم آنذاك لم يكن يؤهلهم للغوص في تعقيدات تحل بعد قيام الدولة، ولهذا فإن توسعهم في الوطن العربي وحتى في أوروبة تركت للظروف التي تولدها الأحداث العسكرية والنتائج التي تسفر عنها، ولهذا انطلقوا إلى تلك الأقطار يحملون مبادئ عسكرية صرفة، أما باقي الأمور الأخرى فتخضع للواقع وللإمكانات التي ينتجها واقع الدولة التي دخلها العثمانيون، ولم يكونوا يوماً في هم يتعدى بسط النفوذ، ولم يطلبوا من سكان الولاية أو الدولة التي دخلوها أكثر من تقديم الطاعة والولاء، ثم توجهوا إلى الإمكانات المالية التي يجب دفعها لجنودهم بغية الاستمرار في حماية تلك الدولة والدفاع عنها تجاه الأخطار المحدقة بها، وفي معظم الأحيان يفرضون عليها نظمهم المالية التي اعتمدوها بعد فتح القسطنطينية سنة 1453م والعمل بموجب قانون نامه الذي وضعه الفاتح حيناً والمستجدات القانونية التي نظمها سليمان القانوني في أغلب الأحيان.

لقد اعتاد العثمانيون لدى توجههم إلى فتح دولة ما البقاء في السواحل أو السهول لأنهم يكرهون المجازفة والمفاجآت التي أكلت من تاريخهم العسكري أكثر من ثلثيه وفي الوقت نفسه فهم يكرهون الاستقرار، ولهذا تراهم بعد تمركزهم في منطقة ما، بدؤوا يسعون لتوسيع مناطق نفوذهم، وبعدما يضمنون الاستقرار والأمن، يعملون على تنظيم أمورهم المالية بغية دفع العلوفات (الرواتب) لجنودهم في حال فشلوا في النظام الإقطاعي العسكري، وبعدها يوجهون اهتماماتهم إلى بقية القطاعات الزراعية والصناعية والتجارية،

ثم يقسمون الولاية إدارياً إلى سناجق وأقضية ونواحٍ، وبذلك تغدو أمور ولاياتهم جاهزة للإدارة.

النشاط الاقتصادي والمالي :

أ- الاهتمام بالزراعة :

لم يكن بمقدور العثمانيين لدى دخولهم اليمن العمل على ترتيب الولاية كما اعتادوا لدى دخولهم ولايات بلاد الشام ومصر ومناطق الشمال الأفريقي وشبه الجزيرة والعراق، وتعدّ ولاية اليمن الولاية الوحيدة التي لم يهنئ للعثمانيين عيش ولم يعرفوا الاستقرار يوماً، علماً بأن اليمن البلاد أو الدولة أو الولاية التي وجدت بها قوى غريبة قبل العثمانيين كالطاهريين والمماليك الذين قدموا الولاء للسلطان العثماني، وكلفهم بإدارة البلاد باسمهم منذ 1517-1558م.

لقد دفع الطاهريون خسائر بشرية ومادية وحرموا النوم وجافهم الاستقرار بسبب المقاومة اليمنية، لكن المقاومة المحلية لم تترك القوات العثمانية ساعات في بعض المناطق ولا سيما العاصمة صنعاء إلا وقضت مضاجعهم. علماً بأن هناك سنوات استقرار لا سيما من سنة 1569-1597م وقد عدّها العثمانيون حلماً، وخلال أيام الحلم هذه، عمد العثمانيون إلى تشجيع الزراعة في مناطق تهامه ومناطق تعز، وتفيد التقويمات السنوية أن العثمانيين عمدوا إلى حراسة أشجار القهوة وتجنبوا السدود خوفاً من تعرضها للهدم أو الدمار، وكانت القوات العثمانية تتجه خلف أعدائها أو معارضيها في الجبال ولحسن الحظ، فإن القوى المحلية المعارضة كانت تحتمي بالجبال، ولهذا فقد ظلت السهول بمأمن من تحركات الجند ولا سيما عربات المدافع، كما ظلت المناطق المحيطة بعدن والشحر بمنأى عن هجمات الجند خوفاً من تعرض المزروعات فيها للتلف[1].

---

(1) يمن سالنامه سي لسنة 1314م، ص 370 وما بعد.

لقد حظيت اليمن بثروة طبيعية ضخمة، وقد أفاد الوالي حسن باشا الذي تولى ولاية اليمن لمدة عشرين سنة في تقاريره إلى الباب العالي أنه كلف طابوراً لحراسة مناطق تهامه وأب لحماية المزروعات والثروة النباتية التي تجود فيه[1]، ويذكر خليل أفندي في لائحته أن حاجة القوات العثمانية من الحبوب كانت متوافرة بشكل جيد، وأن القوات العثمانية لم تعانِ نقصاً في ذلك[2]، ولم تتعرض الزراعة اليمنية إلى أذى إلا من خلال فترة الوالي محمود باشا الذي تولى إدارة اليمن سنة 968هـ/1560م، علماً بأنه أدار البلاد بشكل جيد، لكنه أباح للقوات العسكرية حرية الحركة بدون رقابة، طمعاً بجمع المال، غير أن الإداريين الذين عملوا خلال ولايته يشيدون بإدارته، لأنه تجنب الصدام مع مطهر، وسعى لإقامة الصلح معه[3]، هذا الصلح أراح المزروعات، لكن المزارع تضرر كثيراً في بيع محاصيله بسبب غش للنقود وخلطها بمعادن بخسة، مما سبب في خلق ضائقة اقتصادية استغلها أصحاب الشأن والتجار لصالحهم الخاص، غير أنه عرض مناطق تعز لخراب خلال سنة 971هـ/1563م كما هاجم أسرة النظاري وقتل أميرها[4].

ب – الاهتمام بالتجارة :

عرفت اليمن قديماً بطريق البن، كما أن موقعها يمنحها موقعاً تجارياً مهماً، فضلاً عن ذلك فإن إمكانات اليمن الطبيعية جعلتها تؤدي دوراً تجارياً، حيث كان البحر الأحمر منذ أقدم العصور الطريق الرئيس المؤدي إلى العالم القديم، فخلق من خلاله نماذجاً فكرياً وتجارياً بين الحضارات الثلاث القديمة (الفرعونية والبابلية والآشورية) وبلغت تجارته بلاد ما بين النهرين ووادي السند (الباكستان حالياً) حاملة القوافل التجارية البخور والبن

---

(1) خليل أفندي، يمن لائحة سي، يمن اقتصاداتي لسنة 1538م.

(2) المصدر السابق، لسنة 1539م.

(3) عينيات دفتري، رقم 311، وثيقة 298.

(4) أحمد راشد، مصدر سابق، ج2، ص 416.

وغيرها مما تنتجه اليمن، إلى جانب الفكر[1]، وقد كان اتصال مصر ببابل يتم بحرياً عن طريق البحر الأحمر ويتولى التجار اليمنيون هذه التجارة، وقد نافسهم التجار الرومان، لكنهم كانوا يخشون بأس اليمنيين وجبروتهم ولا سيما لدى اجتيازهم باب المندب، ولهذا فقد عمد الرومان إلى إرسال حملة من مصر لاحتلال اليمن سنة 24 ق.م لكن اليمنيين تصدوا لها وردوها خائبة[2].

لقد عرف اليمنيون التجارة الجماعية، فقد كانوا يتحركون براً أو بحراً على شكل جماعات وقد أسفر عنه هذا التجمع التجاري الجماعي مع مرور الأيام هجرات بشرية صغيرة، ولا سيما بعدما تهدم سد مأرب خلال القرن الأول الميلادي، ولهذا فقد عمد الملوك الحميريون إلى ترميم السدود الأخرى، غير أن الاضطرابات الداخلية التي عاصرتها اليمن عبر تاريخها القديم والحديث أزالت الكثير من السدود وضيقت على الطرق التجارية، وقد ظلت التجارة مرتبطة بالبحر الأحمر منذ قديم الزمن[3]، غير أن قدوم البرتغاليين، ونجاحهم في الوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجال الصالح وتحول تجارة الشرق عن الطريق البحري المباشر حرم المنطقة العربية من الاستفادة من التجارة، ولقد حاول العرب استرداد هذه التجارة، لكنهم فشلوا، وتمكن البرتغاليون من احتكار هذه التجارة، وكانت اليمن من أكثر دول المنطقة تعرضاً للأذى، وقد حاول المماليك طرد البرتغاليين فأرسلوا عدة حملات، لكنهم فشلوا فيها، ومنذ سقوط دولتهم سنة 1517م تحمل العثمانيون مسؤولية حماية تجارة المنطقة[4]، وكان لا بد من محاربة البرتغاليين الذين هدفهم من وراء السيطرة على تجارة الشرق تحقيق عاملين.

أولها: العامل الديني تفاقم الصراع ما بين المسلمين والمسيحيين[5].

---

(1) أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة 1958م، ص 142.

(2) جودت، مصدر سابق، ج1، ص 58.

(3) المصدر السابق، ص 59.

(4) المصدر السابق، ص 59.

(5) s. 180 (مرجع سابق) Ismail Hakki uzun çarşil osmanli.

ثانيها: العامل الاقتصادي، وبما أنها تحتل موقعاً بحرياً فإن هذا يفرض عليها المشاركة في أرباح التجارة الشرقية، ولهذا فقد عمد البرتغاليون مع أوائل القرن الخامس عشر للوصول إلى الهند، وتم لها اكتشاف رأس الرجاء الصالح، فصادروا بذلك تجارة الشرق وانتزعوا من الوطن العربي الطريق التجاري الذي ظلوا لقرون يسيطرون عليه ويحققون من خلاله أرباحاً، وباكتشاف رأس الرجاء الصالح فقدت المنطقة الكثير من الخيرات التجارية لدرجة حرمت المنطقة من هذه الخيرات، ولم يكتفوا بذلك بل احتلوا عدن ومضيق هرمز وغدوا سادة المنطقة حتى الهند[1].

رغب السلطان سليم الأول بإرسال حملة بحرية بعد عودته من مصر، لكن الظروف إضافة إلى المنية، فلجأ ابنه سليمان القانوني إلى إرسال حملة بحرية إلى اليمن والهند في أوائل سنة 1538م، وكلف سليمان باشا الخادم بقيادتها، فمر على عدن واحتلها، وعين أميراً من قبله عليها وزوده بخمسمئة جندي لحراستها، ثم تابع طريقه إلى الهند، ولظروف غامضة عاد سليمان باشا الخادم مدعياً ضعف جبهة الهند وغيرها من الأمور الأخرى[2]، كما أن مهمته فتح السواحل اليمنية وليس محاربة البرتغاليين في الهند، فعمد إلى احتلال زبيد وعيّن عليها مصطفى بك، كما اهتم بتنظيم شؤون الحكم، كما احتل ميناء جيزان، وهكذا بدأ العثمانيون بمحاربة البرتغاليين بهدف إعادة تجارة الشرق إلى رونقها، وحينما كان العثمانيون يسعون إلى إخضاع كامل مناطق اليمن إلى سيطرتهم، سعوا إلى تأمين التجارة في عدن باعتبار أن حياتها تقوم على التجارة، وأمنوا الطريق التجارية بين مختلف المدن اليمنية ولا سيما مصطفى باشا الذي لقب بالنشار لأنه كان ينشر اللصوص وقطاع الطرق إلى نصفين متساويين.

وقد أفادت الوثائق أن الطريق التجاري البري ينطلق من منطقة لحج متجهاً شمالاً المهره بمحاذاة ساحل خليج عدن والبحر العربي إلى ظفار ومنها يتابع طريقه حتى نزوى

(1) بحرية مجموعة سي، مصدر سابق، ص 380.

(2) مصطفى سالم، مرجع سابق، ص 362.

ويفرغ ما لديه من بضائع ثم يعود الطريق نفسه، أما الطريق البري المتجه غرباً فينطلق براً من المخا بمحاذاة البحر الأحمر عبر زبيد فبيت الفقيه إلى صبيا فأبها فيتجه شمالاً إلى خيبر، وبخيبر يفرغ ما معه ويعود إلى الشرق بمحاذاة ساحل البحر الأحمر ليصل زبيد، أما الطريق الداخلي فينطلق من آب – بريم – ذمار إلى صنعاء، ومن صنعاء تتفرع عدة طرق أبرزها خولان، مأرب، الجوف وبالعكس(1)، وكانت القوات العثمانية تحرص على حماية القوافل التجارية لا سيما في فترة الهدوء والاستقرار(2).

وقد اهتمت الدولة العثمانية كثيراً بالطرق التجارية في ولاية اليمن ولا سيما ما بين المدن الرئيسة وذلك لاستمرارية تبادل المواد الغذائية، فوضعت في مركز الولاية عدة ألوية وطوابير لحماية المدينة وللتصدي إلى الأئمة بدءاً من الإمام شرف الدين إلى مطهر إلى الإمام القاسم وخصصت في كل سنجق وقضاء قطع عسكرية لمنع اللصوص وإيقاف أعمال السلب والنهب، وقد حدد المسافة ما بين المدن اليمنية وصنعاء على النحو الآتي(3):

مـــن	إلـــى	ســـاعة	إلـــى	ســـاعة
صنعاء	مناخه	25	حجور	32
صنعاء	كوكبان	10	لحيه	22
صنعاء	حجه	26	باجل	10
صنعاء	ذمـــار	18	أب	12
صنعاء	يريم	24	قعطبة	24
صنعاء	أنس	15	حجرية	16
صنعاء	رداع	30	مخا	24
صنعاء	عمران	10	عدين	24

---

(1) مهمة دفتري، نمره 47، وثيقة 614، ص 87.

(2) أحمد راشد، مصدر سابق، ص 654.

(3) يمن سالنامه ص 1308، ص 143.

مــن	إلــى	ســاعة	إلــى	ســاعة
صنعاء	بيت الفقيه	12	قنفذه	50
صنعاء	زبيد	17	مخا	20
صنعاء	زيديه	12	صبيا	47
صنعاء	جبل ريمه	25	بني شهر	36
صنعاء	أبو عريش	25	رجال المع	12

وقد صدرت عدة فرمانات سلطانية إلى ولاة اليمن تحذرهم من تعرض القوافل التجارية إلى الأذى، وطلب من الولاة تكليف طابور للحماية في الوديان وفي المناطق الخطرة.

حكم إلى حسن باشا بكلربكي اليمن[1].

لقد وصل خطاباً منكم تذكرون فيه الظروف التي تحيط بولاية اليمن، وكل ما ذكر فيه يقتضي منكم الحيطة والحذر، وقد أمرت عندما يصل [هذا الحكم] أن توعز إلى عساكرنا المكلف بحماية السناجق والأقضية حراسة وراعية القوافل التي تنقل المؤن لعساكرنا وللأهالي بحراستها والمحافظة عليها، واحذر أن تتعرض قوافل التجار المحليين والأجانب لخطر، لأن هذا يسيء إلى سمعة دولتنا العلية، وعليك ألا تكون في غفلة من الذين يعتدون على أرزاقنا وأرزاق الناس، وأن تسعى ما في وسعك لصيانة شرف الولاية وأن تحمي ناموس السلطة.

28 محرم 976هـ/1568م

حكم إلى مراد باشا[2] .

علمنا بأن قافلة من تجار النمسا تحركت من صنعاء إلى عدن عن طريق ذمار يريم ثم إلى أب والحوسى، وفي أثناء الطريق تعرض لها لصوص وسرقوا ما فيها من بضائع

(1) مهمة دفتري، دفتر نمره 47، وثيقة 2015 ص 735.

(2) مهمة دفتري، نمره 59، وثيقة 2979 ص 678.

وقتل خمسة أشخاص، وقد كنا أوعزنا إليكم بإرسال طابور من العساكر لحمايتها، لإعلامنا بمجريات الأمور، وعن اسم المقتولين من تجار النمسا والمحليين.

11 ربيع الأول 976هـ/1568م

حكم إلى الوزير سنان باشا.

فيما يتعلق بأنه بعد صلاة اليمن وتحريرها بكاملها ومعرفة العوائد والمصاريف وتسجيل ذلك بدفاتر يجب عودة الذين ذهبوا برفقته، بعد أن يعين عدداً كافياً لحراسة الطرق بين المدن لقطع دابر اللصوص وملاحقتهم وضربهم بشدة، لأن أعمالهم الخبيثة تسيء إلى السلطنة وتمنع التجار من الاتجار باليمن، وهذا عمل يجب الانتهاء منه، وعليكم أن تبذلوا قصار جهدكم للمحافظة على اليمن[1].

23 رمضان 978هـ/1570م

حكم إلى القضاة وحراس القلاع وأمناء البنادر الواقفين على الطريق من استانبول إلى اليمن[2].

فيما يتعلق بضرورة تسهيل سياحة علي جاويش وارد وغدي وكيل سنان باشا الذاهبان إلى اليمن، وضرورة إيصالهم إلى مركز الولاية وإعلام الوالي عن المناطق التي يختبئ بها اللصوص وقطاع الطرق، لتلافي ذلك مستقبلاً.

27 رمضان 978هـ/1570م

وهكذا نرى أن الدولة العثمانية حرصت على حماية البشر والقوافل التجارية ووضعت على الطريق داخل اليمن وخارجها قوات لحراستها.

وعندما لجأ الوالي محمود باشا إلى غش العملة وتعرض المزارعون إلى الضرر ببيع حاصلاتهم الزراعية، وقد وجه السلطان فرماناً سلطانياً إلى والي اليمن محمود باشا

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمرة 83 وثيقة 76 ص 39.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمرة 96 وثيقة 1357 ص 308.

يأمره بدفع التعويض لهم وتقديم المساعدات وإعفائهم من الضرائب، لأن ذلك وحسب العادة فإن التجار هم الآخرون يتعرضون إلى خسائر في بضائعهم التي تم شراؤها من المزارعين، وذلك على النحو الآتي:

حكم إلى بكلربكي اليمن.

لما قد جاء إلى سمعنا الآن أن العملة التي جرت العادة على ضربها بولاية اليمن منذ زمن لا تضرب حسب الأصول السابقة، وأنها تأتي ناقصة، وهذا يعرض المزارعين إلى ضرر كبير في حاصلاتهم، ويسيء إلى سمعة دولتنا العلية، وتفقد سمعتها أمام التجار الغرباء الذين يتضررون أيضاً ونأمر عندما يصل [هذا الحكم] أن تقوم بضرب العملة حسب الأصول، وتدفع للمزارعين في الولاية كافة الأضرار، وأن ترفع عنهم الضريبة لهذا العام، وأن تؤمن لهم البذار حسب ما كان في السنوات السابقة ولتكن على دراية بما يحدث في ولايتك، ولا تدع أحداً يخالف ما جرت عليه[1].

13 رجب 975هـ/1567م

وهكذا نرى أن السلطان العثماني رغم الصراع القائم في اليمن، كان حريصاً على راحة المواطنين، وكان باستمرار يحذر الولاة من الاعتداء على الأهالي[2].

جـ- الأمور المالية:

إن الدولة العثمانية عندما اتجهت غرباً وبدأت بإخضاع البلدان العربية لنفوذها لم تكن تملك قانوناً مالياً خاص بكل ولاية، علماً بأن تلك الولايات كانت تختلف من حيث إمكاناتها الاقتصادية (زراعة – صناعة – تجارة) ولهذا فإن السلطان وحسب واقع كل ولاية كان يفرض ضرائب، بحيث ألا تتحمل خزانة الدولة العثمانية أعباءً فوق طاقتها، لأن ولاياتها كثيرة وغير قادرة على مساعدتها بشكل تام، وإنما مساعدتها لبعض الولايات

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمرة 158 وثيقة 3609 ص 308.

(2) سجلات الديوان الهمايوني والفرمانات السلطانية أ –50.

كان يتم في حالة تعرض الولايات لأوبئة كالطاعون والملاريا. وفي بعض الأحيان يرسل فرمان يأمر الوالي بإعفاء المنطقة المصابة من الضرائب لمدة زمنية لا تتجاوز الخمس سنوات[1].

لقد اعتمدت الدولة على السجلات المالية لكل ولاية، وكل ولاية تسجل وارداتها وصادراتها في دفاتر مهمة، أما الأراضي فتسجل في دفتر الطابو، ومن الأمور المالية التي كانت الدولة تركز عليها، نظام تحصيل الأعشار، ونظام الحرير ونظام الويركر (الضريبة) والبدل عن الخدمة لغير المسلمين (يهود - مسيحيين)، نظام الإيرادات السنوي، نظام ديوان المحاسبات، ثم نظام النفقات والسجلات المالية[2].

لقد واظبت الدولة العثمانية على فرض رسوم على الحاصلات التي تنقل من بين المدن من باب الاتجار، كما فرضت رسوم على المحلات التجارية والأماكن العامة، والخانات باعتبارها مراكز تجارية مزدهرة وفرضت إلى جانبها ضريبة رسم قبان، وكانت تؤخذ 5 بارات على الأرز، 2% من قيمة البقول والفستق 3%، وعلى القهوة 4%، وقبل استقلال اليمن كان السلطان مراد الرابع (1623-1640م) قد أصدر فرماناً بعدم شربها وبمنع زراعة التبغ، لكن اليمنيين لم يلتزموا بفرمانه، لأن الثورة التي قادها الإمام القاسم بن محمد قد توضحت نتائجها، وفرض على القات 9%.

وهناك رسوم أخرى من أهمها:

1- رسوم فتح بندر، إذا فتح أحد الناس دكاناً أو محلاً تجارياً فعليه دفتر رسم يقدره الكتخا أو الوالي.

2- مباشرة حمام، عند فتح حمام أو استئجاره، وهذه الظاهرة قليلة في اليمن جداً، لأنهم لم يعتادوا عليها.

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مجلس ولاي وثيقة 3865.

(2) أرشيف رئاسة الوزراء، مجلس ولاي وثيقة 6387.

3- ضريبة العزوبة، وتؤخذ من كل شاب بلغ الشباب ولم يتزوج، وغالباً تحدد بثلاثين بارة إذا تزوج من أرملة أما إذا تزوج من فتاة بكر، فيدفع 30-40 بارة.

4- ضريبة المحصنة، وهذه الضريبة وقفاً على اليمن، فكل من ينظر إلى امرأة متزوجة يدفع 25 بارة.

5- رسوم ولادة، كل امرأة حاملة وعند ولادتها تدفع 60 بارة إذا كان ذكراً و 30 بارة إذا كان أنثى.

6- رسوم حراسة من الجنوار (الثعلب - الذئب) وتقدر بـــ 20 بارة.

7- ضريبة طاحونة، وتقدر بـــ 20 بارة.

8- ضريبة شجرة الكرمة، وتقدر بـــ 15 بارة.

9- ضريبة سلطانية، وعلى الوالي جمعها وتقديمها للسلطان العثماني بموعدها المحدد.

10- ضريبة العشر، وهي تكليف شرعي وتستوفي من الحاصلات الزراعية بمقدار 10%.

11- ضريبة بدل دم، وهذه تفرض على المسيحيين واليهود، وقد فرض على يهود اليمن لكل شخص (5) بارات.

12- ضريبة تمتع، وهذه الضريبة تفرض على التجار وتختلف حسب المدن والمواقع التجارية، وكان مقدارها على تجار عدن كبيرة قياساً بتجار بقية المدن.

13- ضريبة مسقفات، وهذه تفرض على كل من يقوم ببناء بيت، وهذه تنفق على شق الطرق وإقامة الجسور.

14- ضريبة المواشي، وبخاصة الأغنام والأبقار.

15- ضريبة الرسوم الجمركية، وكانت مدينة عدن والحديدة والمخا من أكثر المدن اليمنية ارتفاعاً في رسومها[1].

16- عدا عن الضرائب التي كانت تفرض على اليمن، فقد كلفت بتقديم كميات من البهارات إلى القصر العثماني كضريبة الزامية، وكانت ضريبة القصر تلزم بها كل الولايات كل ولاية بما يتوافر لديها من مواد تموينية وحيوانات للأكل وطيور وحبوب ومشروبات، لأن نفقات القصر كانت كبيرة جداً فعلى سبيل المثال لا الحصر وجبة الغداء (الظهيرة) كانت تتألف من[2] :

20	كيس أرز
40	خاروف
20	تور
100	طير

عدا عن الخضار والفاكهة والمشروبات الروحية والمرطبات فمن أين يتم تأمينها إلا من الولايات زيادة عن الضرائب المفروضة عليها.

وبما أن البهارات لم تعد ترسل إلى القصر سنوياً كالمعتاد، فقد وجه فرمان إلى والي اليمن.

حكم إلى بكلربكي اليمن[3].

لقد أرسل بكلربكي صنعاء الحالي رسوماً [حمله خبر ذكر فيه] إن البهارات التي كانت ترسل كل عام حسبما جرت عليه العادة في زمن محمود بكلربكي اليمن السابق دام إقباله لم تعد ترسل.... 16 ذي القعدة 973هـ/1565م

(1) للمزيد، أرشيف رئاسة الوزراء، شورى دولت وثيقة رقم 2491 تاريخ 25 رجب 976-977.

(2) إسماعيل أوزون حقي تشارشلي، سراي تسكشلاني، أنقره 1983م ص 297.

(3) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري نمره (5) وثيقة 1687 ص 607.

وهناك رسوم متفرقة، فرضت على بعض الصناعات المحلية، وبما أن صناعة القطن غير متوافرة في اليمن، فإن رسوم الدلالة للعطارين كانت في اليمن مرتفعة قياساً ببعض البلاد العربية، والعطورات اليمنية تستورد عن طريق عدن من الهند، ناهيك عن رسوم المحاكم، ونظراً للوفرة العلمية وبلاغة اليمنيين بكل أطيافهم في القرآن وعلم الحديث فقد أسندت إليهم مهمة القضاء إلا قاضي اليمن الذي هو عضو في مجلس ديوان الولاية فهو حتماً من الروميلي. فضلاً عن ذلك فهناك رسوم الدمغة[1].

إن قراءة لضرائب الدولة العثمانية يدرك القارئ أن الدولة العثمانية دولة ضرائبية بامتياز، غير أن هذه القراءة غير صحيحة، لأن الدولة العثمانية إمبراطورية، فهي تتحمل مسؤولية ما يقارب مليون جندي تحت السلاح، وهذه القوات تتنقل من جبهة إلى جبهة، وهذا يتطلب نفقات باهظة، وكانت ضريبة اليمن سنة 1540م وما بعد 50.000 آقجة ثم ارتفعت مع العقد الأخير من القرن السادس عشر لتصبح 500.000 آقجة يدفع منها رواتب الجند ونفقاتهم وبناء ثكناتهم والمشافي التي كانت ترافقهم، وما تبقى يرسل إلى استانبول، وبحسب الدفاتر المالية، ففي بعض السنوات لم يرسل أي شيء للخزينة العامرة، بل في سنة 1581م و 1582م أرسلت الخزينة العامرة 1400 آقجة إلى مرضى تعز بسبب تعرضهم إلى مرض الملاريا حيث أودى بحياة العشرات، فطلب الوالي حسن باشا من الصدر الأعظم مساعدة مالية لهم، وعلى الفور أرسل الصدر الأعظم المبلغ مع أدوية وغيرها من المساعدات الأخرى.

وقد أصدر السلطان مراد الثالث فرماناً سلطانياً إلى والي اليمن آنذاك حسن باشا يأمره بتقديم المساعدة إلى أهالي تعز ويأمره بإرسال ما لديه من أطباء وأدوية لمساعدة المصابين، ومما جاء في الفرمان السلطاني[2]:

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مجلس والا، وثيقة 3697.

(2) نكبات دفتري، وثيقة رقم 218، وبالمناسبة فإن الدولة العثمانية أعدت دفتراً خاصاً اسمه دفتر النكبات لمختلف الولايات، وبإمكان الباحثين الرجوع إليه والاطلاع على المساعدات التي كانت تقدم من الخزينة في تعرض ولاية للمصائب أو كوارث طبيعية.

حكم إلى بكلربكي اليمن.

فيما يتعلق بأنه لما كنا قد علمنا بأن مدينة تعز تعرضت إلى مصاب خطير أودى بحياة العشرات، وبما أن تعز من ممالكنا المحروسة، نأمر عندما يصل [هذا الحكم] الإسراع بمساعدة الأهالي بالسرعة القصوى، وإرسال ما لديك من أطباء وأدوية، كما نأمركم بإعلامنا عن أوضاع الأهالي حسب ما جرت العادة، ولا تتأخر بالوقوف إلى جانبهم، وسيصرف 14.000 آقجة كمساعدة من الخزينة وأن تقوم بالخدمة التي أمرت بها بكل أنواع المساعي الجميلة.

13 ذي القعدة 991هـ/1983م[1]

2- المنشآت العمرانية العثمانية في اليمن:

لقد اشتهر العثمانيون بنشاطهم العمراني وبصورة خاصة المساجد والجوامع والمدارس والمشافي وجر المياه إلى مركز الولاية إذا كانت بحاجة إلى ذلك، إضافة إلى إقامة ثكنات للإنكشارية بغية ضبطها وربطها، وقد سارع الولاة في مختلف الولايات لتخليد ذكراهم ببناء جامع باسمهم أو باسم السلطان الحاكم مستغلين مناسبة انتصار القوات العثمانية في أوروبه الشرقية، وتعدّ اليمن من أقل الولايات العثمانية التي كانت نسبة الجوامع قليلة لا سيما في الفتح العثماني الأول الذي امتد من 1538-1635م، لأن هذه المرحلة قلما شهدت استقراراً متصلاً، يضاف إلى ذلك فبدخول العثمانيين بدأت المواجهات لدرجة أنهكت القوات العثمانية، واضطرت أخيراً للاستسلام والخروج من اليمن.

يعدّ الوالي أوزدمر الذي تولى ولاية اليمن سنة 954هـ/1547م أول الولاة العثمانيين الذي بنى جامعاً شريفاً في باب شعوب بصنعاء كما بنى مدرسة لا يزالان حتى الآن[2]، وفي دفتر الوقفيات يذكر أنه أوقف لها 10 دكاكين وأراضٍ غير محددة مساحتها[3].

---

(1) نكبات دفتري، وثيقة رقم 218.

(2) يمن سالنامة سي لسنة 1314م، ص 360، وسنة 1309م ص 60.

(3) مجلة الأوقاف، وقفية أوزدمر، عدد 56 لسنة 1978م، ص 38.

وفي سنة 968هـ/1560م قدم إلى اليمن محمود باشا الذي عمل خلال سنواته الأولى على إصلاح ثكنات الجيش، وحسّن الطريق المؤدي من صنعاء إلى عمران، وحاول تحسين الطريق إلى صعدة، وتبين فيما بعد أنه يعمل لمصلحته الخاصة وليس في سبيل الله ولا لتخليد اسمه كبقية الولاة الآخرين(1).

في سنة 978هـ/1580م تولى ولاية اليمن بهرام باشا، تمكن من إقناع القبائل القاطنة منطقة ذمار وما جاورها بضرورة تسليم ما لديها من سلاح، فجمعه وخصص له بناء لوضعه داخله، وقد رمم البناء ووسّع طرقات المنطقة، وكان خلال ولايته يسعى لتحسين الطرقات والأبنية المخصصة لقوات الضبطية في مختلف المدن اليمنية(2).

تولى إدارة اليمن الوالي مراد باشا سنة 984هـ/1576م وكان رجلاً مؤمناً عمد خلال توليه ولاية اليمن إلى استجرار المياه من نهر تحت جبل نقم وأوصله إلى صنعاء، وقد كلفه ذلك جهداً كبيراً، كما رمم جامع أحمد بن علوان الموجود في يفرس في تعز وأوقف عليه أوقافاً كثيرة وأمر ببناء تربة على مقابر الشيخ أحمد السندي والهزار في تعز، وحسّن الطرق الداخلة إلى تعز والخارجة منها، ووسّع شوارع مدينة صنعاء، وأوقف أراضي للجامع الكبير وعيّن عليها قيّم وطلب منه تسجيل إيرادات أوقاف الجامع الكبير(3).

وفي سنة 989هـ/1581م تولى إدارة اليمن الأرناؤوطي حسن باشا الذي امتاز بالفصاحة والنبل وقد بنى جامعاً في صنعاء وسماه باسم مملوكه بكرية، وبنى بقربه تربة في مقبرة (بابا صوفي إدريس، وعمّر حماماً مقابل باب القصر، كما بنى تربة ومسجداً في مقبرة (فروة بن مسيك المرادي) الذي كان مدفوناً خارج سور صنعاء، كما أوقف على المسجد خاناً(4).

---

(1) يمن سالنامة سي، 1308، ص 64.

(2) يمن سالنامه سي، لسنة 1308، ص 64-65.

(3) مجلة الأوقاف، وقفية الجامع الكبير في صنعاء العدد 97 لسنة 1983م ص 93.

(4) يمن سالنامه سي، لسنة 1308م، ص 67-68.

يعدّ سنان باشا رائد الغزو العثماني لليمن، وهو الذي نظم الإدارة ووزع العسكر على المناطق وخصص لها أبنية خاصة بها خارج المدن، وضبط الأمن وربطه، وقد فتح طريقاً باتجاه شهاره ورصفها بالأحجار بشكل أنيق، وبنى قبة في الجامع الكبير، كما بنى منارة في جامع صلاح الدين، وبنى قبة أخرى في مقبرة (جناح) ومسجداً أيضاً، وأنشئ حوضاً كبيراً في المحل المسمى (القبتين) في الطريق ما بين صنعاء وتعز[1].

وفي سنة 1016هـ/1607م وصل الوالي جعفر باشا الذي اهتم بالطرق وبأبنية العساكر، ومنعها من التجول بالأسواق، وباشر ببناء سوق في وسط صنعاء لكنه لم يكمله بسبب عزله.

أما الحاج محمد باشا الذي تولى ولاية اليمن سنة 1025هـ/1616م فعلى الرغم من القتال الدامي والشرس ما بين قوات الإمام قاسم بن محمد والقوات العثمانية، فقد قام بحفر بئر في الجهة الشرقية من صنعاء والمعروف (بير الباشا) كما أنشئ في يفرس حوضاً ووسّع جامع أحمد بن علوان وعمره وبنى تربة عبد الرحمن البهلول، كما عمّر جامع طلحة في صنعاء وعمّر سوري صنعاء وزبيد ورممهما بشكل جيد، وبنى جامعاً كبيراً في يريم وأنشئ بها سوراً جديداً، كما بنى سوراً للتربة فيها مقبرة الشيخ حسن الحافظ[2].

إن قراءة جديدة وواعية لولاة اليمن وغيرهم من الولاة نجد أنهم أجمعوا على ترك آثار مجيدية لهم تخليداً لهم ولذكراهم، وكان سلاطين بني عثمان يشجعون مثل تلك الأعمال الخيرية، ومن الملاحظ أن ولاة اليمن لم يتمكنوا من بناء قصور في اليمن ولا ثكنات لعساكر، لأن القتال الذي بدأه الإمام شرف الدين ثم الإمام مطهر ثم الإمام قاسم ابن محمد لم تساعدهم أو لم تترك لهم فرصة للقيام بمثل ذلك من أعمال، وإذا كانت المرحلة الأولى من الوجود العثماني في اليمن قد دفعت بعض الولاة إلى الاهتمام بالمنشآت العمرانية، فإن المرحلة الثانية ستكون حافلة بالمنشآت وبالتنظيم الإداري، لأن الأئمة

---

(1) يمن سالنامه سي، لسنة 1308م، ص 69-70.

(2) يمن سالنامه سي، لسنة 1314م، ص 369.

الزيديين وغيرهم أدركوا أن العثمانيين أفضل من غيرهم مما قدم إلى اليمن، لكن سوء الظن وحب السلطة دفع الكثير من المشاغبين إلى الاعتداء على العساكر العثمانية ويقابله بالطرف الثاني أن الولاة العثمانيين تميز بعضهم بالاستقامة وإقامة الحق والسعي الجاد لتطبيق العدالة وخلّد اسمه بين الشرفاء الذين خدموا أمتهم بجد، وهناك البعض الآخر منهم كانت تربيته سيئة وهو لقيط لا أصل له عمد إلى الإساءة إلى الأهالي وارتكب أخطاء لُعن عليها ودوّن اسمه بين المسيئين الذين خانوا وطنهم وأمتهم ومعظمهم قتله الطمع أو قتله المال الذي جمعه(1).

3- النشاط العسكري العثماني في اليمن 1538-1635م:

أ - **النشاط البري :**

لقد امتاز العثمانيون بأنهم عسكر، وأن عساكرهم قادرة على مقاتلة أعداءها تحت مختلف الظروف، ولهذا توجهوا إلى الوطن العربي وأخضعوا معظم مناطقه إلى سيطرتهم وقلما واجهوا مقاومة تذكر في بعض ولاياته، إلا أن توجه العثمانيين إلى اليمن اختلف من حيث الهدف والغاية، فالعثمانيون قصدوا من وراء إخضاع اليمن لسيطرتهم طرد البرتغاليين من سواحل اليمن والخليج العربي والجزيرة وحتى من الهند، لأن سلاطينهم تولوا مهمة الدفاع عن الوطن الإسلامي والمسلمين، ولكي لا يعود البرتغاليون إلى سواحل البحر الأحمر وعدن كان لا بد من إرسال قوات برية لتتمركز في اليمن وبخاصة بعدن، غير أن احتلال عدن لا يحقق الهدف المنشود، وليس بمقدور مدن عدن وضواحيها تحمل آلاف بل عشرات آلاف من الجنود، والمنطق العسكري في قاموس السلطة والسيطرة لا يتجزأ، ولهذا تطلعت أحلام العثمانيين من عدن إلى زبيد إلى تعز فذمار فصنعاء العاصمة المركزية لليمن.

---

(1) جودت، مصدر سابق، ج9، ص 457.

إن الحملة البحرية التي قادها سليمان باشا الخادم لطرد البرتغاليين من عدن والهند، وعجز عن تحقيق الجزء الثاني من المهمة والمتعلق بالهند دفعه للتعويض بإكمال فتح اليمن، فأخضع زبيد، وإخضاع زبيد تتطلب مباشرة الإنكشارية بفرض نفوذها على المدن اليمنية، وما إن وصلت القوات العثمانية زبيد وما بعدها حتى تصدت لها المقاومة اليمنية التي فصلتها أطراف ثلاث وبالتسلسل الزمني لكل منهم في المرحلة الأولى تصدى للقوات العثمانية الإمام شرف الدين، وبعدها أكمل ابنه الإمام المطهر المقاومة، وتمكن العثمانيون على الرغم من صعوبة تحركهم في جبال اليمن وأهضابها من الصمود ومقاومة الأئمة الزيديين، وقد تمكن الإمام مطهر من طرد العثمانيين من صنعاء وتعز، وأرغم على التجمع القسري في زبيد وعدن وذلك سنة 1568م[1].

تألم السلطان العثماني لما تعرضت له قواته في اليمن، فقرر سنة 1569م إرسال السردار سنان باشا وزوده بقوات كثيرة وأسلحة ومعدات، وحالما دخل اليمن واستخدم ما لديه من أسلحة، تراجع اليمنيون، لأنه لم يعد بمقدورهم تحمل نيران أسلحة العثمانيين المتطورة، وقد استغرق وجوده في اليمن سنتين حتى سنة 1571م وغادرها بعدما عيّن عليها عدد من الولاة بعضهم عمل بجد للمحافظة على الوضع القائم في اليمن.

وفي سنة 989هـ/1581م عيّن حسن باشا والياً على اليمن، وقد تمكن حسن باشا بإدارته الحكيمة من توطيد الأمن والاستقرار في اليمن ونظمها إدارياً وقضائياً[2]، إلا أن المستجدات التي ولدت مع العقد الأخير من القرن السادس عشر وإعلان الإمام القاسم بن محمد لثورته قلبت المعادلة العسكرية، ووقعت أحداث جسام، ظلت لأكثر من عقدين من الزمن لا غالب ولا مغلوب، غير أن الإرباك العسكري الذي واجهته الدولة العثمانية مع بداية القرن السابع عشر، وإعلان العساكر لثوراته في مختلف الولايات، جعل السلطان مراد الرابع يعمد إلى تنفيذ الأولويات في إدارته، فلجأ إلى إعادة العراق ثم لبنان، وفي

(1) يمن سالنامة سي سنة 1297م ص 164.

(2) يمن سالنامة سي سنة 1298م ص 94.

الوقت الذي كان يعدم فخر الدين المعني الثاني وأولاده في استانبول كانت قواته في اليمن بدأت بالاستسلام للمقاومة المحلية التي يقودها الإمام محمد بن القاسم وأسفر في سنة 1635م على خروج العثمانيين في اليمن وإعلانه الاستقلال عن الدولة العثمانية[1].

ب- النشاط البحري العثماني في السواحل العربية :

أشرنا سابقاً إلى أن البرتغاليين تمكنوا من السيطرة على البحار الشرقية وهددوا سواحل جنوب البحر الأحمر بما فيهم ميناء جدة الواقع في الجهة الشمالية من اليمن (عدن)، وكان المماليك قد عجزوا عن إيقاف هذا التوسع البرتغالي، وبما أن العثمانيين أزالوا الدولة المملوكية في سورية ومصر فإن مهمة طرد البرتغاليين تقع على عاتقهم، وقد عمد السلطان سليمان القانوني على إرسال حملة بحرية تحركت من السويس إلى عدن ومنها إلى الهند، وبلغت الحملة مدينة عدن سنة 1538م. وقد سيطرت الحملة التي قادها سليمان باشا الخادم على عدن[2]، ومن ثم تحرك بها إلى الهند وقد أقلق وجود الحملة العثمانية وتحركها قلق البرتغاليين، ولكن لظروف خارجة عن إرادة البرتغاليين وقاد الحملة العثمانية لم يحدث صدام بينهما، وبذلك ظل التوتر قائماً بينهما لكن البرتغاليين عمدوا إلى مهاجمة ميناء السويس سنة 1541م لكن محاولتهم باءت بالفشل، فلجأت إلى مهاجمة ميناء مصوع، وبعد فترة انسحب مدركاً أن البحر الأحمر أصبح بحيرة عثمانية وأن أي تحرك لهم داخله قد يعرضهم إلى تدمير أسطولهم بالكامل[3].

تحرك العثمانيون بجدية لإغلاق البحر الأحمر ومنع البرتغاليين من الاتصال مع موانئ الحبشة، فتحرك الأسطول البرتغالي ومعهم الأحباش إلى مهاجمة أحمد جمران،

(1) لقد عالجنا هذه الأحداث لأكثر من مرة.

(2) بحرية مجموعة سي، مصدر سابق، ص 557.

(3) بحرية مجموسة سي، المصدر السابق، ص 513.

واضطر للتقهقر إلى زابول، الواقعة على الضفة الشرقية لهضبة الحبشة، لكن الإمام أحمد هاجم الحبشة وانتصر عليها وكانت القوات البرتغالية قد آثرت الهروب من الأسطول بعد غياب قائدها ونزوله إلى البر فتصدى لهم الإمام أحمد وقتلهم، وحينما هاجمه البرتغاليون طلب مساعدة القوات العثمانية المتمركزة في زبيد، فأرسل له الوالي مصطفى باشا النشار خمسمئة جندي مزودين بأسلحتهم فانتصر الإمام أحمد بمساعدة العثمانيين، وهزم الأحباش وحلفاؤهم البرتغاليون.

لقد تمكن العثمانيون بفضل شجاعتهم من قطع الاتصال ما بين الأحباش والبرتغاليين كما أن البرتغاليين تخوفوا من تحرك عثماني باتجاه الهند(1)، وإذا حدث فإن قواعدهم هناك ستتعرض للدمار، لذلك لجؤوا إلى التخفيف من تحركهم في البحر الأحمر، وبما أن الاضطرابات قد ازدادت في مناطق الخليج فإن الواقع فرض على العثمانيين القيام بجهد حربي وهذا ساعدهم على مد نفوذهم اسمياً على تلك المناطق، وفي سنة 1534م امتد النفوذ العثماني إلى البصرة، وفي سنة 1547 قام العثمانيون بطرد أميرها راشد من غامس، وفي سنة 1550م سلم أمير القطيف قلعته للعثمانيين، وقد تخوف البرتغاليون من التحرك العثماني كما تخوفوا على قواعدهم في هرمز وبقية المدن الساحلية ولا سيما بعد تسليم شاه فارس لهم هرمز وتنازل عن سيادته عنه(2).

عاد أمير البصرة راشد بن مغامس أمير البصرة المطرود من قبل العثمانيين للاستنجاد بالبرتغاليين وتعهد لهم ببناء حصن لهم في البصرة، وقد رحب البرتغاليون بهذا العرض وأرسلوا حملة كبيرة إلى الخليج، وعلى الفور قامت بضرب قلعة القطيف بالمدافع، ثم هاجمت البصرة، وعلى الفور قرر السلطان سليمان القانوني إرسال حملة بحرية إلى الخليج لمحاربة البرتغاليين وطردهم من هرمز(3)، وإلحاق إدارتها بالبصرة

(1) جودت تصنيفي، وثيقة 1458.

(2) علم وخبر دفتري، نمره 196، ص 411.

(3) علم وخبر دفتري، نمره 196، ص 413.

وبعدما تم تجهيز الحملة من السويس والمكونة من ثلاثين سفينة يقود القبطان بيري باشا وذلك سنة 1552م، وفور وصولها هاجمت البرتغاليين في مسقط ومن دون مقاومة تذكر تم الاستيلاء على قلعتها، وأسر قائد حاميتها، ثم تحرك بيري باشا إلى هرمز فحاصرها بشدة، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، فاضطر للانسحاب إلى البصرة، وقد اتهم بيري باشا بالخيانة وأُعدم فور عودته إلى مصر وصودرت أمواله بأمر من السلطان سليمان القانوني، وقد حوصر الأسطول العثماني المتمركز في البصرة، وبذلت جهود كبيرة لإنقاذه، فكلف السلطان سليمان القانوني سيدي علي ريس قبوداناً لمصر وكلفه بالتوجه إلى البصرة لإعادة الأسطول إلى السويس(1).

اهتم سيدي علي ريس بإصلاح السفن فور وصوله إلى البصرة سنة 1554م، وبعد فترة غادر البصرة إلى السويس، وفي أثناء توجهه إلى البصرة التقى مع أسطول برتغالي بالقرب من ساحل ظفار، وقد كان الالتحام بينهما حاداً وشرساً، وفي الليل اضطر الأسطول البرتغالي للانسحاب إلى مضيق هرمز، في حين أكمل سيدي علي ريس طريقه إلى السويس(2).

لقد عانى سيدي علي بعد المعركة مع البرتغاليين ظروفاً طبيعية سيئة، ففي القرب من ميناء ظفار واجهته عاصفة شديدة استمرت عشرة أيام، وبعد هدوء العاصفة تحرك سيدي علي إلى استانبول وبلغها 20 نيسان 1555م.

واظب العثمانيون حملاتهم باتجاه الحبشة، وتمكنوا من إغلاق البحر الأحمر بوجه البرتغاليين وبذلك بدأ العثمانيون يلاحقون البرتغاليين الذين أجبروا على مغادرة المنطقة .

---

(1) جودت تصنيفي، وثيقة رقم 3654.

(2) جودت تصنيفي، وثيقة رقم 3654.

4- موقف أشراف مكة من الوجود العثماني في اليمن:

ظل أشراف مكة يقدمون الطاعة والولاء لسلاطين آل عثمان منذ 1517م حيث قدموا إلى السلطان سليم الأول مفاتيح الحرمين الشريفين وتلقب بخادم الحرمين الشريفين، علماً بأنهم لم يحتلوا معظم المناطق والديار التي تحيط بمكة، لطالما لم ينتزعوا منهم الشرافة، وقد تولى سلاطين آل عثمان الإشراف الإداري على مكة والمدينة، وكان بإمكانهم أن يعزلوا أي شريف لا يقدم لهم الطاعة والولاء، وقد أرسل السلطان سليمان القانوني إلى شريف بمناسبة جلوسه على العرش العثماني في نهاية أيلول 1520م.

« فهذا كتابنا الشريف السامي السلطاني وخطابنا المنيف المعالي الخاقاني لا زال نافذاً مطاعاً في الأطراف والأكفاف بإمداد أمداد خفي الألطاف مبارك أرسلنا إلى جناب الكريم الأميري الكبيري الأكرمي الأفخمي الأمجدي الأرشدي الأكملي الأعدلي النصري الذخري العوني الوتدي العضدي الهامي المجاهد الأصلي العريقي الحسيبي النسيبي نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية سند الملة المحمدية طراز العصابة العلوية سيد الأمراء الأشراف في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين نسيب أمير المؤمنين السيد الشريف زين الدين بركات ابن الشريف محمد أمير مكة المكرمة أدام الله تعالى سعده وأنجح قصده ولا زال في ظل الله وكرمه ومهبط رحمة وحيه وحرمه يهدي إلى سلاماً جميل وثناء جزيلاً»(1).

إن القارئ لهذا الخطاب السلطاني الموجه إلى شريف مكة ألا يتساءل هل لهذا الشريف الحق في مخالفة السلطان العثماني القادر على انتزاعه من الشرافة، ولهذا فإن شرفاء كانوا مؤيدين العثمانيين في دخولهم اليمن، وكان السلطان العثماني يخاطب شريف مكة ويطالبه بمساعدة القوات الموجودة في اليمن، فلقد وجه السلطان العثماني رسالة

---

(1) إسماعيل حقي أوزون تشارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد 1985م، ص 47.

همايونية إلى شريف مكة يطالبه بتأمين الإبل والألجمة اللازمة للعساكر الذاهبة إلى اليمن وذلك على النحو الآتي:

رسالة همايونية إلى شريف مكة المكرمة[1].

فيما يتعلق بوصول رسالته التي تذكر فيها أن العمل جار لإعداد الإبل والألجمة اللازمة للعساكر الذاهبة إلى اليمن، وإخباره إنه تم عزل سردار اليمن مصطفى باشا وتعيين سنان باشا سرداراً بدلاً منه ولذلك يجب الاتحاد معه في الرأي والعمل.

18 محرم 976هـ/1568م

في بادئ الأمر تم تعيين لالا مصطفى سرداراً على اليمن، لكن الصدر الأعظم أقنعه بأن سنان باشا أصلح لهذه المهمة، ولهذا وجه السلطان كتاباً إلى شريف مكة، وكان السلطان العثماني يكلف الولاة المتوجهين إلى اليمن الذهاب عن طريق جدة، وأخذ حاجاتهم من شريف مكة والعمل بتوجيهاته، وكان الشريف يرسل مع الشخصيات العثمانية الذاهبة إلى اليمن قوة لحمايتهم إلى أن يصلوا الأراضي اليمنية، وهناك تكون مجموعة من العساكر بانتظارهم لنقلهم إلى مركز الولاية[2].

ظل أشراف مكة يتعاونون مع القوات العثمانية العاملة في اليمن بصورة جدية ومستمرة، كما كان على أشراف مكة تأمين سلامة المساعدات القادمة من مصر وحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق، ولم يكن بإمكان الدولة العثمانية إرسال القوات براً لولا مساهمة أشراف مكة ووقوفهم إلى جانبها، لأن هناك صعوبات تواجه كل القوات المتجهة براً وحتى بحراً، والتكاليف في نقل القوات العثمانية أرهقت الدولة العثمانية وعرضت خزانتها إلى الإفلاس[3].

---

(1) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره (5) وثيقة 2753 ص 1003.

(2) إسماعيل أوزون تشارشلي، عثمانلي تاريخي، أنقره 1983م، ج2، ص 450.

(3) نامة همايون دفتري نمره 6 ص 1423 لسنة 1073م.

لم يكن بإمكان أئمة اليمن بدءاً من الإمام شرف الدين التدخل بشؤون مكة، ومنع شريفها من تقديم المساعدات للقوات العثمانية، ولهذا اكتفى معظمهم بمواجهة العثمانيين وقواتهم في اليمن، والحال نفسه بالنسبة للإمام مطهر ومواجهته مع القوات العثمانية وقد تمكن الإمام مطهر من إلحاق الهزائم بالقوات العثمانية رغم تدخل شريف مكة وتقديمه المساعدات إلى القوات العثمانية القادمة إلى اليمن(1).

لكننا لم نعثر على ما يدل أن قوات حجازية شاركت القوات العثمانية في اليمن، ولم نعثر على ما يدل على وجود أي مشاركة فعلية لقوات شريف مكة، وكل ما كان الشريف يقدمه للعثمانيين مساعدات منه إبل وخيول وألجمة وذلك كما ورد في الفرمان السلطاني السابق(2).

ظل أشراف مكة يقدمون ما يطلب منهم من تجهيزات، كما كانت مسؤوليتهم حماية الولاة الذاهبين إلى اليمن والقادمين منها، وفي سنة 1567 و 1568م غدت القوات العثمانية في موقف صعب، وقد طلب من شريف مكة إعلام استانبول عن أحوال اليمن، لكن شريف مكة تجاهل ما طلب منه، لأن الأخبار التي كانت تنقل إليه غير مطمئنة، وأن معظم القوات تراجعت من الشمال باتجاه الجنوب للتجمع في عدن وزبيد، وحينما علم السلطان بما آلت إليه الأمور عمد إلى تعيين سنان باشا سرداراً على اليمن بدلاً من لالا مصطفى، ونفذ الأمر في سنة 1569م وبالفعل تمكن سنان من إعادة إخضاع اليمن للسيطرة العثمانية(3).

مع أوائل سنة 1597م أعلن القاسم إمامته وأعلن الثورة على العثمانيين(4)، ولكن الإمام أجرى اتصالات خارجية أبرزها علاقته مع أشراف مكة، وعندما أيقن أشراف مكة

---

(1) نامة همايون دفتري نمره 7 ص 328 لسنة 989 هـ.

(2) مهمة دفتري نمره 6 وثيقة 4622 ص 608.

(3) لطفي تاريخي، استانبول 1318م ج3 ص 173.

(4) أرشيف رئاسة الوزراء، خط همايون، رقم 26803.

أن الدولة العثمانية بدأت تتلاشى، وأن قواتها بدأت تتراجع، تعامل أشراف مكة مع الإمام القاسم وقامت بينهما تبادل بالمراسلات، بعدما كان الأشراف ينظرون إلى الأئمة على أنهم خارجون عن الدين وأعداء للدولة العثمانية وبالتالي أعداء لهم.

أدرك السلطان أحمد (1603-1617م) أن الأشراف ليس بإمكانهم تقديم مساعدات لقواتهم، وحتى السلطان مراد الرابع تجاهل أحداث اليمن، وركز جهوده على العراق وإقليم لبنان، وتمكن من إعادة سيطرته عليهم، في حين خرجت اليمن من دائرة النفوذ.

خاتمة الفصل الرابع

من الإجحاف القول بإن العثمانيين يتجاهلون تطوير الزراعة والصناعة والتجارة في المناطق التي يسيطرون عليها، لكن الواقع العسكري لم يكن مؤهلاً للقيام بمثل ذلك، فإخضاع اليمن كان أولاً وبعدها يعملون على حماية المزروعات وغيرها، لأن قواتهم بحاجة إلى مواد تموينية ولا سيما الحبوب، وكانت اليمن آنذاك غنية بالحبوب من قمح وبقوليات، يضاف إلى ذلك فإن إطعام حيوانات الجر التي كانت القوات تستخدمها في جر المدافع كانت هي الأخرى بحاجة إلى طعام، ولهذا فقد اهتم الولاة بالحبوب وشجعوا الزراعة، لكنهم لم يستطيعوا تطويرها وحمايتها بسبب الاقتتال الدائر مع قوات الأئمة.

أما بشأن الأموال فلقد حرص العثمانيون بشكل كبير جداً على تأمين الأموال لدفع رواتب الجند، لأن عساكر اليمن كانت من نوع التي تتقاضى رواتبها من الولاية، فضلاً عن ذلك فإن تحسين أمور الولاية كان يتم من الضرائب التي تجمع من الأهالي، ولهذا لم يكن بإمكان الولاة التغاضي في مسألة جمع الضرائب، وبما أن الضرائب كانت تجمع من خلال العسكر (الجباة) فإن هؤلاء الجباة كانوا يعمدون إلى ارتكاب مخالفات في أثناء جمعها. وكان الإنسان اليمني يشعر بالظلم لأن واقعه المادي كان صعباً وأرضه خصبة لكنها بحاجة إلى أمطار، وفوق هذا كان عليه تحمل تدمير المزروعات في أثناء حدوث اقتتال مع الأئمة.

هذه الظروف المالية لم تبيح للولاة القيام بمنشآت عمرانية تخليداً لذكراهم كما فعل زملاؤهم في الولايات الأخرى، ولكنه رغم ذلك أمام البعض منهم منشآت خاصة كمساجد وجوامع، وبعضهم قام بمنشآت عامة لخدمة الأهالي، وهذه المنشآت أسهمت في نقل صورة جيدة عن بعض الولاة الذين التزموا بالأخلاق، وصدقوا وعدهم تجنبوا عدم الإساءة إلى شعب أعزل كاليمنيين.

الخاتمة

لقد شكلت اليمن عقبة كأداء لسلاطين الدولة العثمانية ولقواتها العسكرية، وكانت مرحلة التوجه إلى اليمن قد بدأت منذ عهد سليم الأول، لكن المنية وافته قبل تحقيق ما كان يصبو إليه.

لم يتصور سلاطين الدولة العثمانية بدءاً من سليمان وانتهاءً بمراد الرابع أن اليمن صعبة المراس، وأن مقاتليها قوة شبه خفية ترى أعداءها وأعداؤها لا يروها، تضرب بخفة ورشاقة تنقاد خلف زعامتها قبيلة كانت أم دينية مذهبية، أمرها بيد زعامتها شريطة أن تكون كرامتها مصانة.

توجه العثمانيون فعلياً إلى اليمن سنة 1538م واتهم قائد الحملة آنذاك سليمان الخادم بأنه اتبع الغدر وتخلص من الدولة الطاهرية وفيما بعد الدولة المملوكية، لكن القوة اليمنية التي يقودها آنذاك شرف الدين لا ينساق وراء الوعود ولا يخدع وفشلت كل الأساليب للإيقاع به، واصطدم مع القوات التي خرجت باتجاه الشمال وكان الصدام حاداً وعنيفاً، واستمر الطرفان لا هذا تراجع ولا ذاك قبل الصلح، مات الإمام شرف الدين، وخلفه المطهر وكان المطهر حاداً في تصرفاته، وعانت القوات العثمانية الكثير من الشقاء في المواجهة والتنقل، وبلغ اليأس فيها درجة أدركت فيه أن الانسحاب إلى الجنوب وترك الشمال لمطهر أفضل حلاً، على الأقل قد يعود منها النصف سالماً، ومع أواخر سنة 1567م تراجعت بكامل قواها إلى زبيد وعدن.

تألم السلطان العثماني سليم الثاني لما حل باليمن، وكان الصدر الأعظم يحل مسألة اليمن وتباينت الآراء بشأن إعادة السيطرة العثمانية على اليمن، فالبعض اقترح الصدر الأعظم السابق لالا مصطفى وصدر فرمان تعيينه سردار اليمن، لكن الصدر الأعظم محمد صوقوله أقنع السلطان سليم الثاني أن سنان باشا أقدر وأكثر حنكة فاستجاب وأصدر فرماناً يقضي بتعيين سنان باشا سردار اليمن بدلاً من لالا مصطفى، ومده بالتجهيزات اللازمة، وتحرك سنان بقوات مدججة بالأسلحة والمدافع الثقيلة، والهدف إعادة السيطرة العثمانية على اليمن، وفي هذه الأثناء خلت المقاومة من زعامة وتعرضت هي الأخرى للشتات، وتمكن سنان بما يملكه من قوات من فرض السيطرة العثمانية على اليمن، وعدّه المؤرخون السيطرة العثمانية الثانية، وتولى اليمن ولاة امتلكوا وجداناً سلوكياً متزناً، واختفت المقاومة اليمنية، واستمر العثمانيون يديرون اليمن كبقية الولايات وعمد ولاتها إلى الاهتمام بالولاية ولا سيما في عهد الوالي حسن باشا الذي أدار الولاية لأكثر من عشرين سنة، ووطد الأمن وضبط الإنكشارية ومنعها من التعدي على الأهالي، وشعر الجندي العثماني بالأمان والاستقرار وتغيرت نظرته عن اليمن بحسب ما نقلها من عاشوا من المرحلة الأولى، والتزم اليمنيون بالتعليمات العثمانية، ودفعوا الضرائب وامتنعوا من الاعتداء على الجند اليمني.

نعمت اليمن بالأمان والاستقرار من سنة 1571م إلى سنة 1597م حيث ظهر إمام يسمى القاسم بن محمد الذي أقسم بطرد العثمانيين من اليمن، وتولى القيادة بحكمة وعهد إلى أخوته مهاجمة العثمانيين من عدة جهات.

إن تعدد الجبهات والشجاعة في مهاجمة العثمانيين أربكتهم وجعلتهم يدورون حول أنفسهم، ولكي لا يبقى الإمام القاسم بن محمد وحده في المعارك، أجرى اتصالات مع

جهات متعددة، وقد تلقى الردود من تلك الجهات، فجسد بردودهم أنه الزعيم اليمني الأوحد الذي يقود بلاده إلى التحرر من العثمانيين.

واجهته وقواته أزمات عسكرية حادة قابلها وأياهم بالصبر والهدوء وأعلمهم أنهم أساؤوا وهذه عقوبة إلهية، فتمكن بهذا الأسلوب من ابتلاع المصائب بروح مؤمنة، وأما العثمانيون فقد قابلوا الأزمات التي واجهتهم بالغضب والقسوة والكراهية، فكثرت أخطاؤهم وقادتهم إلى المجهول فاضطروا بيأس إلى الانسحاب من اليمن مستسلمين لإرادة المقاومة المحلية التي توجت سنة 1635م باستقلال اليمن عن الدولة العثمانية.

المصادر والمراجع

آ – المخطوطات :

1- بافقيه الشجري (الطيب محمد عمر) تاريخ الطيب، مكتبة الأقحاف، مخطوط رقم 2025.

2- قوجي بك، تقريري قوجي بك، مكتبة نور عثمانية، رقم 6753.

3- تقرير قاضي اليمن محمد جاندار، مكتبة السليمانية رقم 6372.

ب – قسم الوثائق العثمانية :

1- أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري، نمره، 3، 4، 5، 6، 7، 11، 27، 47، 49، 54، 59، 83، 96، 158، 495.

2- أرشيف رئاسة الوزراء، كلان كلدان دفتري الصادر والوارد، 2396.

3- عينات دفتري، نمره، 311.

4- سجلات المحكمة الشرعية، استانبول، يمن قضاء ولايتي، نمره، 24، 157.

5- سجلات المحكمة الشرعية، استانبول، مجلس الإفتاء رقم 11-24.

6- سجلات المحكمة الشرعية، استانبول، أناضول دفتري، نمره، 51، 165.

7- سجلات الديوان الهمايوني، نكره، 293، وثيقة رقم 1117.

8- ديوان أحكام عدلية، وثيقة نمره 11.

9- الطابو دفتري، نمره، 157.

10- مجلس والاي، نمره، 35، 36، 53، 117، 257.

11- نكبات دفتري من 1-90 شامل لجميع ولايات الدولة العثمانية.

جـ - المصادر العثمانية:

آ - استانستيق، عموم إدارة سي، استانبول 1316 هـ.

ب- التقويمات السنوية:

1- دولت عثمانية سالنامه سي لسنة 1266هـ.

2- يمن سالنامه سي لسنة 1297هـ.

3- يمن سالنامه سي لسنة 1307هـ ولسنة 1308هـ.

4- يمن سالنامة سي لسنة 1314هـ.

5- لأمت محمد خليل محمد أفندي، يمن اقتصاداتي لسنة 1538هـ.

د - المصادر العربية :

1- ابن الديبع (عبد الرحمن بن علي الدبيع الشيباني الزبدي) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت 1983م.

2- ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكوع، صنعاء 1988م.

3- ابن منظور، لسان العرب، طباعة دار المعارف.

4- بامخرمة (أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله أحمد) تاريخ ثغر عدن، القاهرة 1991م.

5- القاسم محمد بن يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق عبد الفتاح عاشور، القاهرة 1986م.

6- المسعودي (أبو الحسن بن الحسين بن علي الشافعي) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1958م.

7- المكي، قطب الدين محمد بن أحمد، البرق اليماني في الفتح العثماني، بيروت 1986م.

8- العرشي (حسن بن أحمد بن يعقوب) بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، نشرها الأب انستانسي الكرملي، القاهرة 1939م.

9- الهمداني (حسن بن أحمد بن يعقوب) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، بيروت 1983م.

هـ - المصادر العثمانية:

1- أحمد راشد باشا، تاريخ اليمن وصنعاء، استانبول 1291هـ.

2- أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، استانبول 1311هـ، 11 جزء.

3- حاجي خليفة، وقعة نويس، استانبول 1358هـ.

4- عطا الله باشا، تاريخ عطا الله، استانبول 1313هـ.

5- صولاق باشا زاده، تاريخ صولاق، استانبول 1311هـ.

6- كاتب چلبي، فذلكة التواريخ، استانبول 1860م.

7- محمد رفيق، عمومي تاريخي، استانبول 1338هـ.

8- بحرية مجموعة سي، مجموعة من المؤلفين، استانبول.

و - المراجع العربية :

1- البكر، منذر عبد الكريم، تاريخ العرب قبل الإسلام أو تاريخ الدولة الجنوبية في اليمن، بغداد 1983م.

2- أبو غانم، فضل علي أحمد، البيئة القبلية في اليمن، صنعاء 1985م.

3- بيرتروفسكي، اليمن قبل الإسلام، والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعبي، بيروت 1987م.

4- ترسيسي، عدنان، اليمن وحضارة العرب، بيروت 1964م.

5- الثور، عبد الوهاب بن أحمد، هذه هي اليمن، صنعاء 1971م.

6- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، استقلال اليمن الأول عن الإدارة العثمانية، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد.

7- رافق، عبد الكريم، العرب والعرب والعثمانيون، دمشق 1974م.

8- سالم بن سعيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن 1538-1635م، القاهرة 1969م.
9- سالم، عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، الإسكندرية 1983م.
10- إسماعيل حقي أوزون تشارشلي، التشكيلات العسكرية العثمانية في استانبول 1987م.
11- سعيد، حسن إبراهيم، الصراع حول السيطرة على البحر الأحمر، ملف العلاقات المملوكية اليمنية، عدن 1989م.
12- الشماحي، عبد الله، اليمن، الإنسان والحضارة، 1979م
13- شيبان، أحمد سالم، الوجود المملوكي في اليمن 1515-1538م، الشارقة 1983م.
14- عبد الرؤوف الفقي، عصام الدين، اليمن في ظل الإسلام، دمشق 1981م.
15- عمارة اليمن، نجم الدين، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد الأكوع، بيروت 1969م.
16- عكاشة، محمود عبد الكريم، العلاقات اليمنية المصرية في العهد المملوكي، عدن 1989م.
17- العقيلي محمد بن أحمد عيسى، تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، الرياض 1958م.
18- فخري، أحمد، دراسات في تاريخ العرب القديم، القاهرة 1958م.
19- الكبسي، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، القاهرة 1984م.
20- أميرة علي الملاح، العثمانيون والإمام القاسم بن محمد، السعودية 1982م.
21- مصطفى سالم، سيد، الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، القاهرة 1983م.
22- ايفانوف، نيقولي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574م، ترجمة يوسف عطا الله، بيروت 1988م.
23- اليمن شماله وجنوبه، إصدارات القيادة القومية، دمشق 1975م.

ز – المصادر التركية الحديثة:

يؤسفنا أننا اعتمدنا في بحثنا على مدونات المصادر العثمانية القديمة من وثائق وتقويمات سنوية وغيره، وقد قرأنا بعض ما دونته المراجع التركية الحديثة، وعلى الرغم من قلتها أو ندرتها، لأن المؤرخين الأتراك دونوا ما كتبته مصادرهم العثمانية، ففعلنا الشيء ذاته.

1 - Ba Belgeler için bk. Kelmekki – elberku. L – Yemeni, Ankara, 1988.

2 - ismail Hakki uzun çarşili, Osmanli Tarihi, Ankara, 1983.

3 - ismail Hakki uzun çarşili, saray teskilati, Ankara, 1979.

4 - Hulusi yavaz yemende osmanli idaresi Rumuzi Tarihi, Ankara, 2003.

5 - Başbakanlik. Arşivi, Yildiz everaki, K 331.

الملاحق

ملحق رقم (1)

ولاة اليمن خلال العهد العثماني الأول

1538-1635م

الاسم والشهرة	من سنة	إلى سنة	المدة الزمنية
1- سليمان باشا الخادم	1538م	1538م	سنة واحدة
2- ميرلو مصطفى بك	1539م	1540م	سنة واحدة
3- مصطفى باشا النشار	1540م	1545م	خمس سنوات
4- أويس باشا	1545م	لم يكمل السنة لأنه قتل غدراً	
5- الجركس أوزدمير باشا		كلف بالوكالة لأشهر	
6- فرهاد باشا	1546م	1547م	سنة واحدة
7- أوزدمر باشا (التركي)	1547م	1554م	سبع سنوات
8- مصطفى باشا النشار (ثانية	1554م	1554	وافته المنية
9- قره شاهين مصطفى باشا	1544م	1559م	خمس سنوات
10- محمود باشا	1560م	1564م	أربع سنوات
11- رضوان باشا	1564م	1565م	سنة واحدة
12- مراد باشا	1565م	1576م	سنتان
13- حسن باشا (ثانية)	1567م	1568م	سنة
14- عثمان باشا	سنان باشا مرحلة الفتح الثاني لليمن		
15- حسن باشا		1569-1571م	
16- بهرام باشا	1570م	1575م	خمس سنوات
17- مصطفى باشا	1576م	1581م	سنة واحدة
18- مراد باشا	1576م	1581م	خمس سنوات
19- الأرناؤوط حسن باشا	1581م	1602م	إحدى وعشرون سنة
20- الكتخدا سنان باشا	1602م	1607م	خمس سنوات

الاسم والشهرة	من سنة	إلى سنة	المدة الزمنية
21- جعفر باشا	1607م	عين لعدة شهور	
22- إبراهيم باشا	1607م	حالما وصل صنعاء وافته المنية	
23- جعفر باشا (ثانية)	1608م	1616م	ست سنوات
24- الحجي محمد باشا	1616م	1621م	خمسة سنوات
25- فضلي باشا	1621م	1624م	ثلاث سنوات
26- حيدر باشا	1624م	1627م	ثلاث سنوات
27- قانصو باشا	1627	حتى مغادرة العثمانيين اليمن	

لقد عمدت الدولة العثمانية كالمعتاد إلى تغيير الولاة، لكن الأمر في ولاية اليمن كان يختلف، لأن المواجهة مع الأئمة كانت ضارية، وقد واجه هؤلاء الولاة ثلاث أئمة الإمام شرف الدين والإمام المطهر، وفي عهد المطهر واجه العثمانيون قتالاً شرساً أرغم على ترك القسم الشمالي من اليمن وذلك سنة 1568م، وفي سنة 1569م كلف سنان باشا بإعادة السيطرة العثمانية على اليمن وزود بجنود وأسلحة ومعدات كان اليمنيون يفتقرون عليها، وتمكن العثمانيون من سنة 1571م حتى مطلع القرن السابع عشر من توطيد السلطة وتنظيم إدارتهم وتنظيم عساكرهم، لكن الإمام القاسم بن محمد أعلن ثورته على اليمن وأسفرت المقاومة المحلية عن استسلام العثمانيين للقدر المحتوم الذي فرضته المقاومة المحلية.

ملحق رقم (2)

دفتر مهمة 5/ رقم الحكم 710 /ص277

حكم إلى رضوان باشا بكلربلى اليمن

لما كانت ولاية اليمن في أقصى الحدود من ممالكنا المحروسة وعلى درجة كبيرة من اتساع الأراضي فقد وجد من المناسب تقسيمها إلى 2 بكلربكية حتى يسهل بذلك حفظها وحراستها. فولاية صنعاء التي هي 17 سنجقاً جُعلت بكلربكية واحدة ووضعت تحت تصرفك وبالنسبة للدفاتر التي تتبعك سواء كانت سناجق وسواء كانت مقاطعات أرسلت إليك وصارت مقاطعات السناجق المسطرة بالدفتر تابعة إلى بكلر بكيتك وصار الرجوع إليك فيما يتعلق بأمورها فتقوم بالخدمة فيها على الوجه الذي تراه مناسباً. أما ولاية اليمن والتي هي 12 سنجقاً فإن دفتر أمراء سناجقها ومقاطعاتها أيضاً قد قُسمت ووجهت على أنها بكلربكية إلى مراد دام إقباله وعليه فقد أمرت أن تقوم بالتصرف على السناجق والمقاطعات التي تعينت لك بناءً على أمري وتقوم على ضبطها فتكون دائماً معه بقلب رجل واحد ورأي واحد وعلى حسن الاتحاد والاتفاق في ضبط البلاد وربطها وأن تقوموا في أمر رعاية الدين والدولة بكل أنواع المساعي الجميلة وتبذل كل ما في وسعك في تنفيذ كل ما يتعلق بمرادنا الهمايوني.

ملحق رقم (3)

دفتر مهمة 5/ حكم711/ص278

حكم إلى مراد بك بكلربكي اليمن

لما كان ولاية اليمن على درجة من الاتساع فقد تقرر لأجل ضبطها وربطها أن تقسم إلى 2 بكلربكية و12 سنجقاً وتم تعريف المقاطعات الموجودة داخل هذه الـ12 سنجقاً وبمزيد من عنايتنا تم توجيهها إليك على سبيل البكلربكية. ولأجل إعلامك في هذا الصدد تم إرسال حكمي الشريف وأرسلت الدفاتر الخاصة بالمقاطعات والسناجق التي تم فصلها وتعيينها لك وتم أيضاً تعيين ولاية صنعاء بسناجقها ومقاطعاتها إلى رضوان السلحدار السابق. وقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تقوم بالتصرف عليها بسناجقها ومقاطعاتها وعلى سبيل البكلربكية كما هو سطور بالدفتر وأن تكونا كلاكما قلباً واحداً ورأياً واحداً في خدمة البلاد وطمأنة ورفاهية البرايا والرعايا والعمل بجد ورجولة في خدمة الدين ودولتنا الهمايونية وأن تسعيا وتجدا في توفير وتكثير المال الميري على أن يكون أمر تحصيل الأموال من إعمالك ومن هذه الناحية عليك لأجل مصلحة البلاد والعباد أن تقوم بالصرف وبمقدار كاف إذا ما طلب المشار إليه ولا تجعله يقع من ذلك في ضيق.

ملحق رقم (4)

دفتر المهمات رقم 5/رقم الحكم 1686/ص607

حكم إلى بكلربكي اليمن

لقد أرسل قاض إب وبعدان خطاباً إلى سدة سعادتنا، وقد عرض فيه أن محمود (دام إقباله) بكلربكى ولاية اليمن السابق كان قد قطع عند فتح قلعة حلب وولاية بعدان 120 كيساً من المال (ضرائب على أهلها) وأنه عندما يؤخذ المال من الرعايا بمقدار 2000

فإنهم لا يتحملون ذلك مما يجعلهم يغادرون الأرض مشتتين في أطراف الدنيا فكان أن رفع عنهم بعد ذلك مقدار 20 كيس فلما عادوا سجل على الولاية مرة أخرى 20 كيساً من المال فكان أن تشتت أو تعبت كثير من القرى خربة وضلت المساجد والمدارس من الناس والآن قد اجتمع العلماء والفقهاء وسائر الفقراء من أهالي الولاية ورأوا أنه منذ أن تقرر 120 كيساً من المال خربت الولاية وتفرق أهاليها وأنت بتحميل أموال الذاهبين على عاتق الباقين بها كان سبباً في خراب الولاية كلية. وعلى ذلك فقد أمرت أن تنظر هذا الأمر فإن كان على ما عرضوه يتم تحصيل المال حسبما يمكن أن يتحملوه ولزمن وحتى يعود كل شيء إلى نصابه ويعمر المكان تقوم بالتحصيل حسبما هو ممكن.

ملحق رقم (5)

دفتر مهمة رقم 5/حكم رقم 1687/ص 207

حكم إلى بكلربكي اليمن

لما كان قد جاء إلى سمعنا الآن أن العملة التي جرت العادة على ضربها بولاية اليمن منذ قديم لا تُضرب حسب الأصول السابقة وكانت ناقصة واختل أمرها كثيراً. فقد أمرت بخصوص العملة أن تهتم بها بعد ذلك وأن تأمر بضربها حسبما جرت عليه العادة قديماً وعلى الأصول السابقة ولا تدع أحداً يخالف ما جرت عليه.

ملحق رقم (6)

دفتر مهمة رقم 5/حكم رقم 1754/ص 628

حكم إلى بكلربكي اليمن

إن طائفة القول الموجودة بولاية صنعاء لا تكفيها الخزينة وأنه إذا ما لزم الأمر وكان السير على العدو ميسراً واستدعت الحاجة بعد ذلك نأمرك أن تقوم بجمع الخزينة والعسكر بمقدار كاف وعلى ذلك فإنه عندما تلزم الخزينة لطائفة العسكر الموجودة بصنعاء ويطلبها منك المشار إليه عليك أن تعطيها إليه بالقدر الكافي حتى إذا ما دعت

الحاجة السير على عدو أو دعت الحاجة للعسكر لأجل حفظ وحراسة البلاد وطلبت منك (الخزينة) فسواء قمت بنفسك أو أرسلتها بمقدار كاف بالسفن عليك بالمعاونة كما يجب فترسلها وأن تكون بالاتحاد والاتفاق في حفظ وحراسة البلاد و الولاية وتكونا معاً ظهيراً ومعيناً لأحدكما الآخر.

ملحق رقم (7)

دفتر مهمة 5/حكم رقم 627 /ص 245

حكم إلى بكلربكي اليمن

لما كنا قد سمعنا أن البارود الجيد يصنع في اليمن وأنه يوجد منه بقنطار اليمن 500 قنطار بارود فقد أمرنا بتسليم البارود المذكور إلى أمير الجلّة أحمد بك يرسل إلى مخا Muha ومنها إلى السويس ومصر وأن يصنع في كل سنة ألف قنطار.

ملحق رقم (8)

دفتر مهمة رقم 5/حكم رقم 710/ص 277

حكم إلى بكلربكى اليمن رضوان باشا

لما كانت ولاية اليمن تقع على الحدود وأرض واسعة وأن حكمها لن يكون ممكناً ببكلربكية واحدة فقد سميت ولاية صنعاء بكلربكية والحق لها 15 سنجق وأرسل دفترها كما وجهت ولاية اليمن أيضاً بسناجقها المحررة بالدفتر ومقاطعاتها إلى مراد باشا وعليكما بحسن الاتفاق والاتحاد وأن تقوما معاً بإدارة البلاد.

ملحق رقم (9)

دفتر مهمة رقم 5/حكم رقم 711/ص 278

5/جمادى الآخر 973م

حكم إلى بك اليمن مراد بك

فيما يتعلق بأن ولاية اليمن أرض واسعة وأنها قسمت إلى بكلربكية موجهة ولاية صنعاء إلى رضوان باشا ووجهت ولاية اليمن بكلربكية إليه (مراد بك) وعليها أن يتفقا ويتحدا سوياً في أعمالهما، وإذا ما طلب رضوان باشا شيئاً، وارادت اليمن وهي زائدة ترسل إليه الخزينة ولا تترك في ضيق.

ملحق رقم (10)

دفتر مهمة رقم 5/حكم رقم 1686/ص607

حكم إلى بكلربكي اليمن

لما علم أن بكلربكي اليمن سابقاً محمود باشا كان قد قطع على الناس ضرائب أكثر من تحملهم مما كان سبباً في تشتت الأهالي، وحتى يتجمع الأهالي ويعمر المكان تؤخذ الضرائب على قدر تحملهم ثم تزاد بعد ذلك بالتدريج عندما تعمر الولاية.

ملحق رقم (11)

دفتر مهمة 5/حكم رقم 1687/ص 607

حكم إلى بكلربكي اليمن

كنا قد سمعنا النقود المقطوعة المفردية في ولاية اليمن حالياً لا تأتي مقطوعة حسب الأصول السابقة وأنها تقطع ناقصة عن السعر القديم، وبذلك يختل أمر النقود كثيراً، وعليه أمرت بالاهتمام بأمر النقود من بعد وأن يؤمر بقطعها حسب السعر القديم ولا تدعوا أحداً يتحالف ما جرت عليه العادة من ذلك.

(صورة منه إلى بكلربكي صنعاء. قيد)

ملحق رقم (12)

دفتر مهمة 5/حكم رقم 1699/ص612

5 ذي القعدة 973م

حكم إلى بكلربكي اليمن

لما كنا قد علمنا أن شيخ العرب الذي يسمى السلطان بدر والذي يحكم البلاد المسماة (بندر شمروة خزر المود) على طريق الهند من البحر مع اليمن يدفع المال الميري المقرر عليه بقوة السلاح ويأخذ رسوماً وجمارك تزيد عن الحد من السفن القادمة وأن له غير ذلك من حركات الطغيان الكثير، كما علمنا أنه إذا كان هناك أمر فإن فتح بلاده سهل وعليه أمرنا بالقبض عليه وتنفيذ ذلك إذا كان ممكناً.

ملحق رقم (13)

دفتر المهمة رقم 6/حكم رقم 257/ص 122

حكم إلى بكلربكي اليمن

لقد أحسنا بقبطانية السويس الحالية كسنجق اهما يونى على قدوة الأمراء الكرام (سفر) دام علوه، ولما كان قد عرض علينا أن سفن البرتغال السيئ الفعال لا تتوقف عن إيقاع الضرر والخسارة بالسفن التجارية القادمة من ديار الهند وأرسل الأسطول الهمايوني إلى جانب عدن، ولما كان من اللازم عند وصوله إلى هناك أن ينتظر لمراقبة الموسم فقد أمرت إذا ما حدث ضيق في أمر المؤن للعسكر الموجودين بالأسطول الهمايوني أن تقوم عند وصول أمري الشريف ووصول الأسطول الهمايوني إلى تلك الأطراف بإعداد المؤن ولا تجعله يعاني من الحاجة في أمرها، وعندما يحدث الطلب لها تقوم بإعداد الدقيق والقمح بالقدر الكافي، وهذا للعلم.

ملحق رقم (14)

دفتر مهمة رقم 6/حكم رقم 256/ص122

حكم إلى بكلربكي مصر

لقد أرسل قبل ذلك صاحب الإمارة شريف مكة المكرمة (صف) دام سعده خطاباً ذكر فيه إن سفن البرتغال السيئ المنال لا تتوقف عن إيقاع الضرر والخسارة من جانب البحر بالتجار القادمين من ديار الهند، ولأجل رفع ضرر الملاعين الخاسرين ووجب أن يذهب أسطولنا الهمايوني إلى جانب عدن فقد وجهنا قبطانية السويس بسنجق همايوني إلى سفر دام عزه وأمرنا بإعداد عشرة قطع سفن من نع القادرغة والكاليودان لكي ترسل إلى هناك. وقد أمرت عندما يصلك أمري الشريف أن تقوم بإعداد عشرة قطع من القادرغية والكاليتودان معدة بكل آلاتها ومعداتها وسلاحها وإعداد المجندين لها من الرجال الموجودين بمصر والمجرمين الذين لا يستحقون الإعدام ونقوم أيضاً كما هي العادة على إعداد كل حوائجهم سواء من البقسماط أو من غيره كذلك 20 نفكجي لكل سفينة وعشرين رامي سهام وقواس وأن لا يكونوا من الجركس أو الغريان الشيوخ بل من المحاربين ممن يقدرون على الحرب والضرب والاشتراك بالمعارك فترسلهم جميعاً إلى طرف عدن في موسمه ووقته ولأن سفن الأسطول المرسلة لا تستطيع حمل المؤن بالقدر الكافي تقوم بوضع المؤن والزاد على غليون بقدر كاف وترسله إلى عدن بحيث يصل بمشيئة الله الأعز إلى هناك ويتيسر لنا الفتح والنصر وبياض الوجه بعناية الحق سبحانه وتعالى فإذا ما زالت الأضرار وانزاح الفساد الواقع من الأعداء المقهورين عن تلك الأطراف وصار جانب البحر في أمن وأمان على أيام سعادتنا كان ذلك باعثاً على هدوء واستقرار التجار القادمين من ديار الهند بصادراتهم ووارداتهم وهذا للعلم.

ملحق رقم (15)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 404 /ص 11

غدة صفر سنة 675م

حكم إلى بكلربكي اليمن مراد باشا

فيما يتعلق بأن رضوان باشا بكلربكي صنعاء يتنازع مع أبناء الإمام وسائر القبائل بلا فائدة وأن العربان ينتصرون عليه وانتزعوا قنفذه وسائر الأماكن، وأن البكلربكية هناك ليس لهم سوى جمع ا لمال ومن المؤكد أنهم يظلمون الأهالي. وحتى الأموال التي يرسلها رضوان باشا تصادر وهناك وأنه هو نفسه ليس في نيته أمر جمع المال الذي وأنه يعامل الناس بالرفق والعدالة، بل على العكس فإن المال يجمعه حسب منصبه سوف يؤخذ هو الأخر.

ملحق رقم (16)

دفتر مهمة رقم 6/حكم رقم 217

حكم إلى بكلربكي اليمن

فيما يتعلق بأنه تم تعيين الوزير مصطفى باشا سرداراً (قائد) لأجل تأديب العصاة، وضرورة العمل معاً بالاتحاد والاتفاق وعدم ظلم الأهالي أو أخذ مأكولات بالمجان من أي شخص. (صورة منه إلى بكلربكي صنعاء عثمان باشا بن أوزدمير).

ملحق رقم (17)

دفتر مهمة رقم 6/حكم رقم 611 /ص 220

29/جمادى الآخر سنة 975م

إلى الوزير مصطفى باشا الذي عين سرداراً لليمن

فيما يتعلق بأن الشيخ الذي يدعى مطهر قد قام بعصيان باليمن وأنه حاصر صنعاء وهزم بعض العسكر التي سارت عليه، وأنه أعطيت لك قيادة اليمن مع رتبة الوزارة

وكذلك جلب الانكشارية والسباهية بالقدر اللازم من الشام وأنه تم تعيين أربعة أمراء سناجق من اليمن وعساكر المتفرقة وأغوات الجاوشية وألف جونكي، وأنه تم إعداد سائر المهمات، وأنه عند الوصول إلى اليمن يجب تفحص الأحوال واسترداد القلاع التي استولى عليها العدو وبالصورة المناسبة وتطمين الأهالي وإزالة البدع التي استحدثها البكلربكية القدامى وتوصيد بكلربكيات اليمن وصنعاء وتعيين عثمان باشا بن أوزدمير عليها جميعاً، وأنه أرسل عدد 100 فرمان أبيض (على بياض) ذو طفراء وعدد 3 فرمان ذو طفراء مذهبة.

ملحق رقم (18)

دفتر مهمة رقم 6/حكم رقم 69/ص 252

13 رجب 975م

حكم إلى حسن باشا بكلربكي اليمن

فيما يتعلق بأن مصطفى باشا وإلى الشام الذي وجهت إليه قيادة اليمن مع رتبة الوزارة قد خرج إلى ميناء زبيد في أوائل ربيع الأول وأن المكتوب الذي أرسله بشأن أحوال اليمن قد وصل وأن العساكر التي تم تعيينها إلى جانبه من إستانبول ومصر والشام قد أرسلت وأن الذخائر والبارود والمهمات قد أرسلت قبل العساكر مع خمسة سفن و إلى أن تصل العسكر يجب الاهتمام بحفظ البلاد وحراستها، و أنه قد أرسلت رتب إمارة السناجق والأغوات التي تم عرضها قد أرسلت الأوامر بصددها.

ملحق رقم (19)

دفتر مهمة رقم 6/حكم رقم 824/ص 291

حكم إلى حضرة الوزير مصطفى باشا المرسل للخدمة باليمن

فيما يتعلق بأن الوزارة وجهت بمرتب 100.000 آقجة (× 12 مرة) ولأن له خاصته (تراه الخاصة نفسه 100.000 آقجه (× 10 مرات) فإن المتبقي وهو 200.000 آقجه سيؤخذ من خزينة مصر، ولأنه من العادة بالنسبة للقيادة (السردارية) أن يعطى خلعة و 200.000 /آقجه، فقد أرسلت الخلعة عيناً وهذه المائتا ألف آقجه ستؤخذ من مصر، وغير ذلك فقد سيصرف أيضاً عشرة آلاف فلوري كسليانة من خزينة مصر.

ملحق رقم (20)

مهمة رقم 6/حكم رقم 1528/ص 237

7 ذي الحجة 975

حكم إلى الوزير مصطفى باشا

فيما يتعلق بأن قد أرسلت الأوامر المتعددة من أجل الوصول بسرعة إلى اليمن، وعلى الرغم من عرض كل أنواع التسهيلات فإنه لم يتم التحرك حتى الآن إلى اليمن وأن ذلك من باعث التكاسل والإهمال، وأنه نظراً لما أخبرنا به فإن كل قادرغية (نوع من السفن الشراعية-الحربية) يمكن أن نستوعب 200 عسكر حسب تذكرة قبطان البحر السابق بياله باشا وليس 50 عسكرياً وقبل تمضية الوقت يجب إرسال عثمان باشا أولاً مع بعض العسكر والمهمات فتعود السفن في الحال ويبقى هو مع المهمات والعسكر حتى يتم القيام بإصلاح هناك باليمن.

ملحق رقم (21)

مهمة 6/حكم رقم 1793/ص 644

حكم إلى بكلربكي اليمن عثمان باشا

فيما يتعلق بأنه على الرغم من مرور كل هذا الوقت لا يعرف ما هو سبب عدم التحرك حتى الآن إلى اليمن، يجب الأخبار بذلك ثم استكمال الاستعدادات والتحرك.

ملحق رقم (22)

مهمة رقم 6/حكم رقم 1794/ص 644

28/محرم 976م

حكم إلى ا لوزير مصطفى باشا

فيما يتعلق بضرورة الأخبار عن سبب التحرك إلى اليمن حتى الآن رغم استكمال كل الاستعدادات، وضرورة التحرك الفوري والاتحاد مع حسن باشا وعثمان باشا والتنكيل بالعدو.

ملحق رقم (23)

دفتر مهمة رقم 6/حكم 207/ص736

21/ربيع الأول 971م

حكم إلى ا لوزير سنان باشا

فيما يتعلق بتسلم مصطفى باشا قائد اليمن السابق للأوامر المرسلة والأوراق ذات النياشين بتمامها، وضرورة تسجيل عسكر آخرين إذا لم تكن العسكر المسجلة غير كافية، ونقل البنادق المرسلة معه إذا لزم الأمر، وجولية للفضة من مصر لضرب النقود باليمن وعلى العموم فقد أحيلت إليه بسامية وفراسته أمور اليمن.

ملحق رقم (24)

دفتر مهمة رقم 6/حكم رقم 2095/ص 766

23 ربيع الأول 976م

حكم إلى بكلربكي مصر

فيما يتعلق بأن سفن الحصان (نوع من السفن) التي يقوم العمل بتصنيعها هناك يجب أن تكون على طرز سفن غليبولي، حيث يمكن لها عندما لا تكون الرياح مساعدة أن تعمل بالمجاريف.

ملحق رقم (25)

دفتر مهمة رقم 6/ حكم رقم 2099/ص 768

24 ربيع أول 976م

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بأن الاستعدادات اللازمة لأجل اليمن قد اكتملت، واشتروا السناجق والأوراق البيضاء ذات الطغرى التي أرسلت إلى القائد السابق مصطفى باشا، وأنه من المناسب الذهاب إلى اليمن براً و الخروج بـــ 2500 عسكر وان يصحب معه الكاشف حمزة وواحد من (mpimi) ، وإذا ما كان سيلزمه احتياطات أخرى يرسل دفترها، وأنه أرسلت 40.000 بندقية وكسور، وأن أمور اليمن قد سلمت إليه لفراسته ودرايته، وأن كل شيء تم إعداده، وعندما يصل بكلربكي مصر يكون التحرك على الفور.

ملحق رقم (26)

دفتر مهمة رقم 6/حكم رقم 292/ص537

18/ذي الحجة 978

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بأنه وصلت الرسائل وبها أن أمر الحفاظ على بعض الأماكن قد ترك لشريف مكة وأنه مكافأةً للإجراءات التي قام بها بهرام بكلربكي اليمن قد زيدت سالياناته 100.000 آقجه وكذلك فيما يتعلق بأحوال الحبشة وعليه تم قبول تعيينها لشريف وزيادة سلياتة البكلربكي بهرام وأنه كانت قد أرسلت قبل ذلك الأحكام المفصلة بالنسبة للحبشة. وضرورة إرسال القولية ذات البنادق التي أرسلت ناقصة إلى بكلربكي اليمن وكذلك المواجب وغيرها حتى مصر. ثم ضرورة العمل بصدد سعر احتياجات مصر واليمن وانتظامها والسعي بقدر الإمكان لإصلاح أمور الحبشة.

ملحق رقم (27)

دفتر مهمة رقم 6/حكم رقم 542/ص265

18 ذي الحجة 978

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بالخطاب الواصل من بهرام بكلربكي اليمن حول أنه عقب فتح اليمن والقيام بسحق العصيان الذي قام به مطهر منتهزاً فرصة التأخير في حصار قلعة كوكبان، فقد تم بعد ذلك السيطرة على الأمور كذلك بناء على إشعاره هو نفسه تم الإحسان عليه بسيف مذهب وخلعة فاخرة وزيادة سالياتة 100.000 آقجه وذلك مكافأة له على أعماله وأنه وجهت إليه ولاية اليمن وممالك مصر. على أنها من ملحقاتها. وكذلك فيما يتعلق بضرورة الحفاظ على البلاد والرعايا والعمل على زيادة الأموال وحسن إدارة العسكر وضبط الأمور باليمن وتأمين حاجاتها العسكرية والمالية والقيام بالمساعدات التي تلتزم للحجاز.

ملحق رقم (28)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 358/ص138

حكم بكلربكي اليمن

لما كان قد تم الإعلام فيما أرسل أنه لا يجب أن تعطى الإجازة إلى قولية مصر الذين يصلون بطريقة التناوب إلى الولاية من مصر المحروسة دون قيامهم ثلاث سنوات، فقد أمرت عندما يصل حكمي الشريف أن لا تعطى إجازة لمثل هؤلاء من قولية مصر الواصلين بطريق التناوب إلى ولاية اليمن دون أن يمكثوا بالخدمة ويعملوا ثلاث سنوات كاملة، أما من يقضون منهم ثلاث سنوات كاملة يمكن إعطائهم الإجازة، وأيضاً إذا ما لزمت طائفة القول لأجل المناوبة تقوم بإعلام بكلربكي مصر حتى يقوم على تسجيلهم كما هي العادة من قديم ويرسلهم إليك، وما يتقاضاه قولية اليمن من علوفة تتقاضاه بنفس الصورة طائفة القول القادمة من مصر هي الأخرى فتتصرف فيها.

ملحق رقم (29)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 603/ص 217

حكم إلى بكلربكي اليمن

لقد تم إرسال بكلربكي الشام وزير مصطفى باشا في الظروف الحالية بقدر كاف من العسكر لأدل تأديب الأعداء أهل الفساد بعناية الله ورفع فسقهم من الولاية وفتح الولاية بعد استيلائهم عليها، وقد أمرت عندما يصل بمشيئة الله تعالى أن تقوم أنت الآخر مع المشار إليه بالعمل بمهمة الاتفاق والاتحاد في الخدمة وأن تكون معه قلباً واحداً ورباً واحداً في أمر الدين وكل الأمور التي تتعلق بدولتنا الهمايونية وبالصورة التي يراها المشار إليه مما سبق وأن تجتهد في عمل كل ما يبيض الوجوه والقيام بالخدمة وقد سمعنا أن البكلربكية السابقين يأخذون من الرعايا كل ثلاثة شهور العسل والزيت والتركة فيجمعونها ويبيعون الكشفيات التي مقدارها 1000 ذهب على الميرى بـــ 4000 ذهب، ولأن الكاشفين أيضاً يتعددون على الرعايا عمداً والأمر كذلك فإنني لست راضياً على الإطلاق عن مثل ذلك.

ملحق رقم (30)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 8240/ص291

حكم إلى حضرة الوزير مصطفى المرسل للخدمة باليمن

لقد تصدقنا عليك الآن بالوزارة بمائة ألف آقجه (×12 رمة) أملاك خاصة ولما كان ذلك بالفعل وتحت تصرفك أملاك خاصة بمائة ألف آقجه (×10مرات) فقد صدر الفرمان أن تصرف الــ 200.000 المذكورة نقداً من خزينة مصر، وغير ذلك فإنه لأجل السردارية (قيادة الجيش) تكون العادة أن تصرف 200.000 آقجه فضلة همايونية، وقد أرسلت من عتبتنا العليا كما أرسل مبلغ السردارية 200.000 فصلاً عن عشرة آلاف فلورس ساليانة أيضاً أمرت أن تصرف من خزينة مصر، وفي هذا الصدد تم إرسال حكمي الشريف إلى بكلربكي مصر وأمرت أن تأخذ الخلعة الهمايونية فتلبسها وما عداها تقوم بطلبه من خزينة مصر وهو بالنسبة للـــ 200.000 أقجه التي صدر الأمر بصرفها نقداً و الــــ 200.000 آقجه التي تم الأمر بها لأجل السردارية والساليانة ذات الــ 100.000 وتقوم بعد ذلك في الخدمة التي أمرت بالقيام بها بكل أنواع المساعي الجميلة.

ملحق رقم (31)

دفتر مهمة رقم 7/رقم الحكم 825/ ص291

حكم إلى بكلربكي مصر

لقد صدرت العناية بالوزارة ومرتب 100.000 آقجه (12 مرة) على وزيرنا مصطفى باشا المرسل إلى جانب اليمن حالياً، وتحت تصرفه أموال خاصة تقدر بـــ 100.000 آقجه (10مرات) وصدر فرماناً أن يصرف له نقداً من خزينة مصر 100.000 أقجه (12 مرة).

وعدا ذلك فإنه لأجل السردارية تصرف الخلعة الهمايونية والــ (200.000 آقجه) فأرسلت الخلعة الهمايونية من ركابنا الهمايوني أما مبلغ السردارية فقد أوحى بصرفه من

خزينة مصر، وحتى هذا الصدد أرسل حكمي الشريف على المشار إليه. وأمرت عندما يصل (حكمي) فإنه إذا ما قام وزير المشار إليه بإرسال رسول بطلبها الـــ 200.000 ومبلغ السردارية 200.000 آقجه والساليانة 100.000 تقوم بتسليمها له، وبالنسبة للعساكر الذاهبة الآن إلى اليمن يلزم دائماً لإرسال الآلات والمؤن والأسلحة، وأمرت أن تقوم على عدادها فترسل متوالياً إلى هناك الأسلحة والمؤن بالسفن ولا تضيع دقيقة في الإقدام على ذلك والاهتمام به.

ملحق رقم (32)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 611/ص220

لقد أرسل إلينا أمراء اليمن رسالة أخبرونا فيها أن بكلربكي صنعاء رضوان باشا بعد أن ذهب إلى هناك قام شيخ العرب مطهر بالهجوم على ولايات صعده وعمران وحيمة الطور وكثير من القلاع واستولى عليها وحوصرت كذلك العساكر في صنعاء وقام القائد على تلك العسكر وهو (محمد) دام عزه بإرسال خطاب إلى بكلربكي اليمن مراد باشا فطلب منه المساعدة فقام المشار إليه مراد أيضاً بجمع العسكر فلما سار إلى قصبة تسمى ديار من توابع صنعاء، فأرسل بقدر من العسكر عدة من الأمراء إلى صنعاء فلما توجهوا إليها قام المذكور مطهر مع مفسد يدعى حسين وسار على هذا القدر من العسكر فقطع طريقهم وحدثت حرب طاحنة واستشهد فيها عدد من الجنود، وعند عودتهم قام مراد باشا أيضاً مرة أخرى بالسير عليهم فقطعوا الطريق عليه هو الآخر وحدثت حرب واستمرت يوماً وليلة سقط فيها عدد من العساكر، أما هو الآخر فقد فُقد أثناء الحرب وعادت العسكر الباقية.

والأمر كذلك، فإن الولاية المذكورة أمكن لنا فتحها بقوتنا القاهرة الخسروانية منذ زمن طويل، وإنما حدث هذا نتيجة لتعدى البكلربكية على الرعاية وإهمالهم حتى أصبحوا أعداء لأهاليها وعلى هذا النحو باشروا الفساد مما صار باعثاً على الثورة، وعلى هذا فإن

إصلاح أمر هذه الولاية ودفع الفساد والفتنة عنها إنما هو مرادنا الشريف، ولما كان لك من وافر القرية عندنا والكياسة وفرط الشجاعة والشهامة واعتمادنا الهمايوني في حسن تدبيرك وإدراكك فقد أمرت لأجل دفع ورفع الفتنة والفساد الواقعين حتى الآن في تلك الولاية أن تنهض وتصل إلى هناك على وجه السرعة ومعك أربعة أمراء شجعان من الأمراء المصرية و 400 نفر من متفرقة مصر وجاويشيتها و200 نفر من الجونلية مع أغواتهم و 1000 نفر من انكشارية مصر ومن الزعماء وأرباب التيمار والانكشارية بالشام بالقدر الذي تريده.

وعندما يصلك (هذا الحكم) لا تتوقف على الإطلاق، وسجّل بالقدر الذي تشاء من انكشارية الشام والزعماء وأرباب التيمار بها، ومن الشام عليك بأعداد كل ما يلزم هؤلاء من سلاح وعدة ومهمات ولوازم وكل ما يقتض ذلك سواء كان بالوصول إلى مصر ومنها إلى هناك أو من الشام مباشرة الوصول إلى مكة المكرمة بطريق الحجاج أيهما أسهل عليك أن تذهب منه وتصل بأقرب سرعة منه. بحيث أن تسير مباشرة من الشام فتخبر بكلربكي مصر حتى يقوم هو الآخر بإرسال العساكر المعينة لذلك مع عثمان باشا بكلربكي صنعاء فيلتقيا بل عند مكة، وإذا كان الذهاب من مصر هو المناسب فعليك به، وسواء الأمراء وسراء المتفرقة أو الجاوشية الجو ثانية والانكشارية عليك بترتيبهم جميعاً مكللين بسلاحهم وعددهم وتهيئتهم للحرب ثم عليك أن تتوكل على الله بعنايته جل وعلا وتتوسل إلى دليل الكائنات عليه الصلاة والسلام فتتوجه إلى ولاية اليمن وتبلغها فتطلع أولاً على أوضاع وأحوال الأعداء السيئ الرأي والفكر. وسواء كان بواسطة قواتنا القاهرة الخسروانية، وسواء كان بالاستمالة ولتدمير عليكم بتحصيل كل ما يبيض الوجوه بحق الاتحاد والاتفاق في أمر استخلاص ما استولى عليه الأعداء سواء كان من الممالك المحروسة وسواء كان القلاع حتى الآن وبالجملة عليكم بالجد والإقدام والتمنطق بالغيرة والحمية على كل الصور من كل ما يتعلق بالدين وبدولتنا الأبدية وأنت بعد استرجاع الأماكن التي تم الاستيلاء عليها كما كانت بعناية الحق جل وعلا عليك أيضاً أن تقوم بفتح

وتسخير الكثير من الأماكن من بلاد وولايات الأعداء وتقوم على تأديبهم بصورة من الصور وحتى يقع الخوف والخشية في قلوب الأعداء الآخرين تكون الطاعة والانقياد من الجميع ويكون ذلك باعثاً على الكثير من الفتوحات وفي هذا الصدد أرسلت الأحكام الشريفة إلى شريف مكة وأمير جدة حتى يقوما بإعداد 100 جمل و 500 بحام وذلك لأجل العساكر الذاهبة ويرسلا الألجمة إلى الطور كما أرسلت الأحكام الشريفة إلى بكلربكي مصر لأجل إعداد العسكر التي ستذهب ومهماتها ولوازمها، وإلى أنما الجونلتيّة الذي يصحبك إلى هناك وإن شاء الله تعالى عندما تصلون وتلتقون بالولاية المذكورة تكونوا على تمام التبصر والانقياد فتطلعون تماماً على أحوال وأطوار الأعداء السيئ الفعال وتعلموا من أمر فكرهم الفاسد وخيالهم الكاسر، وعلى ضوء ذلك أيضاً يكون القيام بمباشرة الأعمال، وأن تحذروا من الغفلة معاذ الله تعالى واتخاذ ما يضر بعرض وناموس السلطنة. وإن شاء الله الأعز الأكرم تصلون إلى هناك وتصلحون أمر هذه الولاية كما هو المراد ولتعلم أنه عندما تقدر لك العودة سيكون مقرراً لك من عنايتنا الأضعاف المضاعفة مما تقع بخاطرنا.

والغالب أن البكلربكية يستولون جبراً على الزيت والعسل وسائر التركات من الرعايا حتى كان ذلك باعثاً على أن يدبر أهالي هذه الولاية وجوههم عن جند الإسلام ويقوموا بالثورة على هذا النحو وأنهم يعطون العسكر 1200 عثماني (عمله) حتى ضعفت العسكر كما أن البكلربكية يأخذون من الكاشينات التي تقرر لها 1000 ذهب- 4000 ذهب (عملة)، وأنهم يرسلون إلى الهند كل عام 200 حصان ويبيعوها هناك.

والأمر كذلك، عليك أن تقوم بالتنبيه على البكلربكية هؤلاء حتى لا يأكلوا السحت مجاناً من الرعايا بعد ذلك، ولا يستولوا من الأهالي على الزيت والعسل وسائر التركات، وكل ما يأخذونه عليهم أن يأخذوه بثمنة، ولا تجعلهم يأخذون شيئاً من الكشافة يزيد عن حقهم، ولا يتعدوا على الرعايا وألا يرسلوا الخيول إلى الهند، وإذا ما كانوا قد استولوا على شيء من الذهب أيام اوزيتمور عليهم أن يعطو المقرر ولا يأخذوا أزيد من ذلك،

بحيث إذا ما قام أحدهم باقتراف شيء مما تم منه لا يعطى له مجال ويعزل ويتم تأديبه حتى يكون التقيد بذلك وتخبرنا أنه هذه البدع قد أزيحت عن الرعايا والعسكر، وهذا ما يلزم في صدد صلاح أمر هذه الديار الجلية الاعتبار والعظام أحوالها. وهذا ما قوضناه لرأيك المصيب وعليك أن تعمل حسبما يقتضيه المحل.

وقد صدر أمري أن يرسل كلاً من قبطان الإسكندرية السابق (قوروا وغلى خفر) دام عزه من البحر بخمس عشرة قطعة قادرغية مع قبطان السويس (محمود) دام عزه ويخرجا إلى (مخا) Muha فيتواجد بالخدمة على الشكل الذي تراه مناسباً كما صدر أمري أن ترسل عدد 30 رام و 1000 بندقية وما يلزم ذلك من البارود والفوائد ق والقدر الذي تأخذه من انكشارية الشام تسجله وتخبرنا بعدده حتى يتم إرسال فرانداثية القول تبعاً لذلك، والأمل أن يكون الفتح والفتوح وبياض الوجوه من نصيبنا بعناية الباري وأن ينتصر أولياء الدين والدولة وينهزم وينقهر أعداء الملك والملة.

وتم إرسال 2000 بندقية إلى مصر لأجل التوزيع وحتى ترسل إلى اليمن مع 100.000 فوائد ق (50 مرة) صدر أمري الشريف قبل ذلك إلى بكلربكي مصر لأجل إرسالها. وأنت عند الوصول عليك بتدارك أمر الجمال والخيول والسفن، وإذا كنت لن تذهب من مصر وتتوجه مباشرة إلى هناك عن طريق الحجاج عليك أن ترسل قبل ذلك هذا الحكم أو عليك أن تتصرف أنت بالوجه الذي يناسب، وأي مقدار من الانكشارية تصحب معك فقد أرسلت حكمي الشريف إلى دفتر دار الشام حتى يقوم بصرف مواجب ستة لها ويرسل ما يلزم عداء ذلك من اللوازم والمهمات للحرب فتطلبها وتتسلمها وتعطي للعسكر كما صدر أمري أيضاً بأن يعطى من الشام لأجل هؤلاء 3 (سراير) و 10 (قطع نبل) و 10 خلع سوداء اللون، تأخذها أيضاً وأمرت أن يتم أيضاً إرسال 50 قطعة مدفع من السويس بالسفن وأنه لأجل لوازم الحج فإنه بأي صورة كانت الاستعدادات قد تمت حتى الآن عليك أن تعيد إعدادها ثانية وعليك التنبيه كما يجب على من يوجد هناك سواء من السباهية أو الانكشارية أو غيرها حتى يكونوا على كمال ا لطاعة عند وصول

بكلربكي فرمان المعين لأجل المحافظة على الحج فيتواجدوا بالخدمة بالشكل الذي يراه مناسباً وقد أرسلنا مما يلزمك عدد 50 ورقة بيضاء ذات نشان وعدد 50 ورقة ذات نشان مذهب .

فإذا تقرر ذهابك مباشرة ولزم تنصيب المدافع عليك أن تقوم على تنصيبها نجمه من الضربين وأن يأخذ بكلربكي فرمان الضاربين إلى مكانهم ويذهب بهم بناءً على أمري.

إن ولاية اليمن هي بلد وولاية تم فتحها منذ القديم بواسطة قواتنا القاهر الخسروانية فلما كانت ضمن مضافات ممالكنا المحروسة وعزل عنها البكلربكي رضوان ومضى، خرج عليها مفسد يدعى مظهراً مع كثير من أشقياء العرب يدعون أن الولاية خالية، فاستولى على بعض القلاع والنواحي قاصداً توجيه الاهانة إلى أهل الإسلام، ولما كان من اللازم تأديبه والنيل منه كانت من النية والتصميم على إعداد العساكر بلا عد وحصر والمركب التي آثارها النصر من ولاية الشام ومن مصر وإرسالها إلى هناك من البحر والبر وإذا كان الأمر كذلك أو يلزم للجنود الموجودين والعساكر المتصورين سردار (قائد) عظيم الاقتدار ورئيس للجيش عالي المقدار، وكان وزيري الحالي أمير أمراء الشام الدستور المكرّم إلى آخره وزيري مصطفى باشا يسر الله له ما يري وما يشاء له من الفوز والقرابة والشجاعة وفرط الكياسة والشهامة ما يجعله مربوطاً باعتمادنا الهمايوتي، فقد أمرت بتعيين المشار إليه سرداراً على الجنود التي بعدد النجوم والعسكر التي شعارها النصر وأعطيته هذه البراءة الموصوفة بالفوز في كل غاية.

وقد أمرت بناءاً على فرماني هذا الجليل القدر أن لا تتأخر أو تتراض لحظة، فتتوكل على عناية الحق جل وعلا في كل غاية وتتوسل بالمعجزات الكثيرة البركات لدليل الكائنات والموجودات عليه أفضل الصلوات والتسلمات وتتوجه إلى الولاية المذكورة ومعك العساكر المعينة، وعندما يتم الوصول وتلتقون هناك تتحرى وضع الاستعداد للأعداء وتتجسس أحوالهم وأطوارهم وفكرهم الفاسد وخيالهم الكاسد، فتقف عليها تمام الوقوف، وتنظر بناءاً على ذلك أمر استعداداتك وسواء كانت القلاع والنواحي والقرى

التي استولوا عليها حتى الآن وسواء كانت الأماكن الأخرى التي يمكن لك فتحها وتسخيرها فإن عليك الشروع بالترتيبات الممكنة المتنوعة والمقدمات، وسواء كان مع بكلربكية اليمن أو الشام عليكم القيام بأنواع الخدمات والرفاقات بالوجه المناسب من الأمور التي تخص دولتنا الهمايونية وفي أمر الدين تكونوا قلباً واحداً ورأياً واحداً مع العساكر الوفيرة بحسن الاتحاد والاتفاق، وتسعوا وتقدموا على كل ما يجعل الوجوه بيضاء وسواء كان البكلربكية المشار إليهم وسواء كان الزعماء وأرباب التيمار والانكشارية الذاهبين من الشام أو المتفرقة المعنيون من مصر والشاويشية والانكشارية والجوتلية، وعدا هؤلاء أيضاً القباطنة والرؤساء المعنيون بالأسطول الهمايوني المرسل من البحر، وسائر الخلق، وبالجملة جميع ا لعساكر المقرونة بالنصر، صغيراً وكبيراً عليهم جميعاً أن يعلموا أن المشار إليه قد عين قائداً ورئيساً للعسكر عليهم فلا يخالفوه بوجه من الوجوه أو يعترضوا على أوامره، وأن يتواجدوا بالخدمة حسبما يراه هو مناسباً، وأن لا يعط مجال كل من خالف وعاند ويتم تأديبه، ومثل ذلك يجب توجيه المعاشات والترقيات لمن يستحقون ممن يتواجدون في الخدمة والرفاقة سواء كانوا من الزعماء أو الأمراء أو أرباب التيمار أو سائر طائفة القول، واعلم أن ما يُوجه لمن يتسابقون للخدمة عن طريقنا الهمايوني ويقومون بالرفاقة (في الحرب) من سنجق أو غيره وسيكون مقبول أمرنا الشريف وبناءاً على ذلك فإن على كل فرد أن لا يتنحى عن غيرته وحميته الإسلامية فيبذل كل ما في جهده في سبيل الدين وكل الأمور التي تخص دولتنا الهمايونية وذلك حتى يكون الظفر والنصر لأولياء الدين والدولة على الدوام وتكون الهزيمة والقهر لأعداء الملك والملة على مدى الأيام.

ولكن سواء في الذهاب أو عند الوصول يجب على المشار إليه أن يكون على كمال البصيرة والانتباه عند مباشرة تأديب الأعداء، عليك أن تجعل يحترز ويجتنب من صدور أو يخالف العرض وناموس السلطنة أو يغفل عن العدو سواء من البر وسواء من البحر حتى يكونوا على الدوام متيقظاً منتبهاً.

ملحق رقم (33)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 614/ص2260

حكم إلى بكلربكي مصر

لما كانت الثورة قد قامت في ولاية اليمن في الظروف الحالية وكان يلزم لأجل دفع ورفع فتنة وفساد الأعداء إرسال العساكر فقد تم تسجيل وإرسال 4000 من أمراء مصر و400 من متفرقتها و200 من شاوشيتها و 100 نفر من طائفة الجوتلية مع أغواتهم و500 من سده سعادتنا من القول فراندش إلى هناك وذلك بعد تعيين قائد عليهم. كما صدر أمري بتعيين 1000 نفر من الانكشارية من فتيان مصر القدامى ومن الجوتلية الحاليين كذلك تعيين قائد شجاع لكل من المتفرقة والشاوشية والانكشارية على أن يرسلوا معه (؟) فإذا كان من المناسب أن يذهب المشار إليه من طريق حج الشام بصورة مستقلة ثم يذهب من هناك بعد ذلك ويكون اللقاء في مكة المكرمة مع أوزدمر أوغلو والعساكر الذاهبة من مصر.

وقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تتقيد به بنفسك فتقوم بالتفتيش على جميع المتفرقة والشاوشيه وطائفة الجوتلية وعليك أن تقوم بتسجيل 400 نفر من المتفرقة و200 نفر من الشاوشيه ويتم قيدهم بالدفتر وتعيين عليهم قائداً كما أنه عليك أن تقوم بتسجيل 1000 نفراً أيضاً من طائفة الجونتليه مع أغواتهم وترسلهم إلى المشار إليه. فتعطي صورة من الدفتر إلى المشار إليه ثم تقوم بتمهيرُ صورة أخرى فترسلها إلى سده سعادتنا وتحفظ بصورة ثالثة منه هناك. ثم عليك ألا تدع فرصة لأحد حتى يعاند أو يخالف. وقد أرسل من عتبتنا المعلاه 1300 نفر مع أغواتهم وكذلك من الانكشارية و600 نفر من الانكشارية القائمين بالمحافظة على مصر وعليهم عند الوصول أن يقوموا بالدفاع عن البلاد بالوجه المناسب كذلك يعطي ترقيه 25 آقجه لكل واحد من الأمراء المعنيين وترسل لنا أنهم أرسلوا وتم تسجيلهم وأنهم مستعدون بحيث إذا قام واحد من الأمراء أو المتفرقة أو الشاوشيه المعنيين والمسجلين بالعناد في الذهاب أو المعارضة لن يكون على الإطلاق

لعذرهم أي قبول فتقطع عليهم معاشاتهم ويتم تأديبهم وبذلك عليك أن تكون ملتزماً بهذا الأمر.

كذلك عليك أن تقوم بإرسال مواجب سنة لكل من المتفرقة الذين تم تعيينهم والشاوشيه والكديكلو والانكشارية كما أنه عليك بتدبير وإعداد زادهم وزوادهم وترسلها إلى الأماكن التي يمكن حملهم بواسطة السفن حتى لا يقعوا في ضيق من ذلك كما أنه قد تم إرسال 2500 بندقية، عليك أن ترسل منها 2000 إلى اليمن وتحتفظ بـ 500 هناك (أي في مصر) فترسل منها المقدار الكافي حتى تكون جاهزة عند وصول العساكر كما أنه تم إرسال حكم إلى شريف مكة لأعداد الإبل للعساكر عليك أن تقوم بإرساله إليه على الفور حتى تكون جاهزة هي الأخرى. ليذهب بكلربكي الشام من طريق فتح الشام إلى مكة المكرمة مرسلاً إياه مع أوزدمير أوغلوا عثمان دام إقباله الذي هو بكلربكي صنعاء مع العساكر التي تم تعيينها حتى يتم الوصول والالتقاء في مكة المكرمة وجمله عليك أن تقدم بالإعداد التام لمؤون العساكر الذاهبة سواء كان بالبر أو بواسطة السفن فترسلها وافية مستوفية وكان قبل ذلك قد تم تعيين (ح) قبطان إسكندرية السابق بخمسة عشر قطعة من سفن السويس ومحمود قبطان مصر والسويس دام عزه. ولما كان أمر اليمن من أهم الأمور في الظروف الحالية فقد صدر أمري بالذهاب إليها دون تأخر نظراً لذلك عليك تنظر ما يلزم هؤلاء من مهمات ومعدات وترسلها على الفور حتى يصلوا ويكونوا على استعداد لمعاونة المشار إليه في مُخا ويتواجدون في الخدمة لدى وصولهم بالصورة التي تكون مناسبة وبشأن مؤون العساكر الموجودة في عدن قد سمعنا أنهم يعانون الضيق في ذلك فإذا كان ذلك صحيحاً عليك أن تقوم بتدبير مقدار من المؤون وتسعى وتجتهد في أمر إرسالها على وجه السرعة. ويقال أن نظار الدشيشة لم يقوموا إلا بإرسال نصف المقرر منها إلى الحرمين الشريفين وأهملوا ذلك الأمر. وعليك أن تنظر هذا الأمر بنفسك حتى يقوموا بإرسالها في وقتها كاملة. ولم كان البارود أيضاً مهماً عليك أن تقوم على أمر تضيعه دون توقف.

ملحق رقم (34)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1332/ص460-461

حكم إلى بكلربكي اليمن

لقد أرسلت إلى عتبتنا المعلا خطاباً أخبرتنا فيه بالرسائل القادمة في شهر شوال من شريف مكة وأمير جده عما أخبراك به بشأن عدن كما عرفت أن يرسل حكمنا الشريف إلى بكلربكي مصر بشأن إرسال السفن والغلايين وعدد 2 مواجب سنوية وكذلك الدفاتر السنوية. وكل ما ذكرته في ذلك قد عرض علينا تفصيلاً وأحاط به علمنا الشريف والأمر كذلك فإنه يوجد هناك بالفعل عدد من سقنة كما أرسل عدا ما هو موجود هناك من العداد والمعدات الجاهزة قدراً وافياً من الأسلحة من عتبتنا المعلا. إذ تم إعدادها وهي على وشك الوصول ويلزم أن تنزلوا إلى السفن مع العساكر بالقدر الممكن وبصحبتك حسن كرد أوغلو قدوه الأمراء الكرام وصفر دام عزه فتصلوا إلى ا لمحل المأموريين بالوصول إليه فالوقت ليس وقت التأخير والتراضي على الإطلاق وقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تقوم بناءً على أمري مع قدر كافٍ من العسكر وأمع المشار إليه صفر دام عزه فتنزلوا إلى السفن وتدركوا جانب الأعداء حتى يقع الرعب افي قلوب الأعداء مع وصول العساكر القادمين لتلك المهمة. حتى يرفعوا أيديهم من الآن عن البلاد. والآن يرى أن مواجب سنة تقريباً كافية فإذا ما كانت الحاجة إليها بعد ذلك يمكن إرسالها وعليك أن تجد وتسعى في الحال بحسب ما هو مغروس في جدلتك وما هو مراكوز فيها من غيره وحميه فاجتهد في تحصيل كل ما يبيض الوجوه في سبيل دولتنا الهمايونية وإنشاء الله وتعالى تسترد البلاد من يد الأعداء وينتظم أمر الرعايا والبرايا فإذا ما تمت المصلحة وتسير أمرها يكون من نصيبك بكلربكيّن فعليك ألا تدع فرصة للعدو فيلحق الضرر بالولاية وما دمت غلى قيد الحياة تسعى وتجد في ضبط وحراسة الرعية. كذلك عليك ألا تضيع دقيقة في أمر التفاهم بحسن التدبير مع شريف مكة المكرمة ومع هذا القدر من العسكر لا يجوز لك أن تكون على ثقة وألا تغفل ذلك وألا تتخلى عن حسن التفاهم وبعناية الحق فعليك بالوقت الذي

تقوم به بمحاصرة عدن أن تترك حسن بك بالمحافظة على زبيد فإذا ما تسير إتمام المصلحة، فتفقوا وتتحدوا كما يجب وتسعى لإظهار المساعي الجميلة في أمر دفع ورفع الأعداء أما بشأن المواجب أو العسكر أو المؤون والمعدات فهي في الطريق إليك باستمرار وسأرى خاطرك فكن فتياً واذهب على وجه السرعة.

ملحق رقم (35)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1346/ص 467

الوزير مصطفى باشا

لما كان يلزم الاحتفاظ بقدر كافٍ من السفن الذاهبة معكم ومع القبطان موسى ومحمود دام عزه وبكلربكي اليمن دام إقباله للقيام بأمر المحافظة في بندر اليمن وإرسال الجزء الباقي منها إلى السويس لإعداد المؤون وتحميلها عليها فقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تأمروا بالاحتفاظ بقدر كافٍ من السفن التي ستذهب معكم ومن السفن الذاهبة إلى هناك مع المشار إليهم لأجل المحافظة في بندر اليمن وأن تقوم بإيصال ما تبقى منها إلى السويس فتأمروها بحمل المؤون ثم تذهب قبل فوات المواسم وتسعى وتجد أكثر مما هو مأمول في صدد الوصول بها إلى المحل المذكور فتخبرنا بعد ذلك في يوم تقرر خروجها وبأي صورة ثم إعدادها.

ملحق رقم (36)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1843/ص 460

يوم الاثنين 5 ذي القعدة

حكم إلى بكلربكي مصر

لقد أرسل إلينا حالاً أمير الأمراء الكرام بكلربكى اليمن عثمان رسالة طلب فيها أمرنا الشريف لأجل أن يقوم القادرون على الخدمة باليمن من الأمراء الموجودين بمصر والكشافين والمتفرقة والشاوشية والبلوكات حتى يقوم بالخدمة في اليمن كما طلب إلينا أن

يذهب بصحبته إلى اليمن ويلحق إلى بلوك عتبتنا المعلاة مصطفى ذو العلوفة اليومية 35 آقجه وأحد متفرقة مصر بدعوى أنه يليق بالخدمة هناك ولما كانت الخدمة للحرب من الضرورات فقد عرض أيضاً أن يصرف له من خزينة مصر وعلى سبيل الاقتراض 50.000 التون. وإلا كذلك فقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن يذهب مع المشار إليه هؤلاء القادمون على الخدمة لأجل اليمن ثم يحصل بعد ذلك على القدر الذي طلبه من المال من خزينة مصر وإن لم يكن بها كان عليك أن تأخذ القدر الكاف من الذهب بطريق الاقتراض من خواصات مصر وإن شاء الله يؤفي مرة أخرى. أما عن أمر إبراهيم آغا القولية الموجود بالخدمة والمحافظة بالمدينة المنورة فالناس غير راضين عنه لأنه يطمع في عليق القولية المسجلة ومعاشاتها. ويقوم على سلبها ونهبها فلا يوجد نصف من تم تعيينهم لأجل المحافظة لهذا السبب لزم عزله ولزم أن يُرسل شخص صالح مستقيم بدل منه يليق بالخدمة فيعين بدلاً منه وعليك أن تؤكد عليه على حسن الاستقامة فيحفظ أمر القوليه الموجود بالخدمة كما يجب ويحذر من السلب والنهب حتى لا يشكو أحد من قوله وفعله.

ملحق رقم (37)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1508/ص527

حكم إلى بكلربكي مصر

لقد أرسل وزيري مصطفى باشا المعين للخدمة في اليمن خطاباً إلى عتبتنا المعلاه أعلمنا فيها أنه ما لم تخرج قافلة الحج الشريف وما لم تصل 100.000 التون المأمور صرفها من حلب بأنه لن يكون من الممكن التوجه إلى مصر، وأنه لما كان القحط القوي كان قد عم الولاية فقد حدث التأخر والتوقف وأنه أرسلوا الزعيم المدُعى ملا آغا قبل ذلك إلى مصر لأجل إعداد بعض المهمات وأنه توجد الآن 14 قادرغه و3 غلايين جاهزة كما عرض علينا أن كل قادرغية تستوعب 50 رجلاً وأن كل غلوين يستوعب 500 رجل فيكو جملة الرجال 2700 رجلاً وأنه سيتوجه إلى مصر في اليوم السابع عشر من شهر

ذي القعدة وأن كل ما ذكره قد عرض علينا وصار بتمامه من معلومنا الشريف. وقد صدر الأمر بتعيين بكلربكي فرحان لإخراج قافلة الحج الشريف والقيام بحفظ ولاية الشام كذلك فإن الذهب المطلوب من حلب كان من الممكن التصرف في أمره والمراد التأخر والتوقف بهذه الحجة إنما هو ناشئ من الإهمال والتكاسل ولم يعد هناك وقت إذ مضى زمن طويل منذ أمرت لهذه الخدمة وكان عليك أن تقوم بإرسال عثمان باشا إلى ولاية اليمن بموجب أوامري العلية التي أرسلت قبل ذلك فيصل بالسفن المعدة كما كان مناسباً أيضاً أن تصل أنت الآخر مع العساكر المنصورة، وفي هذا الصدد كان قد أرسل إلينا قبطان الإسكندرية خضر دام عزه دفتراً أخبرنا فيه أنه توجد 22 قادرغه وما تعرضوه في هذا الصدد ليس بمقبولنا على الإطلاق إذ أن الانتهاء من أمر إصلاح ولاية اليمن قبل فوات الموسم الحالي بعناية الله هذا العام من أهم الأمور وقد أرسلت إلى الأمير المشار إليه وإليك أحكامنا الشريفة فتقوم بإرسال السفن المحملة بالأخشاب اللازمة لخمسة قطع قادرغه أمُر بإعدادها في ميناء بياس وترسلها بعد ذلك إلى بندر السويس كما تقوم بإعداد سفن الخيول التي صدر الفرمان بها وغيرها من السفن ولا يلزم في سائر الخصوصات التأخر أو التوقف وفي صدد إتمام المصلحة عليك أن تكون ملتزماً بكل الصور حتى لا يبقى للمشار إليه مجال في عرض اعذارة ويتم الوصول من زمنة ووقته إلى المحل المأمور (الوصول إليه) فينهزموا بعناية لاحق أعداء الدين والدولة وتنتظم أمور الولاية والبلاد و لأنه يلزم مقدماً إرسال قدر من العسكر من عثمان باشا حتى يقع الخوف والرعب في قلوب الأعداء وتقوى قلوب العساكر هناك ولما تم سؤال القباطنة الموجودين في سدة سعادتنا من أهل الوقوف من أمر ما يمكن أن تحمله كل قادرغه من الرجال كان الجواب أنها تحمل أكثر من 200 رجل وعلى هذا التقدير يتم تحميل القادرغات الموجودة بالعسكر وتحمل الغلايين قدر كافٍ من البقسماطات وباقي اللوازم والمهمات وفي النهاية بوضع 50 رجل لحفظ السفن بينما ينزل الباقون إلى البر وقد كان المقصود هو إرسال العسكر حتى هذا الوقت إلى الولاية المذكورة مره أو مرتين ولأن نتيجة التساهل والإهمال

في هذا الصدد إنما ترجع إلى الغفلة والتساهل فقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تكون متيقظاً ليلاً ونهاراً في هذا الصدد ولا يجب أن يصدر منك على الإطلاق أي تقصير في هذه الخصوصات التي أمرت بها وسواء كان بخصوص السفن والمؤون أو إرسال العسكر مسبقاً إلى الولاية المذكورة فإنه عليك أن تلتزم كما يجب في هذا الأمر وتجتهد به ولن يكون هناك مجال للعذر والتواكل على الإطلاق عندما يصل المشار إليه ويتم الوصول بعناية الحق جلّ وعلا إلى المكان المشار إليه وتيسير لنا كل أنواع الفتوحات وكل ما يبيض الوجوه والمقرر في هذا الصدد إظهار الشهامة والجد في سبيل خدماتنا الهمايونية وبناءً على هذا عليك التنبيه على القولية الموجودة في مصر وسائر العسكر المتصورة وأن تكون على كمال التبصر والانتباه فافعل ما شئت والمهم أنه قبل فوات موسم هذا العام يتم رفع ودفع اختلال تلك الولاية وأن تسعى وتُقدم كثيراً في صدد انتظام أحوالها بعناية الحق وأن تحذر من عرض الأعذار والحجيج. إذ أن اعتمدنا الهمايوني من كل وجه على حسن تدبرك وفكرك وفراستك وبناءً عليه عليك أن تكون شهماً مجداً من باب الإقدام والاهتمام.

ملحق رقم (38)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 44/ص11

غرة صفر 975

حكم إلى بكلربكي اليمن مراد باشا:١

فيما يتعلق بأن رضوان باشا بكلربكي صنعاء يتنازع مع أبناء الإمام وسائر القبائل بلا فائدة وأن العربان ينصرون عليه وانتزعوا قنفذة وسائر الأماكن، وأن البكلربكية هناك ليس لهم هم سوى جمع المال ومن المؤكد أنهم يظلمون الأهالي. وحتى الأموال التي يرسلها رضوان باشا تصادر هناك وأنه هو نفسه ليس في نية أمر جمع المال وأنه يعامل الناس بالرفق والعدالة، وعلى العكس فإن المال الذي يجمعه حسب منصبه سوف يؤخذ من يده.

ملحق رقم (39)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 358/ص139

17 ربيع الآخر 975

حكم إلى بكلربكي اليمن

فيما يتعلق بأن القولية الذين يرسلون بطريق التناوب من مصر إلى اليمن لا يجب أن يعطي لهم الإذن ما لم يقضوا بالخدمة ثلاث سنوات وأن يعطى الإذن لمن أكمل منهم ثلاث سنوات وإذا لزم الأمر لبعض القولية الجدد يسجلوا بواسطة بكلربكي مصر أيضاً وتصرف علوقاتهم على حساب مصر.

ملحق رقم (40)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 603/ص217

29 جمادى الآخر 975

حكم إلى بكلربكي اليمن

فيما يتعلق بأنه تم تعيين الوزير مصطفى باشا سرداراً (قائد) لأجل تأديب العصاة، وضرورة العمل معاً بالاتحاد والاتفاق وعدم ظلم الأهالي أو أخذ مأكولات بالمجال من أي شخص. (صورة منه إلى بكلربكي صنعاء عثمان باشا ابن أوزدمير).

ملحق رقم (41)

دفتر مهمة رقم 7

حكم رقم 699/ص252

13 رجب 975

حكم إلى حسن باشا بكلربكي اليمن

فيما يتعلق بأن مصطفى باشا والي الشام الذي وجهت إليه قيادة اليمن مع رتبة الوزارة قد خرج إلى ميناء زبيد في أوائل ربيع الأول وأن المكتوب الذي أرسله بشأن

أحوال اليمن قد وصل، وأن العساكر التي تم تعيينها إلى جانبه من استانبول ومصر والشام قد أرسلت وإن الذخائر والبارود والمهمات قد أرسلت قبل العساكر مع خمسة سفن: وإلى أن تصل العسكر يجب الاهتمام بحفظ البلاد وحراستها، وأنه قد أرسلت رتب إمارة السناجق والأغوات التي تم عرضها قد أرسلت الأوامر بصددها.

ملحق رقم (42)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 824/ص291

7 شعبان 975

حكم إلى حضرة الوزير مصطفى باشا المرسل للخدمة باليمن

فيما يتعلق بأن الوزارة وجهت بمرتب 100.000 آقجه (×12 مرة)، ولأن له خاصته (قراه الخاصة) نفسه 100.000 آقجه (×10مرات) فإن المتبقي وهو 200.000 آقجه سيؤخذ من خزينة مصر، ولأنه من العادة بالنسبة للقيادة (السردارية) أن يعطى خلعة و200.000 آقجه، فقد أرسلت الخلعة عيناً وهذه المائتا ألف آقجه أيضاً ستوصل مصر، وغير ذلك فقد سيصرف أيضاً عشرة آلاف فلوري كسليانة من خزينة مصر.

ملحق رقم (43)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 825/ص291

7 شعبان 975

حكم إلى بكلربكي مصر

فيما يتعلق بأنه قد عين للوزير مصطفى باشا المعين قائداً لليمن 100.000 آقجه (×12مرة) كمال خاص ولأن ماله هو نفسه الخاص (قراه) 100.000 آقجه (عشرة مرات) فإن الباقي يكون 200.000 آقجه وكذلك الـ 200.000 آقجه التي تعطى عادة على القيادة، وكذلك عشرة آلاف فلوى تصرف على أنها ساليانه، ستدفع من خزينة مصر، وكذلك ضرورة إيصال الذخيرة والمهمات إلى اليمن.

ملحق رقم (44)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 849/ص298

11 شعبان 975

فيما يتعلق بالخطاب العربي العبارة المرسل إلى الشيخ حيلص أحد مشايخ اليمن بشأن قيامه في إعداد الإبل اللازمة للعسكر المرسلة إلى اليمن.

(صورتان منه إلى كل من الشيخ عطية والشيخ العمري منجد)

ملحق رقم (45)

دفتر مهم رقم 7/حكم رقم 1348/ص468

5 ذي القعدة 975

حكم إلى بكلربكى مصر

فيما يتعلق بعدم منع عثمان باشا بكلربكى اليمن من أخذ عساكر المتفرقة التي يريد حملها معه إلى اليمن وغيرها، وإعطائه 50.000 ذي على سبيل الاقتراض، وأنه نظراً لشكوى الأهالي من المدينة من أنما القولية إبراهيم القائم بالمحافظة هناك يجب تعيين رجل متدين بدلاً منه.

ملحق رقم (46)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1465/ص509

26 ذي القعدة 975

حكم إلى مراد باشا القائم بالمحافظة بالشام

فيما يتعلق بضرورة إعداد 1000 نفر قواس على سبيل السرعة والتي أمر بإعدادها لأجل اليمن ثم يعين عليها ضابط ويرسلوا إلى هناك.

ملحق رقم (47)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2004/ص731

9 ربيع أول 976

حكم إلى بكلربكى مصر

فيما يتعلق بأنه إذا ما شاء سنان باشا الذي عين سرداراً لليمن أن يحمل معه من يتصرفون بمعاشات ثقيلة من مصر أو غيرهم لا يجب مما نعته من ذلك ثم ضرورة مساعدته من أمر الذخيرة وسائر الخصوصات.

ملحق رقم (48)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2005/ص731

9 ربيع أول 976

حكم إلى بكلربكى اليمن عثمان باشا

فيما يتعلق بأن سنان باشا بكلربكى مصر سابقاً قد تم تعيينه مع رتبة الوزارة على قيادة اليمن، وضرورة الاتفاق معه من العمل من كل خصوص.

ملحق رقم (49)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2006/ص731

9 ربيع أول 976

حكم إلى البكلربكية وأمراء السناجق والقضاة الواقعين على الطريق إلى اليمن

فيما يتعلق بتقديم العون للرجال المرسلين بتكليف إلى اليمن ومصاحبتهم بالأماكن المخيفة (ليتجاوزوها) والحفاظ عليهم بما معهم من أموار وحيوانات ومؤن.

ملحق رقم (50)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2007/ص732

9 ربيع أول 976

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بأنه يمكنه أن يحمل معه من يتصرفون على معاشات ثقيلة بمصر وبقدرتهم لاشتراك في الحرب والذهاب بهم، وأنه قد صدرت الأوامر البكلربكى مصر في هذا الخصوص.

ملحق رقم (51)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2015/ص735

11 ربيع أول 976

حكم إلى مراد باشا

فيما يتعلق بأنه علم أن مصطفى باشا لم يقدم دفتر الانكشارية والسباهية التي سجلها لأجل اليمن، وضرورة معرفة مقدار الانكشارية المسجلة لليمن. من آغا الانكشارية، وتسجيل رجال القواوغلية والقول قرنداش بشرط ألا يكونوا من طائفة الكريك المحلولة، وتعيينهم.

ملحق رقم (52)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2079/ص755

21 ربيع أول 976

حكم إلى سنان باشا

فيما يتعلق بأنه في الوقت الذي تم الأمر فيه بنفي كل من الشيخ عيسى وابنه عمر وابن أخيه شاهين إلى رودوس فقد جاء الخبر الآن أن الشيخ عيسى موجود بمصر وأن شاهين فر من الحبس، وضرورة البحث عن شاهين ونفيهم جميعاً إلى رودوس.

ملحق رقم (53)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2071/ص736

21 ربيع أول 976

حكم إلى الوزير سنان باشا :

فيما يتعلق بتسلم مصطفى باشا قائد اليمن السابق للأوامر المرسلة والأوراق ذات النياشين بتمامها، وضرورة تسجيل عسكر آخرين إذا لم تكن العسكر المسجلة غير كافية، ونقل البنادق المرسلة معه إذا لزم الأمر، وجلبة للفضة من مصر لضرب النقود باليمن وعلى العموم فقد أحيلت إليه بدرايته وفراسته أمور اليمن.

ملحق رقم (54)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2095/ص766

23 ربيع أول 976

حكم إلى بكلربكي مصر:

فيما يتعلق بأن سفن الحصان (نوع من السفن) التي يقوم العمل بتصنيفها هناك يجب أن تكون على طرز سفن غليبولي، حيث يمكن لها عندما لا تكون الرياح مساعدة أن تعمل بالمجاريف.

ملحق رقم (55)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2099/ص768

24 ربيع أول 976

حكم إلى الوزير سنان باشا:

فيما يتعلق بأن الاستعدادات اللازمة لأجل اليمن قد اكتملت، واسترداد السناجق والأوراق البيضاء ذات الطفري التي أرسلت إلى القائد السابق مصطفى باشا، وأنه من

المناسب الذهاب إلى اليمن براً والخروج بـ 2500 عسكر وأن يصحب معه الكاشف حمزة وواحد من (memi) وإذا ما كان سيلزمه احتياجات أخرى يرسل دفترها، وأنه أرسلت 4.000 بندقية وكسور، وأن أمور اليمن قد سلمت إليه بفراسته ودرايته، وأن كل شيء تم إعداده، وعندما يصل بكلربكى مصر يكون التحرك على الفور.

ملحق رقم (56)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2400 /ص769

24 ربيع أول 976

حكم إلى بكلربكى مصر:

فيما يتعلق بأنه وجد من المناسب أن يذهب سنان باشا قائد اليمن إليها بطريق البر ومعه 2500 عسكر و 6000 جمل، واستكمال نقص العسكر من القولية والجونلية، ومساعدته بشأن المؤن والمهمات وإخراجه إلى الطريق في أسرع وقت.

ملحق رقم (57)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2356/ص860

4 جمادى الأولى 976

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بأنه إذا لم تكتمل الـ 3000 عسكر اللازمة لأجل ا ليمن يجب إكمالها من مصر والشام من القول أوغليه والقول قرانداش ومن الفتيان الشجعان، ثم عدم التوقف حتى يصل بكلربكى مصر والتحرك إلى اليمن.

ملحق رقم (58)

دفتر مهمة رقم 12/حكم رقم 73/ص36

23 رمضان 978

حكم إلى بكلربكى اليمن

فيما يتعلق بأنه بناءاً على الانتهاء من اصلاحات اليمن وعودة قوليه مصر والأماكن الأخرى الذين ذهبوا مع سنان باشا الذي سيعود أيضاً معهم، ثم بقاء عدد 3000 من القولية المرسلة هناك بعد ذلك، وإرسال الدفاتر المسجل بها أسماء العائدين من هناك والذين سيبقون.

ملحق رقم (59)

دفتر مهمة رقم 12/حكم رقم 76/ص37

23 رمضان 978

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بأنه بعد إصلاح اليمن وتحريرها بكاملها ومعرفة العوائد والمصاريف يجب عودة الذين ذهبوا برفقته عندما يعود هو ثم بقاء من سيبقون هناك حتى يبدلوا بالذاهبين الجدد وذلك للمحافظة على اليمن.

ملحق رقم (60)

دفتر مهمة رقم 12/حكم رقم 537/ص262

18 ذي الحجة 978

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بأنه وصلت الرسائل وبها أن أمر الحفاظ على بعض الأماكن قد ترك الشريف مكة وأنه مكافأةً للإجراءات التي قام بها بهرام بكلربكي اليمن قد زيدت سالياننه

100.000 آقجه، وكذلك فيما يتعلق بأحوال الجيش، وعليه تم قبول تعيين الشريف وزيادة سليانة البكلربكى بهرام، وأنه كانت قد أرسلت قبل ذلك الأحكام المفصلة بالنسبة للحبشة،وضرورة إرسال القولية ذات البنادق التي أرسلت ناقصة إلى بكلربكى اليمن وكذلك المواجهة وغيرها حتى مصر، ثم ضرورة العمل بصدد سد احتياجات مصر واليمن وانتظامهما والسعي بقدر الإمكان لإصلاح أمور الحبشة.

ملحق رقم (61)

دفتر مهمة رقم 12/حكم رقم 1105/ص581

9 ذي القعدة 979

حكم إلى الوزير سنان باشا

لما كان من المهم إرسال مستحفظ مصر وغير ذلك مما يلزم إلى اليمن جواباً على أشعار بهرام بكلربكى اليمن فيما يتعلق بأنه من اللازم إرسال الخزينة في حالة عدم القدرة على تحصيل أموال اليمن وبدل القاطعات، كذلك طلبه مقدار من العسكر من مصر، وعلى ذلك يجب القيام بعمل اللازم وضمان عدم عودة العسكر التي أرسلت إلى اليمن دون المال موعدها ووصول عساكر آخرين بدلاً منها، ثم إرسال معلومات عما يتم القيام به.

ملحق رقم (62)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2596/ص944

17 جمادى الأخر 976

حكم إلى دفتر دار حلب

فيما يتعلق بضرورة الانتهاء من صرف خمسين ألف فلورى أمر بصرفها للعسكر الذاهبة إلى اليمن، والسعي بدأب على تحصيلها وإرسال الخزينة حتى النوروز.

ملحق رقم (63)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2663/ص965

25 جمادى الآخرة 976

حكم إلى بكلربكى اليمن

فيما يتعلق بأنه علم أن الأسطول والعساكر وصلت إلى جده وأن حسين ؟؟؟؟؟؟؟ تبرك صاحب الإمارة قد أعطى 150 حصاناً و1000 ناقة مهار وأن بعض الأحصنة وضعت بالألجمة أرسلت مع عساكر الأمير والرجال المعينة من الجيش بطريق البر، وعليه فإنه عندما يصل سنان باشا يجب الاتفاق معاً في العمل وضرورة الانتهاء من أمر اليمن.

ملحق رقم (64)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1526/ص537

حكم إلى الوزير مصطفى باشا

أرسلت لنا خطاباً بأنه هناك اهتمام تام بشأن الوصول السريع لأجل إصلاح اليمن وأن موسم الحج الشريف قد أزف وإنه عندما لا تجهز الاختصاصات الخاصة به لا يصل مبلغ 100.000 التون/ذهب) المأمول بها من خزانة حلب يكون من الصعب التوجه والذهاب فكان أن تأخرت وتوقفت والآن لم ترسل قافلة الحج الشريف ولم يصل أيضاً مبلغ 100.000 التون/ذهب) وإن التوجه إلى جانب مصر سيكون يوم السادس عشر من شهر ذي القعدة أما الخطابات المرسلة إلى مصر قد وصلت وأنه تم بالفعل إعداد وعشره قادرغه و3 غلايين لا يبين ضمن السفن المراد إعدادها لأجل اليمن وأنه لكل قادرغه يمكن تحميل 50 رجل ولكل غليون 500 رجل وعلى هذا التقدير يمكن تحميل 2700 نفر وأنه ليس هناك مكان لنقل الخيول وأن العسكر المذكور بموجب الحكم الشريف عندما تأمر بالمحافظة على السفن يكون من الصعب فتح البلاد. وعلى كلٍ فإن ما تم ذكره في هذا الصدد قد عُرض علينا بصورة مفصلة وأحاط به وشمله علمنا الشريف. والأمر كذلك

قد أرسلت إليك قبل ذلك أحكامنا الشرفية وأنه تم تعيين بكلربكى فرمان لأجل إرسال قافلة الحج الشريف والحفاظ على البلاد وأنه لن يحدث توقف للمبالغ المأمور بها من خزانة حلب وعليك الوصول إلى مصر سريعاً لأجل الخدمة التي أمرت بها وسواء أكان من ناحية إرسال العسكر أو كان من ناحية إعداد المهمات اللازمة فإنه عليك أن تلتزم بهذا الأمر وسوف يُعد الذهب الذي سيرسل وكذلك سائر المهمات الأخرى ويتم إرسالها على التوالي وعليك بنفسك أن تقوم بشأن الوصول إلى المحل المذكور بوجه السرعة فترسل العساكر والذخائر بالسفن الموجودة إلى زمن ما فما إذا كان هناك صعوبة حتى تكونوا قوة تضاف إلى الإسلام في تلك الديار ويستولي الرعب والفزع على الأعداء ذوي النوايا السيئة فتعود السفن الذاهبة مع موسمهم ثم بعد ذلك تقوم أنت الآخر بالسفن المعدّة لذلك فتفتح البلاد بعناية الحق تعالى وبصدد أن يتيسر بياض الوجوه في سبيل دولتنا الهمايونية عليك القيام بأنواع السعي والاهتمام وهذا ما صدر أمري به قبل ذلك. والآن قد اختل أو قافلة الحج الشريف التي أعدت لها عُدتها ويلزم إرسالها مع المؤون بواسطة عدة أمراء للسناجق واعلم أنه قد بقي زمن كثير على سنوات الخدمة التي أمرت بها في اليمن وأن أعداء الدين والدولة يترقبون فوات الموسم ولما كان العساكر الموجودين هناك في المقاومة والمظاهرة فقد استولى عليهم الضعف ونتيجة التدبير والإعداد الخاص بهذا الأمر إنه يحمل على الإهمال ولن تبقى هناك حجة ليقوم أي شخص على الإطلاق بإبداء الأعذار والحجج فجميعهم محضة للعتاب وعقابهم أمر لا مفر منه لأن هذه الخدمة منذ أن صدر الفرمان بها مضى عليها زمن طويل وأوامرنا العليّة التي أرسلت مراراً وتكراراً قد تعطل تنفيذها وأنه قد تم الإشعار بأنه أعطي إذن ورخصه من كل الوجوه حتى تتم الاستعدادات وتعرض علينا بعد ذلك في النهاية. وأنه بعد هذه المرتبة فإن كل تكاسل وتسامح سوف يكون ناشئين عن الغفلة. وقد وصلنا قبل ذلك من القبطان (قبووان وربا) خفر دام عزه خطاباً. ودفتراً أعلمنا فيه أن الغلايين (نوع من السفن) التي ستعد وغيرها يوجد 22 قادرغه وإنه لما سألنا القباطنة الموجودين في سده سعادتنا وغيرها من أجل الوقوف

أجابوا بأن كل قادرغه يمكن لها أن تحمل 200 رجل بل يمكنها أن تحمل 250 بجملة آلاتهم ومعداتهم وعلى هذا فإنه يمكن للقادرغات الموجودة أنه تحمل قدراً كافياً من العساكر والقسماطات أما جملة الأسباب والأشغال الأخرى فإنه يمكن أن تحمل على الغلايين وأنه بعد ذلك ستصل أيضاً أخشاب 5 قادرغات يتم إعدادها في ميناء عباس مع السفن الأخرى التي صدر الفرمان بها وأنه إذا ما كانت هناك غيرة وحماس عند العودة بالنسبة للسفن المرسلة بالعسكر قبل ذلك فإنه يمكن الوصول إلى الولاية المذكورة وكان من السهل والممكن رفع ودفع الأعداء عنها بعناية الحق.

ومن هذه الخصوصات قد أرسلت الأحكام الشريفة المؤكدة إلى بكلربكي مصر أيضاً حتى يجتهد في العون والمظاهرة وصدر إليه فرماننا بأن يكون على تمام البصيرة والاهتمام وأن يقوم بإرسال عثمان باشا إلى اليمن مع السفن الموجودة على وجه السرعة وأن يرسل بالسفن أخشاب القادرغات الخمسة التي يتم إعدادها في ميناء بياس ويبعث بها إلى بندر السويس حتى تكون جاهزة بحيث إذا مضى موسم هذه السنة وحدث توقف إلى العام القادم لن تُقبل الأعذار بذلك بأي صورة من الصور خصوصاً ولنا اعتماد همايوني في كمال رأيك السديد وفكرك الثاقب وأحاط علمنا الشريف بوافر فراستك وشجاعتك ولما كان مرادنا الشريف أن نتقرب من تلك الولاية نظراً لأن إصلاح أمرها من أهم المهمات يُرى أن ننتهي من أمرها بعناية الحق هذا العام وعليه فقد صدر أمري الشريف لك للقيام بهذه الخدمة، وقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تكون على حسن البصيرة والتدبر أكثر مما ينتظر ولا تضيع دقيقة واحدة بصدد الوصول إليها بموسمها وعلى ما أخبره به أهل الوقوف من أن القادرغات الموجودة يمكن تحميل كل واحدة منها بـــ 200 رجل وتحميل الغلايين بقدر كافٍ من البقسماطات والأسباب والأشغال فتصل السفن التي ترسل مسبقاً حاملة العسكر إلى الولاية المذكورة ويقع بذلك الخوف والفزع في قلوب الأعداء وتقوي قلوب عساكر الإسلام، وحتى عودة السفن مرة أخرى وعودة سفن الخيول التي ستُجهز لذلك وغيرها. عليك أنت الآخر مع سائر العساكر المنصورة أن تلتق عند المحل

المأمور به باذلاً في ذلك كل ما وسعك وإن شاء الله تعالى يتم الوصول ويتيسر أمر إصلاحها.

وعند عودتك فإنه لكل من شاركوا بالرفاقة /yoldaslik/ من فرماتنا الهمايوني ستكون لهم كل أنواع العناية الشاهانية وتتحقق لهم آمالهم جميعاً من معاشاتهم وترقياتهم، وبناءً على ذلك عليك بالتنبيه والإعلام إذ أنه في سبيل دولتنا الهمايونية ودفع وإزاحة أعداء الدين والدولة عن الولاية المذكورة هذه السنة وأن تبذلوا غيرتكم وحميتكم وتكونوا خلف إتمام هذه المصلحة.

وكان بياله باشا القبطان دامت معاليه قد قام بحروب عديدة قبل ذلك وكتب تذكره عما يمكن أن تحملها كل سفينة من المحاربين وغيرهم وقد مُهرت هذه التذكرة وأرسلت إلى ميدان الحرب ويجب عليك أن تعمل بموجب هذه التذكرة المسطو ره فتأمر بتحميل كل سفينة على الوجه المشروح بـ 200 رجل وعندما يخرج 150 رجل من هؤلاء إلى البر يلزم أن يبقى بها خمسون رجلاً إذ إن السفن التي وقعت في أخطاء بمثل هذه الحروب حتى الآن كان بسب أنها بقية فارغة. وعلى هذا الخصوص فإن السفن الموجودة هناك تحمل رجالاً أكثر من هذا العدد والمهم من هذا لاصدد ألا تختلفوا فيما بينكم وذلك بسبب الاهمال، وفي هذه الخصوصات عليك الالتزام كما يجب وبمقتضى غيرتك وحميتك عليك أن تبذل كل ما في وسعك في سبيل دولتنا الهمايونية.

ملحق رقم (65)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1731/ص6

28 محرم 976

حكم إلى حسن باشا بكلربكى اليمن

لقد أرسلت خطاباً إلى سدة سعادتنا في الظروف الحالية أخبرتنا فيه بأحوال اليمن وكلما ذكر فيه عُرض على وجه التفصيل علينا وأحاط به علمنا الشريف.

وقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تكون على كمال البصيرة والانتباه وقد أرسُل مع ما عساكرنا المنصورة جميع اللوازم والمهمات اللازمة وإنشاء الله تعالى عندما تصلك عن قريب عساكرنا المنصورة عليك باستمالتها وأن تكون في هذا لاصدد متفقاً في الرأي والفكر مع القائد الوزير مصطفى باشا الدستور المكرم أدام الله تعالى أحواله وعليك في صدد دفع وإزاحة الأعداء وفتح الولاية والبلاد وتسخيرها بعناية الله أن تكون مجداً شهماً وتُرسل إليكم أيضاً العلوفات وإن شاء الله لن يكون هناك ضيق في هذا الصدد وعليك ألا تكون في غفلة من أعداء الدين والدولة وأن تسعى قدر ما في وسعك لصيانه شرف الدين والدولة وناموس السلطنة.

ملحق رقم (66)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1793/ ص

حكم إلى عثمان باشا بكلربكى اليمن

لقد أرسل إلى سدة سعادتنا بكلربكى مصر سنان باشا دام إقباله خطاباً قبل ذلك أخبرنا فيه أنه يجب عليك أن تكون جاهزاً مستعداً وأن وزيري مصطفى باشا أدام الله تعالى إجلاله من المقرر له أن يدخل مصر المحروسة ويتوجه على وجه السرعة ودون تأخر إلى طرف اليمن وقد أرسلت إليك أيضاً العديد م أحكامنا الشريفة بأن تنظر أمر الاستعدادات على وجه السرعة وأن تكون مستعداً للذهاب، بينما يتم التنبيه عليك بهذا النحو نراك مازلت حتى الآن موجوداً بمصر المحروسة وسمعنا أنك لم تتوجه إلى طرف اليمن والأمر كذلك فإننا نسأل ما الباعث على هذا التأخر حتى الآن. وقد أمُرت ألا تتأخر وأن تنظر بكل السبل وجميع الاستعدادات وأن تتوجه على وجه السرعة إلى ولاية اليمن فتكون مع وزيري المشار إليه مصطفى باشا أدام الله إجلاله قلباً واحداً ورأياً واحداً وأن تكون في صدد دفع الأعداء وإزاحتهم وفتح البلاد وتسخيرها ومستعداً للقيام بكل الأقدام والاهتمام بالصورة المناسبة باذلاً في ذلك كل ما في وسعك.

ملحق رقم (67)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1922/ص

خطاب السردارية الخاص بالوزير سنان باشا المرسل إلى اليمن بشأن همايوني

إن ولاية اليمن بلد فُتح بواسطة قواتنا القاهرة الخسروانية، وفي الوقت الذي هي فيه من المضافات إلى سائر بلادنا المحروسة ترى مفسداً يدعى "مطهر" يخرج علينا ومعه كثير من الأشقياء العرب فيستولي على بعض القلاع والنواحي قاصداً بذلك توجيه الإهانة إلى أهل الإسلام، ولما كان من اللازم تأديبه فقد أعددنا لذلك عساكر بلا عدد جنود غيورة من ولاية الشام ومصر ومن البر والبحر ثم إرسالها ولما كان يلزم لهذه العساكر المقرونة بالنصر سردار عظيم الاقتدار عالي المقدار، وكان بكلربكي مصر السابق ووزيرنا الأكرم حامل التوقيع الرفيع الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم ومدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ......الخ ووزيري سنان باشا يسر الله له ما يريد وما يشاء بماله من وافر القُربة والشجاعة وفرط الكياسه والشهامة ما يجعلنا نعتمد عليه وقد عينا المشار إليه على الجنود التي تم تعيينها قبل ذلك قائداً ومنحناه هذه البراءة.

وقد أمرت بناءً مع فرماني الجليل القدر ألا يتأخر لحظه أو يتراخى فيتوكل على عناية الحق جلّ وعلا ويتوسل بالمعجزات الكثيرة البركات بحضرة دليل الكائنات وفخر الموجودات عليه أفضل الصلوات والتسليمات، فيتوجه بالعساكر المعينه إلى الولاية المذكورة وعندما يتم اللقاء هناك يقوم بتحري الأفكار الفاسدة للأعداء ذوي النوايا السيئة وخيالهم الكاسد فيتجسس أمرهم ويسعى بالوقوف والاطلاع التامين على أحوالهم وأخبارهم كذلك عليه بناءاً على ذلك أن ينظر أمر الاستعدادات، سواء كان من ناحية القلاع والنواحي والقرى التي استولوا عليها وسواءً كان من ناحية الأماكن التي يمكن فتحها وتسخيرها من ناحية أخرى فإنه عليه أن يسرع في أعداد الترتيبات والمقدمات لمثل هذا الفتح فيتواجد في الخدمة والرفاقه بالصورة المناسبة في شأن وحده الرأي والفكر وصيانة

الدين والدولة مع بكلربكية اليمن وصنعاء وسائر العساكر المنصورة، وأن يسعى ويجتهد لتحصيل كل ما يبيض الوجوه وأن يسعى الجميع لبذل ما في جهدهم وليعلم جميع البكلربكية والذاهبون من ولاية صنعاء من الزعماء وأرباب التيمار والانكشارية المعينون من مصر من الأمراء، والمتفرقة والشاوشية والانكشارية والجونليه والرؤساء المرسلون مع الدستور الهمايوني بالبحر وسائر الخلق جميعاً والصغير والكبير والرفيع والوضيع من العساكر المنصورة المعينه للخدمة المذكورة، أن المشار إليه قد عين عليهم قائداً ورئيساً للعسكر وليحذروا من مخالفة كلمته بوجه من الوجوه أو معاندة أوامره وعليهم أن يتواجدوا بالخدمة بالشكل الذي يراه مناسباً ولن يعطى مجال لمن خالف أو عاند كائن من كان إذ يُعاقب وسواء كان من الأمراء أو الزعماء أو أرباب التيمار أو طائفة القول /عبيد/ فلكل من يتواجد منهم الرفاقه ستوجه له المعاشات والترقيات حسبما يستحق، ولكل من يتسابقون بخدماتهم المبرورة في سبيلنا الهمايوني ويقوم بالرفاقه سواء كان من السناجق أو من غيرهم بما يمكن له أن يقوم به سيكون من مقبولنا الشريف.

وبناءً على ذلك يجب على كل فرد ألا يتخلى عن غيرته وحميته الإسلامية وليكن الجميع رغباً وطالباً للغزو والجهاد في سبيل الله ويبذلوا سعيهم المشكور في سبيل الدين والدولة حتى ينالوا وعد الحصول على المثوبة العظمى الوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة وينالوا من عنايتنا الخسروانيّة ويتضرعوا إلى جانب ذاهب العطايا جلّ شأنه حتى ينتصر الدين وتنتصر الدولة في هذا الصدد وينهزم أعداء الملة والملك ويتيسر قهرهم على الدوام وليكن الجميع على كمال البصيرة والانتباه وليحترزوا ويتجنبوا الغفلة سواء من البر أو البحر من العدو على أسطولنا الهمايوني المُرسل بعساكر الإسلام ومن أنْ يصدر عنهم وضع مغاير عرض وناموس السلطنة والعياذ بالله تعالى وليكن الجميع على الدوام متيقظاً متنبهاً وعلى كل من أمراء مصر والجويليه منها والشراكه وغيرها والانكشارية والشاوشية ووكيل دفتر الشام الشريف جولات أحمد دام مجده ووكيل الانكشارية وسائر الزعماء وأرباب التيمار وغيرها ومن تم تعيينه قبل ذلك بالذهاب إلى

اليمن من الأمراء وهم يعقوب وسليمان وكُلابي زاده حسين ومحمود وحمزة وعلي وأحمد الصغير وأمير الآي غزه السابق علي دام عزه وجميع من صحبة مصطفى وأن يذهبوا إلى اليمن مع وزيري المشار إليه سنان باشا فيتواجد في الخدمة والرفاقه بالصورة التي يراها مناسباً.

وإن شاء الله تعالى عندما يعود المشار إليهم ويأتوا وقد صار كل شيء في موضعه سوف يكونون مظهراً لجميع أنواع عنايتنا العلية الشاهانية ويكون لكل واحد منهم حسب استحقاقه ما نراه من الرعاية هذا للعلم.

ملحق رقم (68)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 1645/ص700

21 صفر 986

حكم إلى عثمان باشا بكلربكى اليمن

لقد أرسل إليك قبل ذلك العديد من الأحكام الشريفة أمرناك فيها أن تكون على حسن التدبر والاستعداد من أمر دفع وإزاحة الأعداء الذين استولوا على ولاية اليمن قبل ذلك وأن تضعها مع العساكر المنصورة التابعة لك قبل العساكر المعينة مع القائد والأمر كذلك فإننا نسأل ما الباعث على هذا التأخر حتى هذا الوقت ومن الواضح أن هذا الأمر من أهم المهمات، وعليه فقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) ألا تتوقف على الإطلاق بهذا الأمر فيبلغ الولاية المذكورة بموجب أمري السابق مع العساكر المنصورة المعينة لك وتبذلك كل ما في وسعك وجهدك في سبيل الدين ودولتنا الهمايونية وعرض وناموس السلطنة وتقوم بمشيئة الله تعالى بحسن التدبير على مباشرة أمر ودفع الأعداء وإزاحتهم وقد تم تعيين بكلربكى مصر سنان باشا سرداراً مع رتبة الوزير وعليك أن تكون مع المشار إليه قلباً واحداً ورأياً واحداً وأن تتواجد بالخدمة بالشكل الذي يراه مناسباً وإنشاء الله تعالى تكونوا مظهراً لأنواع عنايتنا ورعايتنا وبناءً عليه أن تظهر كل ما هو مذكور في حيلتك من الفراسة والشجاعة وتُظهر من الرجولة ما هو أكثر من المأمول في سبيلنا الهمايوني وتبذل جُلّ مقدورك في ذلك.

ملحق رقم (69)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2005/ص734

حكم إلى عثمان باشا بكلربكى اليمن

لقد أرسلت خطاباً إلى سدة سعادتنا أخبرتنا فيه ببعض الأمور التي تتعلق بمسألة اليمن وكذلك فإن كل ما ذكرته فيه قد عُرض علينا وأحاط به وشمله علمنا الشريف والأمر كذلك فقد تم تعيين بكلربكى مصر سابقاً ووزيري الحالي الدستور المكرم سنان باشا دام معاليه قائداً على العساكر المنتصرة المرسلة إلى اليمن حالياً كما أعدت التجهيزات الهامة واللازمة وتم إرسالها. أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تكون في جميع الأمور التي تتعلق باليمن قلباً واحداً ورأياً واحداً مع وزيري سنان باشا وأن تسعى لإظهار سعيك البليغ في معاونته ومظاهرته بالشكل الذي يراه مناسباً ولا فتوان عن إعلامنا باستمرار عن الأحوال التي تتعلق بهذه البلاد.

ملحق رقم (70)

دفتر مهمة رقم 7/حكم رقم 2006/ص734

حكم إلى البكلربكيه وأمراء السناجق والقضاة ممن يقعونه على الطريق إلى اليمن

لما كان يلزم للرجال الذاهبين للخدمة في سده سعادتنا إلى تلك البلاد والحراس والإدلاء في الأماكن والطرق المنحنية الخطرة وحماية إبلهم ومواشيهم وأموالهم وغير ذلك فقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تقوموا بتعيين الحراس والإدلاء للرجال الذاهبين إلى تلك البلاد والقادمين منها في الأماكن الخطرة حتى يقوموا على حراسة إبلهم وماشيتهم وسائر معداتهم وأموالهم وأن تسعوا وتجدوا كما يجب بصدد عدم التأخر والتعوق في إتمام هذا المصلحة.

ملحق رقم (71)

دفتر مهمة رقم 12

أعطي في 24 رمضان سنة 978 إلى الكنخدا أرطو غدى والشاويش علي

حكم إلى بكلربكى اليمن

وهو إن الدستور المكرم الوزير سنان باشا أدام الله تعال إجلاله عندما يتم إصلاح حال اليمن وتعلم مواردها ومصاريفها وينتهي أمرها فإذا ماهم بالعودة إلى سدة سعادتنا فقد صدر أمري أن يقوم ومعه من ذهبوا قبل ذلك من القوليه سواء من قوليه مصراً وغيرها وأن يبقى هناك لأجل حماية اليمن الـ 3000 قول التي أرسلت بعد ذلك وأرسل في هذا الصدد حكمي الهمايوني إلى المشار إليه وأمرت عندما يصل (هذا الحكم) إنه إذا ما هم المشار إليه بالعودة إلى شدة سعادتنا وجاء معه القوليه التي كانت قد أُرسلت قبل ذلك إلى اليمن عليك بإبقاء القوليه التي سُجلت بعد ذلك وأرسلت سواء من قوليه مصر أو القولية التي سُجلت مجدداً وذلك للقيام بأمر حماية اليمن ثم عليك أن تقوم بتسجيل القدر الذي بقي هناك من العسكر في دفتر فتمهره وترسله مع المشار إليه.

ملحق رقم (72)

دفتر مهمة 14

حكم إلى الوزير سنان باشا في اليمن

وهو أن بكلربكى اليمن بهرام دام إقباله منذ أن توجه إلى اليمن مضى زمن طويل وحتى الآن لم يرد إلينا خبر وصوله وبأي كيفية وصل المشار إليه ومع أي قدر من العسكر وأنتم أيضاً ما هو حالكم هناك وكيف الحال مع الأعداء في أوضاعهم وأطوارهم وهل انتهى أمر ضبط البلاد وربطها كما لا يُعلم ماذا حدث منذ وصول المشار إليه،ولما كان من اللازم أن نُحيط بالتفصيل علماً بالأحوال التي تتعلق بتلك البلاد (اليمن فقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تخبرونا هل وصل المشار إليه إلى تلك البلاد ومتى وصل

وبأي مقدار من العسكر وما هي الأحوال وأنتم أيضاً على أي وضعٍ تكونون في هذه الأثناء وحالكم مع الأعداء كيف يكون وهل أنجز بالتمام أمر ضبط البلاد وبصدد الإصلاح منذ وصول المشار إليه هل تم...... وكيف والعساكر التي سجلت قبل ذلك من مصر والقولوغية التي صدر الفرمان بشأن إرسالها إلى هناك بطريق المناوبة من قوليه مصر...

ملحق رقم (73)

دفتر مهمة رقم 14/حكم رقم 8/ص268

حكم إلى بكلربكى اليمن

وهو أن الدستور المكرم وزيري سنان باشا المُرسل لأجل إصلاح اليمن حالياً أدام الله تعالى إجلاله عندما يقوم بتمام إصلاح ولاية اليمن وتُعرف مواردها ومصاريفها وينتهي الأمر من ذلك وعندما ينهض للعودة إلى سدة سعادتنا صدر أمري بأن القوليه التي ذهب قبل ذلك مع المشار إليه سواء قوليه مصر أو غيرها تأتي بصحبته أما الـــ 3000 قول التي أُرسلت بعد ذلك عليها أن تبقى هناك للقيام بحماية البلاد، وبصدد ذلك قد كُتب حكمنا الهمايوني إلى المشار إليه وتم ذلك. وأمرت عندما يصل هذا الحكم أنه عندما ينهض المشار إليه بناءً على أمري الشريف للعودة إلى سدة سعادتنا وبصحبته القولية التي ذهبت قبل ذلك إلى اليمن فإنه يجب على القوليه التي سُجلت بعد ذلك وأُرسلت إلى هناك سواء من قوليه مصر أو القوليه التي سُجلت حديثاً أن تبقى للقيام بحماية البلاد في اليمن وأن تقوم أنت بتسجيل ما بقي هناك منهم في دفتر فتمهره وترسله مع المشار إليه....

ملحق رقم (74)

دفتر رقم 14/حكم رقم 945/ص

حكم إلى الوزير سنان باشا

وهو أنك أخبرتنا أنه لأجل ولاية اليمن فقد تم إرسال 24 (أربعة وعشرين) من قوليه مصر بطريق المناوبة مع بكلربكى اليمن بهرام دام إقباله وكما أُرسل 253 جوقليه إلى

اليمن و654 نفر من قولفرانداش ويكون جملة الجميع 931 رجل وفي سنة 978 ربيع الثاني أُرسل من سُدة سعادتنا 327 نفر من القولفرانداش و58 نفر من مستحفظات مصر مع لتتخذ أقلعتهم وجملتهم 385 نفر وفي جمادى الأولى من السنة المذكورة أُرسل 450 نفر سُجلت من مصر معن جونليه اليمن والواصلون من سُدة سعادتنا 973 نفر من المتفرقه والشاوشيه والجونليه وجملتهم 579 نفر وفي شعبان من الستة المذكورة أُرسل مع أيوب دام عزه /114/ نفر من جونليه و44 نفر تفنجكى و40 من الجراكشه و150 من جونليه اليمن المسجلة حديثاً وجملة الجميع 348 ومع محمد أمير دام عزه في رمضان من الستة المذكورة أرسل من متفرقه وجونليه مصر 13 نفر وفي ذي القعدة من السنة المذكورة أرسل مع علي شاوش زيد قدره أحد شاوشية سدة سعادتنا 15 نفر من جونليه من مصر و30 نفر من جونليه اليمن المسجلة حديثاً وجملتهم 45 نفر وبذلك يكون جملة الجميع 2301 نفر وعلى كلٍ فإن ما ذكرته في هذا الصدد قد أحاط به علمنا الشريف والأمر كذلك فلأن أمر مسألة اليمن من أهم المهمات فقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تقوم لأجل حماية الولاية المذكورة بالقدر الممكن وسائر مهماتها سواء من ناحية القوليه أو المواجب عندما يتيسر الوصول إلى مصر المحروسة بتدبر الأمر و بالصورة التي تراها مناسبة فترسل القوليه والمواجب على التوالي ولا تتوقّف عن تقوية ومساندة تلك البلاد كما يجب وأن تأتي بكل أنواع المساعي الجميلة.

ملحق رقم (75)

دفتر مهمة رقم 14/حكم رقم 1026

يوم الجمعة في 22 ذي الحجة 978

حكم إلى بكلربكى اليمن

وهو أن وزيري سنان باشا أدام الله إجلاله قد أرسل إلى سدة سعادتنا أعلمنا فيه أن 3000 العسكر المسلحة بالبنادق التي صدرت الفرمان بإخراجها من مصر المحمية قبل

ذلك لا تُعطى لها المساعدة كما لا تعطى إلبها العلوفة والبنادق الكافية فقط تم إعداد 1500 أو 600 بندقية كما أنه لا يتيسر لها أكثر من ثلاث أشهر من المواجب وأنه عندما وصلت ا لعساكر المنصورة إلى محل تقابلت مع الأعراب العصاة فتقاتلت معهم وفي النهاية انخذلوا وانهزموا بعناية الإله القادر وأنه تخابر مع عساكر الإسلام في (صعده؟) وبحسن الاستمالة تم الاتحاد والاتفاق فتم إحراق القلعة البجبخانه وتم تستجرها وفتحها وأنه تم خسارة الملاعين الخاسرين وأنك في هذا الصدد بما هو مركوز فيك من حسن الشجاعة والتدبر وأنواع البطولة والشهامة قد أظهرت ما ينتظر منك وصدر حكمي الهمايوني بترقيه مائة ألف أقجه على السالیانه الیت تتصرف بها وأن ذلك قد وقع في محل رضانا وبذلك تم فتح وتسخير ولاية اليمن بسيوفنا المظفره وأنه تم تدمير العصاه المرده الحفاة الموجودين في تلك الديار. وبما أن طوائف الرعايا هو ودائع خالق البرايا تستظل في حمايتنا وكنف سعادتنا وأن الصلح مع العربان المشئومين على وشك، ولأن البكلربكية قد أهملوا وتكاسلوا عن حسن مباشرة طائفة العربان وحفظ وحراسة البلاد وحفظها وصيانة الرعية وتعمير المدائن والبلاد وترقية قلوب العباد ولم يقوموا بإعطاء الوظائف لما يستحقها ومنحوها للطامعين فقاموا بظلم الرعايا والبرايا والتعدي عليهم كما جاروا وآذوا الأعراب الذين يريدون السلام فكان ذلك سبباً في الفتور والاختلال وكان يلزم من جديد فتح البلاد وتسخيرها ثم تطهيرها من الأعراب الأشقياء فقد تم تعيين سنان المشار إليه قائداً على العسكر وتم إرساله لإصلاح ذلك وإنشاء الله بعناية الباري يتم تسخيرها والقلاع والبقاع وسائر القرى والضياع وتطهير البلاد من العصاه الطغاة والأعراب المفسدين ويقوم عساكرنا بوضعهم تحت طاعة عبوديتنا، والمأمول أيضاً أن يمتنع احتمال الاختلال مرة أخرى وألا يحدث الإهمال في أمر حماية البلاد ولا يحدث أمر مغاير للصلح والصلاح وجملةً لا يحدث التوقف النظر إلى تلك الديار كثيرة الاعتبار دائماً لأن نظامها وانتظامها في كل الصور من أقصى آمالنا ومرامنا وأن اعتمادنا الهمايوني على وافر شهامتك وصرامتك وفرط كياستك وقد كتُب حكمي الهمايوني بصدد حسن التدبر وإرسال

العدد الكاف من القوليه والمواجب وكل ما يلزم ذلك ولأجل شؤون اليمن خاصة وأن يظل القادمون والذاهبون من الحجاج والبريد وغير ذلك في أمن وصيانة من قطاع الطرق وسائر العوائق فقد تم تفويض أمر حفظ وحراسة المسافة الواقعة ما بين حكومة ولاية منبج والحجاز حتى المكان الذي يُدعى صابيه إلى صاحب الإمارة شريف مكة المكرمة الشريف حسين دامت معاليه فأُرسلت إليه رسالتنا الهمايونية بصدد التعاون بهذا الخصوص وأمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تقوم بالتخابر مع المشار إليهما في هذا الصدد فتقوم بطلب ما يلزم فيه التعاون والمحافظة. وأن تقوم بكمال العدالة وفسطاس الشرع الشريف فكل ما يلزم من ناحية حفظ وحراسة وضبط وحماية المدائن والأمصار والنواحي والأقطار والقلاع والبقاع وزيادة أموالنا وتكثيرها وحسن المعاشرة مع ا لأعراب وأن تحذر كل الحذر مما يكون داعياً للاختلال والثورة وأن تقوم بكل المساعي الجميلة فيما يتعلق بحسن انتظام الولاية المذكورة.

حكم بالبريد من استانبول إلى مصر ومن مصر إلى مكة المكرمة.

ملحق رقم (76)

دفتر مهمة 4/حكم رقم 223/ص64

حكم إلى بكلربكي اليمن

وهو أنك أرسلت خطاباً أعلمتنا فيه أنك منذ وصلت الولاية المذكورة والياً عليها ما توقفت طوائف الأعراب عن المناوشة وأنه لما باشرت الحرب والقتال مرات متعددة مع أهل الفتنة والفساد منهم تم لك الظفر والنصر بعناية الله تعالى وفتحت كثير من القلاع وتم تعيين طائفة القوليه على الأماكن اللازمة وأمرت بهدم الأماكن التي لا تلزم حراستها وحفظها وأعطى الأمان لمن أخلص وأعرض عبوديته من إمارة العربان وقتل منهم من كان معانداً مخالفاً كما أعلمتنا ببعض الخصوصات التي تتعلق بتلك البلاد وجميع ذلك قد عُرض علينا بالتفصيل فأحاط به علمنا الشريف، فبيض الله وجهك. فالواقع هذا ما كان

يُنتظر منك وقد أمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تتمنطق بنطاق الغيرة والحمية وأن تقوم بما هو مركوز هو فيك من الشجاعة والفراسة والشهامة والكياسة بكل أنواع الأقدام والاهتمام فتأتي في سبيلنا الهمايوني بخدماتك المضرورة والمشكورة حتى يكون بمشيئة الله مع الأمراء وساير العساكر وكل من قاموا بالخدمة والرفاقة فظهر لعنايتنا الخسروانية وبناءً على ذلك عليك باستمالة طائفة القول وغيرها وأن لا تتوقف عن مشاورة أهل الوقوف ممن في تلك البلاد وبصدد أمن وأمان البلاد ورفاهية واطمئنان البلاد ألا تضيعوا دقيقة واحدة كما تقوموا باستمرار على إخبارنا وإعلامنا بأخبار تلك البلاد.

ملحق رقم (77)

دفتر مهمة 60/حكم رقم 254

حكم إلى الوزير حسن باشا القائم على حماية اليمن

أرسلت الآن إلى سدة سعادتنا خطاباً أعلمتنا فيه أنه لما كان يلزم تسجيل قوليه الروم من جديد وإرسالهم وأنه يلزم منهم الآن 500 نفر من فتيان الروم.

والأمر كذلك فإنه لما كانت حروب الشرق ما كانت مستمرة وتم صرف الخزائن الواقعة في بلاد الأناضول على حروب الشرق وأن خزائننا العامرة تعاني من الضيق المالي فإن ليس من الميسر تسجيل قوليه جدد وأنه تم كتابة حكمي الشريف إلى بكلربكية مصر ودفتر دارها لأجل تسجيل 500 نفر قوليه من رومية مصر والجراكسه وإرسالهم مكان هؤلاء. ثم لأجل القيام بحماية مصر تسجيل 500 نفر من قوليه عتبة سعادتنا وصدر فرماناً الهمايوني بإرسالهم إلى مصر وإنشاء الله تعالى يتم وصولهم عن قريب منهم على وشك الوصول وأمرت عندما يصل (هذا الحكم) أنه عندما يصل قوليه مصر 500 الذي صدر الفرمان بهم بإرسالهم من مصر أن تقوم بتعينهم على الولاية لأجل الدفاع عن البلاد وحفظها وحراستها.

ملحق رقم (78)

دفتر مهمة رقم 60/حكم رقم 598/ص

أرسل إلى الجبة جي باشي في 20 جمادى الأولى 994

حكم إلى الجبة جي باشي أحمد آغا

لقد أرسل إلينا ا لآن الوزير حسن باشا حامي اليمن خطاباً ولما كان قد أعلمنا فيه أنه يلزم تسجيل القول وأعداها وإرسالها إلى هناك وعليه فقد تم كتابة حكمنا الشريف وإرساله إلى بكلربكي مصر ودفتر دارها لأجل تسجيل قدرٍ كافٍ من قولية مصر وإرسالها غير أنه من المهم أيضاً حماية مصر فإنه يلزم تسجيل القوليه من سُدة سعادتنا و إرسالها لأجل حماية مصر أيضاً. وطائفة الجبه جبه كما هو معروف منذ القديم كثيرة العدد، وعددهم الآن يبلغ 3000 نفر جبه جر تم تسجل ألف نفر (1000 نفر) منهم لأجل حروب الشرق وبذلك بقي منهم 2000 نفر فصدر أمرنا بتسجيل 500 نفر من هؤلاء الجبة جية الباقين وإرسالها لأجل حماية مصر وأمرت عندما يصل (هذا الحكم) ألا تتأخر أو تتراض على الإطلاق فتقوم بتسجيل 500 نفر من الجبة جية الشجعان منهم رئيساً ثم تعين عليهم جميعاً في النهاية رئيساً من الأشخاص الذي تراه مناسباً وبذلك يتم إعدادهم وترسلهم إلى مصر المحمية حتى يقوموا بالخدمة بأمر حمايتها وهذا الخصوص المذكور من أهم الأمور وعليك ألا تقيسه بالأمور الأخرى وعليك بالاهتمام وعدم الإهمال في إعدادهم وإرسالهم على وجه السرعة.

ملحق رقم (79)

دفتر مهمة رقم 62/حكم رقم 9

أعطي إلى المتفرقة حسين آغا في 10 محرم 996

حكم إلى حسين باشا في اليمن

وهو أنه بموجب وافر صداقتك وكمال عبوديتك منذ قديم الأيام لسُدة سعادتنا العليه وعتبتنا السنية وأنت منذ وصولك اليمن تتوكل على خُباب الحق جلّ وعلى وتتوسل بمعجزات الرسول الأكرم وتستمد العون من أرواح الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وتسعى مُجداً بالنفس والنفيس في سبيلنا الهمايوني المقرون بالنصر فتقوم بإظهار الشهامة المودعة في ذاتك والشجاعة المركوزه في جُبلتك بحمد الله وكما أظهر آباؤك في تلك الديار قبل ذلك من عروض الإخلاص والصداقة لسُدة سعادتنا فقد مُنحت له ولأولاده السناجق فهي مراسم المراحم الخسروانية ولوازم المكارم الخاقانيه ما زالت مرعية محاطة بكثير من ا لعناية وأنت بعد وصولك لما وجدت أنهم (الأعداء) تتحرك فيهم عروق الفتنة والفساد المحروسة فيهم وحنثهم للعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم تم السير عليهم بعساكرنا المظفره فحوصرت القلاع التي تحصنوا بها وكانت العاقبة هي فحوى آية إن جندنا لهم الغالبون فتم ا لقبض على صاحب قلعه /قوله/ على يحيي من أولاد مطهر وعلى لطف الله صاحب قلعه /ذي مرمر/ وعلى غرس الدين صاحب قلعة /غفار/ وعلى حفظ الله صاحب أولاد شرف فعلي وعلى حسن صاحب جبل /أهنوم/ الذي ادعى الإمامة ووزيره وهاتي، كما تم أسر أحد البرتغاليين الكفره القادمين من ديار الهند إلى الحبشة واليمن بقصد نهب وسرقة بنادر الكعبة المكرمة والمدينة المنورة وهم اللعين الذي يدعى (أوتوتدوبرتيو) قبطان تامدار مع 9 رجال من رفاقه فأرسلتهم جميعاً إلى سُدة سعادتنا مع عبيدنا الذين يخدمون أسرتنا العثمانية منذ الفتح الخاقاني في تلك الديار و بيض الله وجهك سلمت ودمت فإن مثل هذه الخدمات المبرورة

والمساعي المشكورة سوف تكون مظهراً لدعائنا لك بالخير، وفي حق عبيدنا الذين قدموا بالمزبورين قد أعطيت الأحكام الشريفة بناءً على العروض التي أرسلتها وأمرت عندما يصل حُسين زيد مجده أحد متفرقة عتبتنا المعلاه فإنه عليك فيما بعد أن تتمنطق بنطاقة الحمية والغيرة بموجب صداقتك وعبوديتك لعتبتنا المعلاه فلا تتوقف عن التشاور المستمر لمن هناك سواء من الأمراء والأغوات وساير العسكر وسواء من مشايخ العربان حتى يبذلوا النفس والنفيس في سبيلنا الهمايوني وهم يقومون بالرفاقه وعليك أن تخبرهم بمالهم علينا من مزيد العواطف الخسروانيه فتقرأ عليهم جميعاً حكمنا الهمايوني هذا و تستميل كل واحد منهم حتى يسعو من بعد بذل الجهد للقيام بمثل هذه الخدمات وأنه في مقابل خدماتهم المبرورة والمشكورة في سبيلنا الهمايوني لهم منا مزيدا لعناية العليه الشاهانية، وعندما يصلك المشار إليه بخلعتين من خلعنا الضافرة وسيف مرصع بالجواهر يليق بآثار النصر تلبس الخلعة الشاهانية بغاية التعظيم والتكبير وتمنطق بالسيف وبموجب ما هو معتاد من شجاعتك ووافر شهامتك وفراستك فقد كُتبت رسالة الاستمالة هذه حتى تقوم بالإتيان بكل ما يبيض الوجوه كما هو معتاد منك.

ملحق رقم (80)

دفتر مهمة رقم 60/حكم رقم 10/ص204

أُعطى للمذكور في 10 محرم 966 (التاريخ السابق)

حكم إلى شمس الدين أوغلو أحمد حاكم كوكب اليمن

لقد أرسل إلينا الدستور المكرم.... الخ الوزير حسن باشا خطاباً يُعلمنا منه أنه منذ وصوله تلك الديار وهو يراك دائما من أهل الوقوف في الحروب التي حدثت هناك وأنك معه في كل الخصوصات بتأثر معاونته ليل نهار وبصورة خاصة في هذه المرة عندما تحركت عروق الفتنه والفساد لمن اعتادوا الخيانه (الأعداء) وكنت مجداً ساعياً في القبض

عليهم بحسن التدبر والتعقل في حروب أولاد مظهر الذين اتخذوا لأنفسهم مبدأ ا لحنث بالعهود والمواثيق كما عرضت علينا أنك بخدمات مبرورة ومساعي مشكورة وعروض المشار إليه بحقك تأتي إلينا على الدوام فتعلمنا أنك تعرض عبوديتك بكمال الصداقه والاستقامة على عتبة سعادتنا بيض الله وجهك في الدنيا والآخرة سلمت ودمت وإذا كان الأمر كذلك فقد كان لك منا مزيد العواطف العليه الخسروانيه وأرسلنا إليك مع حكمنا الهمايوني المقرون بالسعادة ثوب خلعه يورث البهجة وسيف مذهب يليق بك وأمرت عندما يصل حُسين آغا أن تقوم على الخلعة الشاهانية المذكورة فتلبس بكمال التعظيم والإكرام ونور التحشيم والاحترام وتمنطق بالسيف ثم عليك بعد ذلك أن تجود بالنفس والنفيس في سبيلنا الهمايوني بالصورة التي يراها المشار إليه مناسبةً فتتواجد في الخدمة والرفاقه ولسوف تكون في مقابل خدماتك فيما بعد أيضاً مظهراً لكل أنواع مثاميتنا العلية الخسروانية، فإنه منذ بداية فتح الولاية المذكورة وحتى الآن لم تتيسر مثل هذه الفتوحات العظيمة لواحدً من الوزراء والبكلربكيه الذين أُرسلوا إلى تلك البلاد، والحمد لله ا لذي هدانا إذا استطاع وزيري المشار إليه وهو يسعى في سبيلنا الهمايوني ويأتي بعناية الله تعالى بكثير مما يبيض الوجوه. ولما كان يلزم فتح بعض الممالك أيضاً الواقعة في الطرف الشرقي من تلك البلاد تم تعيين قائد للعسكر فقد أعطيت البراءة بأنه سوف يكون من مقبولنا الهمايوني إذا ما منحت المناصب العالية والمعاشات والزيارات حسبما يراه مناسباً ولكل من يشاركون في الحروب. وعليك في سبيل القبض على هذه الأماكن بأحسن الوجوه أن تقوم بموجب شهامتك وشجاعتك وفراستك بالالتزام بكل خدمة تأتي بالمبرور والمشكور منها وسواء أنت أو توابعك سوف تكونون مظهراً لكل أنواع عنايتنا العلية الخسروانيه.

ملحق رقم (81)

دفتر رقم 60/حكم رقم 11/ص204

إلى القائد على حماية اليمن الوزير حسن باشا

قد أرسلت رسولاً إلى سدة سعادتنا ذكر أن مَنْ يُدعى وارنده علي بن قاسم والي أحد طائفة التُجار القاطنين في بندر مُخا أنه من سماسرة طائفةُ التجار أهل الوقوف من كل وجه وأنه بمعاونته ومظاهرته للتجار المترددين على البندر المذكور أصبح سبباً وباعثاً عمران ذلك البندر ورجوتنا لأجل ترغيب مثل هؤلاء التجار أن تصدر البراءة الهمايونية له حتى يحصل التاجر المذكور عند خروج ودخول البضائع إلى بندر مخا على 2 بالمئة آقجه منها ونصف رسوم المجيه والدلال والميزانيه، والأمر كذلك قد تم تفويض أمر بنادر الولاية المذكورة وساير خصوصاتها إلى رأيك الصائب وفكرك الثاقب من كل الوجوه وأمرت بناءً على تقرير رسولك المشار إليه أن يأخذ التاجر المذكور عند خروج ودخول البضائع القادمة إلى البندر 2 بالمئة آقجه منها ونصف رسوم المجية والدلالية والميزانية وكذلك لأجل ترغيب بقية التجار في تلك البلاد إذا كان ذلك مفيداً لمال الميري على الوجوه المشروع حتى يكون باعثاً على ترغيب طائفة التجار القادمين إلى البندر المذكور وسبباً في توفير وتكثير مال الميري.

ملحق رقم (82)

دفتر مهمة رقم 60/حكم رقم 12

أعطي إلى حسين آغا في التاريخ السابق رسالة همايونية إلى شريف مكة

وهو أن مطهراً حاكم اليمن قبل ذلك كان رجلاً مشاغباً وكان يظهر العداوة لنا وعدم الطاعة وجعل لنفسه قدراً من الرجال الذين يتقيدون بطاعته وبعد أن مضى وجاء أولاده

من بعده كانت الرعاية منا كما يجب لمن عرض منهم العبودية على سُدتنا السنية وعتبتنا العليه فمنحوا السناجق وجُعل منهم الحاكم والوالي على القلاع غير أن هؤلاء أيضاً كانوا مصداقاً لقول الولد سر أبيه فقاموا بعد والدهم مجدداً بتحريك عروق الفتنة والفساد بما غرس فيهم من المكر فشجعوا كثيراً من الرعايا على الاختلال مما كانوا سبباً في عصيان البلاد كلية، والآن فإن الدستور المكرم وزيري حسن باشا أدام الله تعالى إجلاله القائم على حمايةِ اليمن منذ أن وصل إلى تلك الديار يطلع على أحوالهم وقام على استمالتهم ومداراتهم كثيراً إلا أنه لم يفز منهم بالإخلاص وعدا أنهم ساقوا البلاد إلى العصيان فإنهم أيضاً وقعوا في بعضهم البعض وجرد بعضهم السيف على البعض الآخر وباشروا الفساد والشناعة كما بدأوا الحرب والقتال مع المشار إليه ولأنهم وصلوا بذلك إلى تمام مرتبة العصيان والطغيان فقد ظهر واتضح في نهاية الأمر وبعناية الله الملك القهار أن جندنا المقرونين بالظفر هم مصداق قوله أن جندنا لهم الغالبون فتم القبض عليهم جميعاً وكما صار لمعلومكم أنهم قيدوا وأُرسلوا إلى سدة سعادتنا. وإذ الأمر كذلك وقد فاضت العناية الخسراونية بما قدم من خدمات مبرورة في سبيلنا الهمايوني فتم إرسال البراءة العالية الشأن لأجل أن يكون قائدا على الأمراء وساير العساكر المنصورة في الولاية المذكورة كما تم إرسال سيف مذهب علامة للنصر وخلعه تورث البهجة وذلك مع حُسين دام مجده أحد العاملين في وكالة المتفرقه في عتبتنا المعلاه، ويجب عند وصول المذكور برسالتنا الهمايونية ألا تؤخروه في تلك البلاد (مكة المكرمة) بموجب وافر إخلاصكم وفرط اختصاصكم للأسرة العثمانية منذ قديم الأيام وحتى الآن فتقوم بإعداد اللوازم والمهمات حسب المعتاد والإتيان بكل المساعي الجميلة في صدد إيصاله السريع إلى الولاية المذكورة

تحريراً في أوائل ربيع الأول 996

ملحق رقم (83)

دفتر مهمة رقم 60/حكم رقم 13

أعطلي إلى المشار إليه في التاريخ المذكور

حكم إلى الوزير حسن باشا حامي اليمن

لقد أرسلت خطاباً إلينا، ولما كنت قد عرضت فيه أن الجاسوس الذي أرسل إلى ولاية الهند قد وصل وأن حاكم الولاية المذكورة جلال الدين قد اتفق مع الكفره البرتغاليين وأنهم على وشك إعداد وإرسال أسطول يقصد الإغارة على بنادر اليمن وأنه تم تعيين قدرٍ كافٍ من الرجال في كل بندر من تلك البلاد (اليمن) وأنه نظراً لأن وصولهم في البداية سوف يكون من البحر في الاتجاه المقابل ويلزم لذلك إعداد وإرسال قادرغه. لذلك عدا الـــ 15 قادرغه التي أُرسلت من مصرِ قبل ذلك يتم الآن أيضاً بناء 15 قادرغه كما تُبنى في البصرة أيضاً 15 قادرغه فإذا ما أُعدت كل هذه في أحكامنا الشريفة إلى بكلربكية مصر والبصرة حتى تصلك على الفور وتتواجد بالخدمة وأمرت عندما يصل (هذا الحكم) ألا تتأخر أو تتوقف إذا ما وصلك الخبر عن أسطول الكفار الخاسرين هؤلاء. وعليك في هذا الصدد الالتزام والتقيد التام فتقوم بإرسال شخص موثوق به بخطابك إلى بكلربكية مصر والبصرة المشار إليهما فتطلب من بكلربكى ألبصره خمسة قادرغات، وبعناية الحق لا يبلغ الضرر الممالك المحروسة من طرف الكفار الخاسرين، ولذلك عليك بالاهتمام واليقظة كما يجب والسعي لتحصين كل ما يبيض الوجوه كما هو المعتاد منك لأن هذا الخصوص لا يُقاس بسائر الخصوصات إذ يلزم السعي التام لدفع مضارهم.

ملحق رقم (84)

دفتر مهمة رقم 46/حكم رقم

حكم إلى أمير سنجق كولبان باليمن محمد دام عزه

فقد أرسل إلينا بكلربكي اليمن الحالي حسن دام إقباله خطاباً أعلمنا فيه أنك على كل الوجوه شجاع وعلى كمال الصداقة وحسن الاستقامة في سبيلنا الهمايوني ومن ثم فقد كان لك منا مزيد العناية الخسروانية فأرسلنا إليك سيفاً من سيوفنا التي أثارها النصر وخلعه من خلعنا الفاخرة التي تورث البهجة كما أحسن عليك أيضاً بزيادة 50.000 أقجه على السليانة التي تتصرف فيها وفي هذا لاصدد أُرسلت الأحكام الشريفة إلى المشار إليه وأمرت عندما يصل (هذا الحكم أن تقوم فتلبس بفنون التكريم وصنوف الاكرام والتضخيم خلعتنا الهمايونية وتمنطق بسيفنا الذي أثاره النصر ثم عليك ببذل المقدرة والقيام بسعي مشكور بالخصوصات التي تتعلق بحفظ وحراسة الولاية المذكورة وساير الخدمات الهمايونية بالصورة التي يراها بكلربكي اليمن المشار إليه حسن دام إقباله مناسبة ثم عليك بإرسال رسولك حتى تصدر البراءة الخاصة بك.

ملحق رقم (85)

١٢ ربيع الاول ٩٧٢ ص ١٤٣ د. رقم ٦ مهمة

فرمان آخر وجه إلى امير جدة في نفس الامر والموضوع

وبنفس التاريخ



كما وجه فرمان آخر إلى امير امراء مصر

في نفس الموضوع وفي نفس السنة والتاريخ

في ١٣ ربيع الاول ٩٧٢ ص ١٢٢ من المهمة رقم ١

ملحق رقم (86)

١٠ رجب سنة ٩٧٢ — دفتر المهمة رقم ٦ — صفحة 336

يازلدي



مكه مكرمه قاضيسنه [illegible] وجده امينينه حكم كه

امير مكة الكرام عمدة كبرا سيادتي دام اقباله ادم گوندروب سالیانه‌سی مقابلنده الدوغی پاره اسباب سنه دن بری احتکار جده ده اسكله‌سنه كتوردكلرنده اولقدر مخالف كمركي طلب ايتدكلرين بلدروب كه مشار اليهك كلنده سالیانه‌سی مقابلنده الدوغی متاع تعمیم مقابل كمركي طلب اتدرمیوب الدرمیه‌سز.

١٧ رجب ٩٧٢ — دفتر المهمة رقم ٦ — صفحة 337

يازلدي

مكه مكرمه شريفنه حكم كه حاليا كبرا سيادتي امير مكة الكرام دام اقباله ادم گوندروب اولدوغی سالیانه‌سی مقابلنده الناس بها اسباب اول ديارده خرج اولنميوب كتوردكلرنده كمركلرين الماء ... وافرها مباركه مقتضاسنجه مشار اليهك سالیانه‌سی مقابلنده اول جانبه ارسال اتدوكي متاعلرينه تعميم اولنلدوغی اوزره كمركلرينه دخل اولنمیه انواع مساعدت گوستروب وجه كتوره‌سز.

ملحق رقم (87)

١٨ شعبان ٩٧٥ دفتر المهمة رقم ٦ صفحة ٤٤٠



یازلدی

سابقا یمن بکلربکیسی اولان ... حاکم که مکتوب گوندروب ولایت یمنده
واقع اولان اموال خاصه‌نک مقاطعاتی دفتری ایله محاسبات دفتری
گوندروب اندن زمانکزده اولان مصارفه ماعداسی کفایه
ایله یتیور سکسان کیسه خزینه قلعه‌سی تعمیرده قونلوب خزینه‌نک
حال احوالی بیلدرلمشسه اول بابده اثرلر اعلام اولنمشسه علی التفصیل
درگاه عالیمزه عرض اولنوب علم شریفم محیط و شامل اولمشدر
دیار تنکیسی ... مرکوز اولان وفور فراست و حسن عدالت و
بو دیار بو سنی امثالی آثار استقامت ایدوکی ظهوره گلوب رضای شریفم
ظرف عاطفت علیه‌مه مقبول ~~...~~ اولمشدر بیرار قولوب
خصوصا ولایت مزبوره‌ده واقع اولان خدمات سندیده‌ک
موجب عاطفت خسروانم اولدوغی اجلدن سنک حقکده
الطاف و مراحم دریغ دکلدر انشاء الله حسبتک مقابلنده
محل اعتبار اولورسن ... ذکر اولنان خزینه ایله عربلر ...
گوندرلمک ایچون حالیا بکلربکی اولان رضوان دام اقباله
همایونم گوندرلمشدر بیوردم که حکم شریفم واصل اولیجق
وصول بولدقده ... ویرلدقده
سعی ... خزانه‌ی ... کمال ادب ایله ارسال ایده‌سز ...
اولاسز

ملحق رقم (88)

١٣ ربيع الاول ٩٧٠ ص: ١٢٢ دفتر المهمة رقم ٦

يازلدي

بصره بكلربكيسنه حكم كه. حاليا سويش قپودانلغي قدوة الامراء الكرام سفر دام علوه سنجاغي ... اعانت النوب ... پورتقال ... ايتمكلري خالي اولموب ... ارسال اولنمشدر ... انكلرده ... اولوب ... ايدوب ... كتابت قدر ... ابلاغ ...

ملحق رقم (89)

مهمة دفتري رقم ٦   ١٥ ربيع الاول ٩٧٢

صفحة
١٢٨

يازلدي

قپودان ادم جعفره ويرلدي

يمن كاربلينه حاكم كه: حالا دريا لمنده كلنلر تجار
كميلرينه پورتقال [illegible] فنالق و كميلري ضرر و خسارت
ايتمكده در دائما اولدقلري عرض اولنماغين [illegible] سويش
قپوطانلغي قدوة الامراء الكرام سنان دام علوه يه [illegible]
همايونم اصدار اولنوب دونمه همايونم عدد جوانب [illegible]
اولنمشدر [illegible] اول طرفلره واروب [illegible]
اندكده مرا [illegible] كوريله [illegible] الكلمك [illegible]
[illegible] دونمه همايونمده اولانلر عسكرلر ذخيرهسي باشنده
مضايقه اولورسه [illegible] دونمه همايونم ايچون
ذخيره طلب اندكده كفايت [illegible]
اولنه [illegible] تدارك ايدوب ويره سن

ملحق رقم (90)

١٠٠

٢٢٧

[illegible]

دفتر المهمة رقم ٤٦ تاريخ ٩٨٧ - ٩٨٧

ملحق رقم (91)





٢٩٤

دفتر المهمة رقم: ٤٥ تاريخ: ٩٨٢ - ٩٨٢

ملحق رقم (92)

[illegible]

ملحق رقم (93)

[illegible]

دفتر [illegible] رقم 39 - ٩٨٧ - ٩٨٨

ملحق رقم (94)



ملحق رقم (95)

[illegible]

دفتر المهمة رقم: 39 ص: 987 – 988

ملحق رقم (96)

٦٠٧

[illegible]

١٦٨٤ [illegible]

١٦٨٥ [illegible]

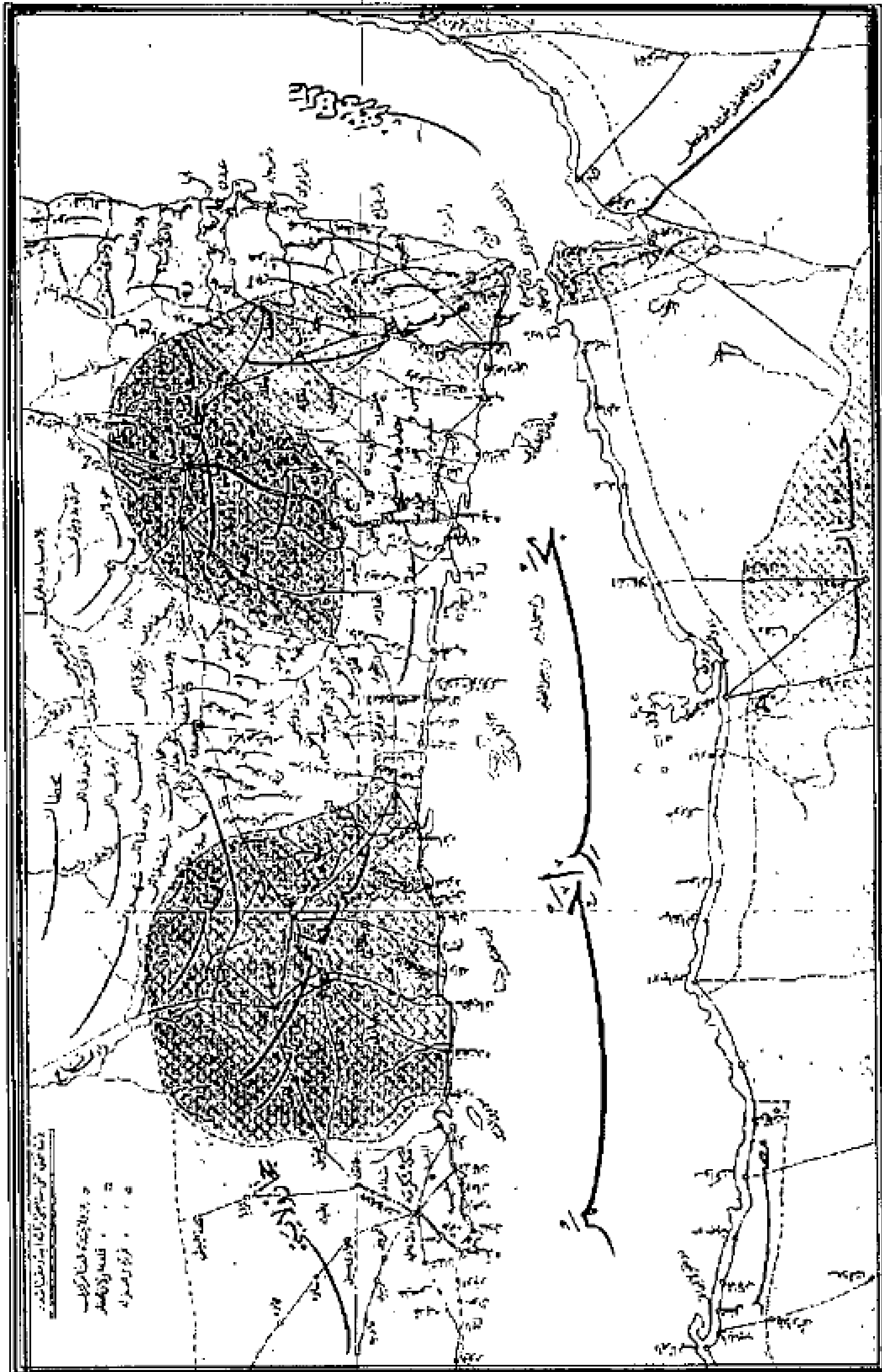
١٦٨٦ [illegible]

١٦٨٧ [illegible]

[illegible]

خارطة رقم (1)

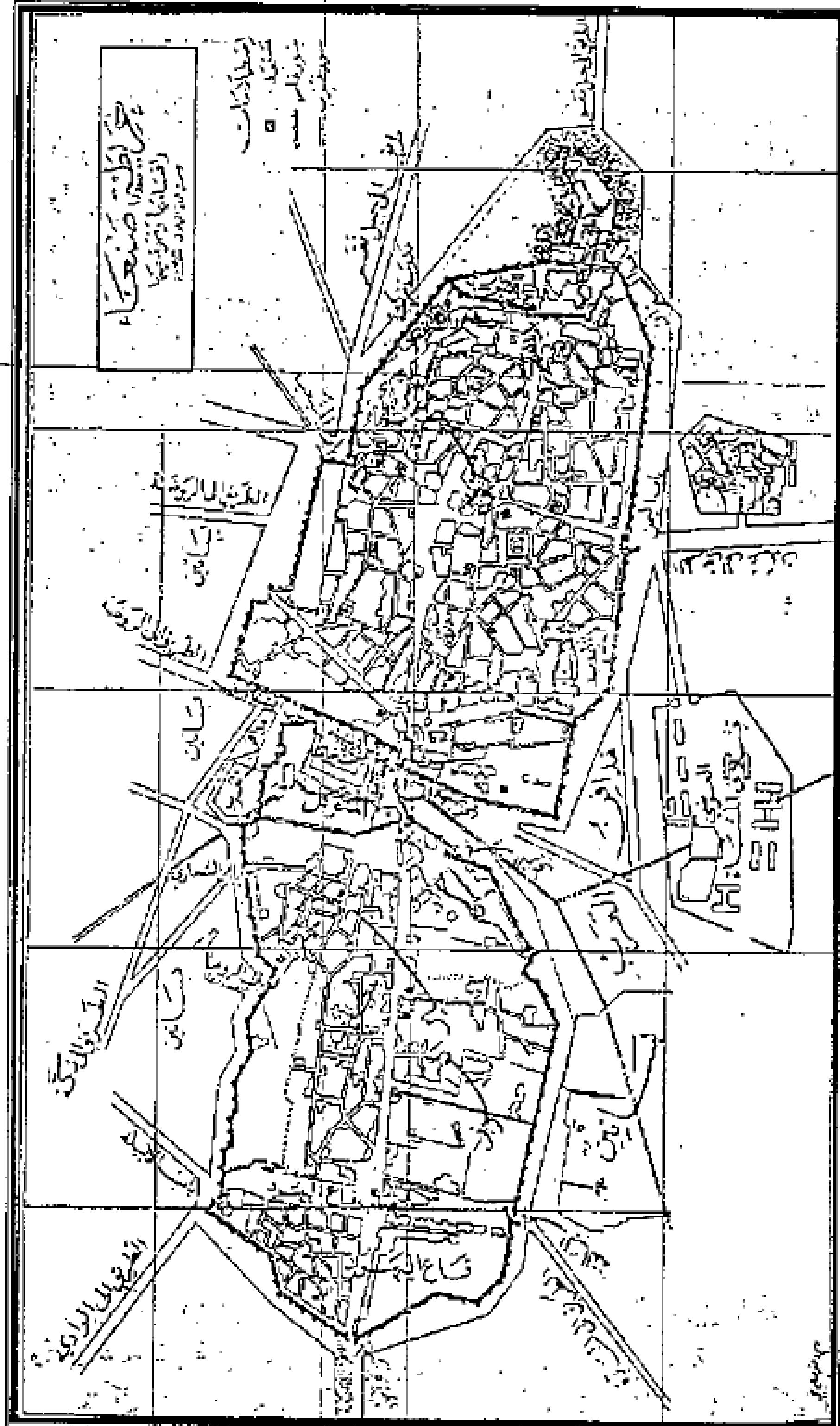
توضح ولاية اليمن وسواحلها على البحر الأحمر



(1) عاطف باشا ، المصدر السابق ، جلد 1 ، ص148.

خارطة رقم (2)

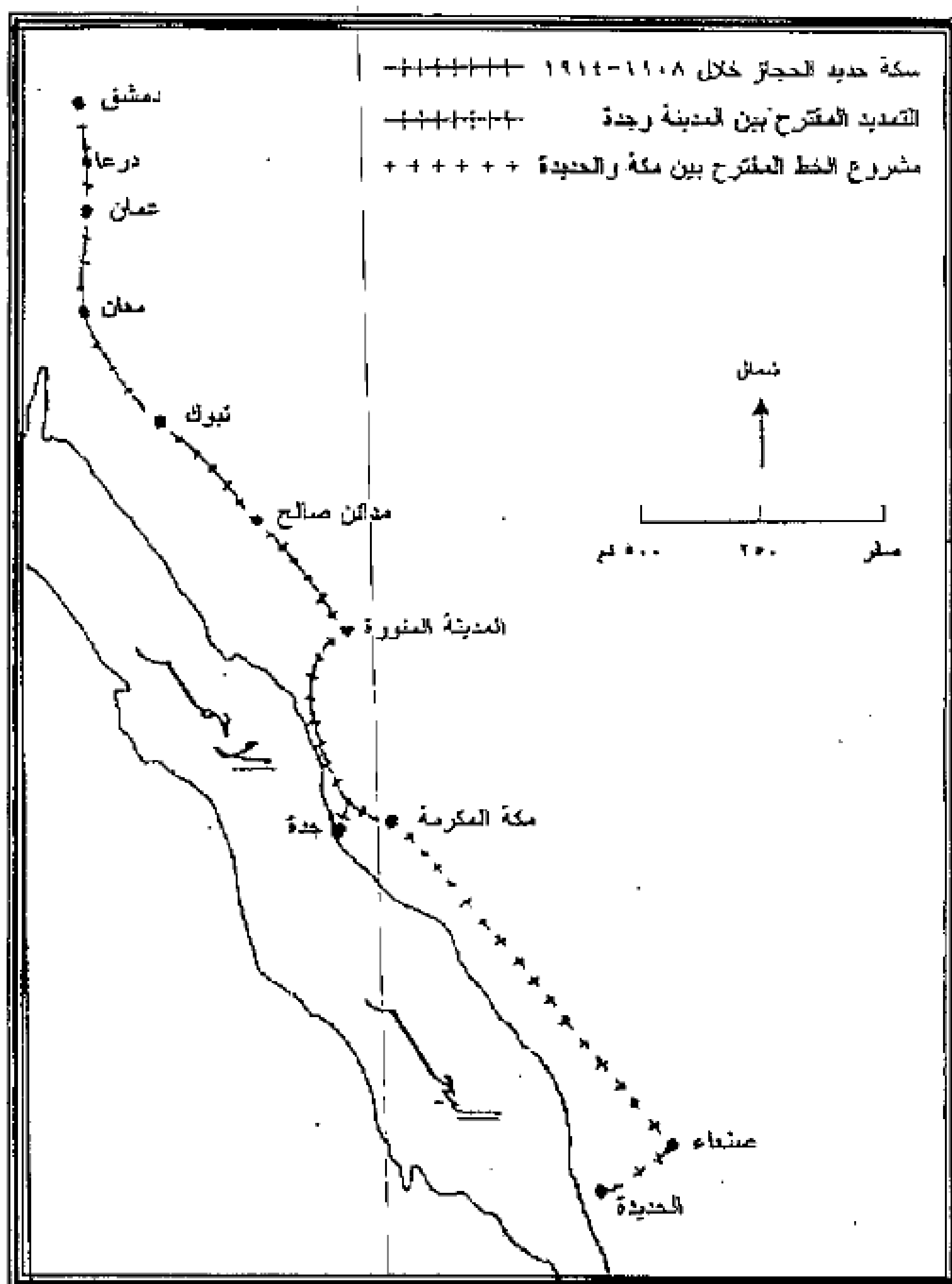
توضح لواء صنعاء من الناحية الإدارية[1]



(1) الهلال ، المصدر السابق ، ص 343 .

خارطة رقم (3)

سكة حديد الحجاز 1908 - 1914م[1]



(1) المهندس ، المصدر السابق ، ص90.